الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

أزمة الفكر العربي المعاصر

العدد ٤٠٧ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ رجب ١٤٢٠ هـ ـ أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٩ م

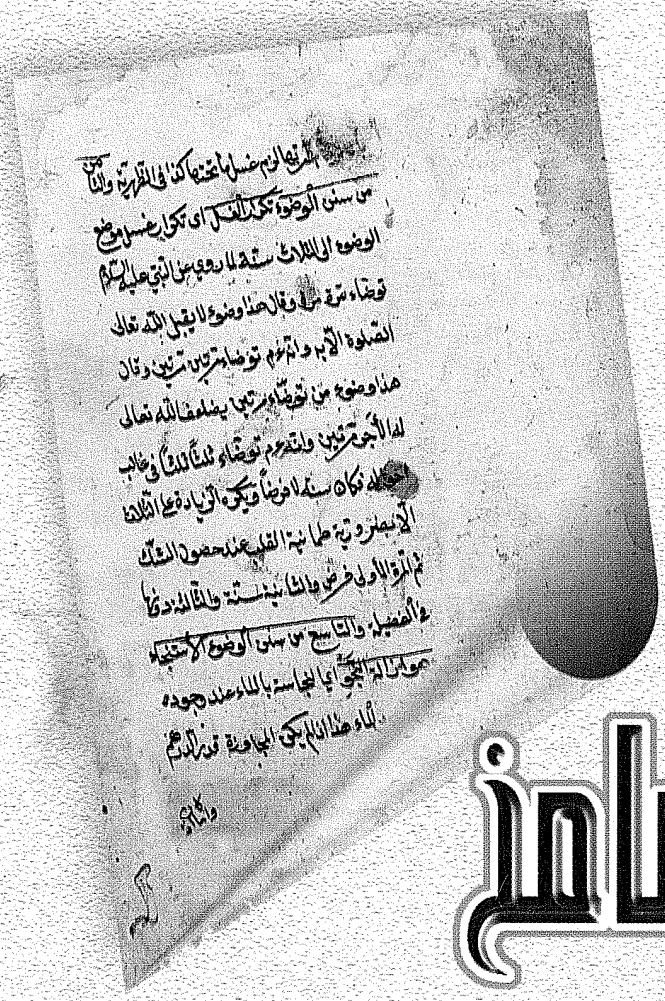

معطيات الهداية في الإسراء والمعراج

إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

صرح ثقافي شامخ

العقوبة ودواعيها بين الشريعة والقانون

ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد

هديتك مع العدد براعم الإيمان

دع فريق بيت الزكاة يحتسب لك زكاة شركتك

يمتلك بيت الزكاة فريقاً مختصاً تم تأهيله وتدريبه شرعياً ومحاسبياً لإحتساب زكاة شركتك.

توصيل **الزكاة** لمستحقيها **أمانة** فدعنا نحملها عنك

الخط الساخن **5745000**

S.D.C

السالمية - شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.prg.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw

بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت

2.5%
زكاة أموالكم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 407 . السنة الخامسة والثلاثون - رجب 1420 هـ - أكتوبر / نوفمبر 1999 م

كلمة العدد

القرآن صلة الأرض بالسماء

قراءنا الكرم

إذا كانت معجزة الإسراء والمعراج التي حدثت في مثل هذا الشهر هي الدليل العملي على اتصال الأرض بالسماء، فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تؤكد هذه الحقيقة الربانية على مدى الشهور والدهور والى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لقد حاولنا في هذا العدد - ومن خلال موضوعات عدة منها: «كيف تتجدد المعاني القرآنية؟» ومع القرآن الكريم في مواقف حوارية، ومضات تربوية من سورة النور». تأكيد دور القرآن الكريم في ترسيخ الصلة بين الإنسان وخالقه في زمن ارتفعت فيه بعض الأصوات الشاذ من أبناء جلدتنا مطالبة بقطع هذه الصلة، وفصل الدين عن الدولة، وعزل الإسلام وسنامه القرآن عن حكم الحياة «فمال قيصر لقيصر ومال الله لله».

واعتبرت هذه الأصوات أن هذه الصلة هي السبب الرئيس في تخلف أمتنا وابتعادها عن ركب الحضارة والمدنية المعاصرتين.

إن تمتين الصلة بين السماء والأرض هي الرد العملي الحاسم على مثل هذه الدعوات الزائفة، وإن الأمة كل الأمة حكاماً ومحكومين مطالبون بالاستغلاء بقيمها وأفكارها والاستجابة لنداء السماء الموصل للتقدم والازدهار، وصدق الله العظيم: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الإمارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: ٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. اوروبا: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير. استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

في العدد

تحقيق

إدارة المخطوطات والمكتبات

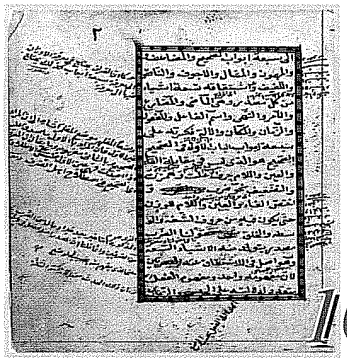

إدارة المخطوطات والمكتبات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت كنز ثقافي كبير ينهل منه الباحثون والمحققون ترى كيف يسير العمل في هذا الصرح؟

10

مناسبات 22

معجزة الإسراء والمعراج

مهما تقدم العلم ومهما تطورت التقنيات الإعلامية ستبقى معجزة الإسراء والمعراج رحلة ربانية خالدة لا تخضع للمقاييس الحسية والمادية والعقلية، وخارقة لأنظمة الطبيعة لأنها من صنع خالقها

دراسات فقهية 30

العقوبة ودواعيها بين الشريعة والقانون

إذا كان الفكر القانوني المعاصر قد استقر على هدف استصلاح المجرم في فترة تنفيذه عقوبة السجن دون الاهتمام بكون هذه العقوبة رادعة زاجرة، فإن فكرة العقوبة في الإسلام تنطلق من كونها رداً إصلاحياً على تصرفات أخلت بالمقاصد الشرعية.

أبواب ثابتة

حدث في مثل هذا الشهر 8

ثمرات الفكر التربية وحقوق الإنسان ـ الإعلان من منظور إسلامي 90

ترجمات داغستان مع روسيا ومن دونها 93

الفهرس

٣	كلمة العدد/ القرآن الكريم صلة السماء بالأرض	التحرير
٥	الافتتاحية/ معطيات الهداية في الإسراء والمعراج	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	حدث في مثل هذا الشهر	وائل الهنيدي
٩	في ذمة الله الشيخ محمد ناصر الدين الألباني	التحرير
١٠	تحقيق/ إدارة المخطوطات والمكتبات بالوزارة صرح إسلامي شامخ	مغشغش زايد
١٦	حضارة/ أطروحة نهاية التاريخ والمركزية الحضارية الغربية	إدريس الكنبوري
١٨	حوار/ مع رئيس مركز الأناضول الإسلامي	تمام أحمد
٢١	شعر/ في ذكرى حريق المسجد الأقصى	د. رفيق حسن الحليمي
٢٢	مناسبات/ معجزة الإسراء والمعراج خالدة إلى يوم الدين	د. ماجد أحمد المومني
٢٧	إدارة/ ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد	أحمد عبدالعظيم محمد
٣٠	دراسات فقهية/ العقوبة ودواعيها بين الشريعة والقانون	د.حسن أبو غدة
٣٣	فقه/ القياس الأصولي والقياس المنطقي	غازي التوبة
٣٤	قضايا شرعية/ مرة ثانية مع الاستنساخ والنعجة دوللي	د.أحمد الحجي الكردي
٣٥	قضايا اجتماعية/ رسالة نقدية	محمد عصام علوش
٣٦	قضايا فكرية/ أزمة الفكر العربي المعاصر	عمر الرماش
٣٨	دراسات قرآنية/ كيف تتجدد المعاني القرآنية؟ ٢/٢	محمد نور سويد
٤٢	دراسات قرآنية/ مع القرآن الكريم في مواقف حوارية	إدريس هنا
٤٧	دراسات قرآنية/ ومضات تربوية من سورة النور	د. حمد الرشيد
٥٢	قضايا تربوية/ اللغة العربية في المدارس الأجنبية	د.أحمد عبدالعزيز المزيني
٥٤	تربية/ الجهاد الأكبر	محمد رجاء حنفي عبدالتجلي
٥٨	طب وعلوم/ كيف كان الطب في أوروبا وعند المسلمين	د.حسان شمسي باشا
٦٠	قراءة في كتاب/ الحياء سمة الحضارة الإسلامية للدكتور السيد رزق الطويل	محمد علي وهبة
٦٢	قضايا أدبية/ الشباب وقضية تكفير الشعراء المعاصرين	نجدت كاظم لاطة
٦٤	قصة/ عندما حل الظلام	محمد مكين صافي
٦٦	لغة/ الهمزة المفردة	سيد عطا محمد عبدالله
٦٨	البيت المسلم/ أسئلة الطفل كيف نجيبه عليها؟	أشرف سعد
٧٠	التأثير الخطير للخمر على الجنين والطفل	د.غنية عبدالرحمن النحلاوي
٧٤	طفلي يخاف من الظلام	فاطمة حسين
٧٥	بعض الوفاء	علي محمد محاسنة
٧٦	رياض الأطفال	محمد عباس محمد عرابي
٧٨	حساسية الأنف	د.عبدالرزاق السباعي
٨١	بين الأم والجدة	منى السعيد الشريف
٨٢	هل ترتيب الطفل بين إخوته يحدد سلوكه؟	عبدالرزاق زعال
٨٣	رؤية اقتصادية/ بين الاقتصاد والسياسة	د.زيد محمد الرماني
٨٤	نافذة على العالم	التحرير
٨٨	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٠	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩٣	ترجمات/ داغستان مع روسيا ومن دونها	عبدالمنعم أحمد
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ ذكرى الإسراء تذكير بالقدس وإنهاض للنفس	عبدالغني أحمد ناجي

معطيات الهداية في الإسراء والمعراج

الافتتاحية

ما أن تحل علينا ذكرى الإسراء والمعراج إلا وتتوارد الخواطر إلى الأذهان وتكثر الأفكار وتتعدد وجهات النظر في تلك الذكرى التي تفوق التصور والخيال، فهي ليست معجزة في شأن بسيط وإنما شملت رحلتين طويلتين في ساعات محدودة، وتبين لنا من خلالها العجائب تلو العجائب مما يدعو إلى الهداية والإيمان الراسخ بالخالق العظيم، فهو تبارك وتعالى أطلع نبينا الكريم ﷺ على أسرار من الغيب ونقلها لنا عليه الصلاة والسلام، كي تكون لنا مواعظ هدى وبينات اعتبار.

إننا إذا نظرنا إلى المحطات التي انتقل منها المصطفى ﷺ من موقع إلى آخر، نجد أن هناك رحلتين أرضية هي «الإسراء» وسماوية هي «المعراج» وفي كل منها أحداث جسام عظام تقدم لنا المعطيات الأكيدة الثابتة في الهداية إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه الواحد الأحد الذي لا شريك له وتؤكد أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ولنلق نظرات على بعض تلك المعطيات.

أولاً. القدرة الإلهية: إنه مما لا شك فيه أن النظر في الكون يبعث في النفس التسامي والنزعة إلى التوجه إلى أن هذا الكون له خالق عظيم بيده كل شيء وهو القادر المقتدر الذي جلت قدرته على كل شيء، فالله سبحانه وتلك قدرته هين عليه تيسير الأحداث للنبي ﷺ، بأن يقوم بهذا المسار برفقة الأمين جبريل عليه السلام ... إنها القدرة الإلهية المطلقة بلا حدود ولا قيود.

ثانياً. تكريم النبي ﷺ: لعل أول تكريم له ﷺ من الرب الجليل هو اعتباره عبداً لله وذلك بقوله جل وعلا (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) هذه الآية، وايات في سورة النجم وهي قوله: (ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى).

وقد أظهر المفسرون الحكم البليغة في آيات كل من الإسراء والمعراج، وهي في مجموعها تبين التكريم الكبير منه سبحانه للنبي ﷺ، ولا أدل على ذلك من صلاته بالأنبياء وترحيبهم به، وفي المعراج كان من عظيم مراتب التكريم فرض الصلاة خلافاً لبقية الأركان التي فرضت في الأرض وكيف أن مكانة الصلاة عالية، وإطلاعه ﷺ على مشاهد في الجنة والنار وغير ذلك كثير.

ثالثاً. المنهج الإسلامي: من عميق معطيات الهداية تأمل هذا المنهج الإسلامي الذي يقوم على النظرة والسماحة والمنطق والبيان وذلك بفضل الله سبحانه بما سهله للنبي ﷺ من انتقاله إلى بيت المقدس وعروجه إلى السماء بأدوات خاصة وقدرات يعجز البشر عن مثلها. فتلك الخطوات الرتيبة تبين لنا كيف أن المنهج الإسلامي مرتب منظم ما إن يتأمله العاقل حتى يقر بالإيمان والاستسلام للرب العظيم.

رابعاً. موقف الناس: في مثل هذا الحدث العظيم، اختلفت مواقف الناس، فمنهم المؤمن المصدق، كسيدنا أبي بكر الصديق. رضي الله عنه. والمؤمنين أمثاله. رضوان الله عليهم. ومنهم المتشكك، وهناك الكافرون الذين أنكروا الإسراء والمعراج جملة وتفصيلاً ومن هنا فتلك المعجزة امتحان للناس، لكنها في طابعها العام تظهر أن تأمل مواقف الناس سبيل إلى معرفة الحق والاهتداء إليه.

إن معجزة الإسراء والمعراج حدث شمل معطيات للهداية كثيرة، ولعل أبرزها ما أمكن الإشارة إليه وأدعو الله بإلحاح وضراعة صادقة أن يهتدي المسلمون في المشارق والمغارب بالتوجه نحو هذا الدين حفاظاً على عزتهم وقوتهم، ونحن نرى الدوائر تحيق بهم وتدور على الأقصى مسرى النبي الكريم ﷺ... فاللهم وفقنا للخير واهدنا به اللهم آمين ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

يمحق الله الربا «بالأرقام»

«فتح الديون» أصبح تعبيراً شائعاً، فما أن تستدين دولة نامية حتى تكتشف أن معدلات النمو لا تتحسن، فتعود الدولة للاستدانة لتسدد الديون القديمة.

هذا الفخ عبر عنه تقرير صادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٩١م يقول: إن ديون العالم الثالث عام ١٩٩٠م فقط بلغت ١٢٠٠ مليار من الدولارات.

وفي تقرير أصدره البنك الدولي عن التنمية في العام ١٩٩٢م أن نمو دخل الفرد الحقيقي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ سجلت حقبة الستينيات ٦ في المئة سنوياً والسبعينات ٣,١ في المئة، ثم يبدأ التدهور في الثمانينات فيسجل -٢,٥ في المئة بالسالب، وبلغ دخل الفرد العام ١٩٩١م بالسلاب أيضاً -٤,٦ أي أن متوسط الدخل كان يتراجع في ظل القروض الفاحشة خلال الأربعين سنة الماضية.

فالديون الخارجية لبعض الدول العربية تفوق أحياناً قيمة الناتج المحلي الإجمالي السنوي أي أن جهد عام كامل لا يكفي لتسديد قيمة تلك الديون، كما كانت الديون السبب الرئيس للاحتلال العسكري للعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر.

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

العربية لغة الإسلام

لفت نظري في كتابة هذا الموضوع مقالة للأخ نجدت كاظم «العدد ٤٠٣» حيث أشار إلى أن العربية لغة القرآن، وليست لغة الإسلام، وهذا ما أردت التعقيب عليه في هذه السطور.

اللغة العربية ليست لغة القرآن فحسب، كما زعم الأخ نجدت كاظم لاطة، بل لغة الإسلام، فإن استخدام العربية بين المسلمين له فائدتان - فيما أحسب - وهما:

١ - الوحدة المنشودة بين المسلمين، فوحدة اللغة تجعل التفاهم والتقارب بين المسلمين موجوداً، وطالما وجد التفاهم وجدت الوحدة، هذا ما حدا الخليفة عبدالملك بن مروان إلى تعريب الدواوين في جميع الأمصار لتأكيد وحدة الدولة الإسلامية.

٢ - فهم الإسلام فهماً صحيحاً، فمعظم مصادر الإسلام الموجودة باللغة العربية، وترجمة النص كما نعلم ليس هو السبيل الأمثل لفهم هذا النص، بل معرفته من خلال لغته هي الطريقة المثلى لفهمه، والعجيب أن أمهات الكتب الإسلامية العربية ألفت من غير العرب كالبخاري والرازي والغزالي وغيرهم كثير.

وكيف لمسلم صحيح الإسلام أن يكتفي بحفظ الفاتحة وسورتين لأداء الصلاة صحيحة.

والمرء يعجب من تخوف المسلمين غير العرب من العربية وكأنهم يخافون من تسلط العرب عليهم، بل نجدهم يتقنون لغات كثيرة إلى جانب لغاتهم القومية، ولا يعرفون شيئاً عن العربية، وقد نجد بعض المسلمين الذين يقطنون الأماكن المقدسة منذ سنين عدداً يحفظون القرآن عن ظهر قلب ولا يفقهون من العربية ولا القليل على الرغم من وجودهم في بيئة عربية خالصة.

وهذه ليست دعوة لمحو قوميات المسلمين أو لغاتهم القومية، بل ندعو لجعل لغة مشتركة بين جميع المسلمين لكي يتفاهموا ويتوحدوا، فالمرء تعجب عندما يلتقي مسؤولا بلدين مسلمين ويستخدمان الإنجليزية لغة للتفاهم، فأين العربية التي اختارها الله لتكون لغة القرآن الذي هو مصدر الإسلام الأول.

فهل نداء للمسلمين لتعلم العربية لكي تتوثق الروابط بيننا، ولكي نفسهم هذا الدين من مصادره فهماً صحيحاً.

محمد أحمد فتحي عبدالله

ردود خاصة

● **الأخ محمد علي وهبة - مصر:**
وصلت رسالتكم المتضمنة رغبتكم في تحويل بعد المقالات لمجلات أخرى... بارك الله فيكم وشكراً على تواصلكم ومشاعركم تجاه المجلة والقائمين عليها.

● **الأخت مني السعيد الشريف:**
المجلة لا تهمل أي رسالة والموضوعات في حال مطابقتها لقواعد النشر تأخذ طريقها بشكل طبيعي، وأما بخصوص المكافآت فستصلك بإذن الله وجزاك الله كل خير.

● **القارئ وليد صابر حلاوة:**
شكراً لملاحظتكم حول الخطأ المطبعي الذي ورد في عدد البراعم رقم ٢٧٤ بخصوص الآية الكريمة (أنا صببنا الماء صباً)، حيث وردت خطأ (أننا) لذا اقتضى التنويه مع اعتذارنا لكل الإخوة القراء.

● **القارئ محمد أنور عبيد:**
شكراً على مقترحاتكم بشأن قضية «كوسوفا» والمجلة غطت الحدث في حينه وبخصوص ما طرحتموه فهذا ليس من اختصاصنا.
وجزاكم الله خيراً.

● **القارئ عبدالله بن سالم بن راشد الشعيلي - سلطنة عمان:**
اقتراحكم بشأن تبني مسابقة ثقافية في المجلة اقتراح طيب، نأمل أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ في الخطة المستقبلية للمجلة، وجزاكم الله كل خير.

حول الجرثومة الألفية

بخصوص القضاء على الجرثومة الألفية في أجهزة الكمبيوتر سواء كان في أميركا أو في غيرها أريد أن أسأل سؤالاً:

أليس من المبالغ فيه الحديث عن هذه المشكلة بهذه الصورة المرعبة التي تصورها أجهزة الإعلام؟ هل هناك دلائل أو علامات تؤكد حقيقة ما ذهب إليه المتخصصون في الكمبيوتر من حدوث هذه المشكلة وهي مشكلة الصفرين (١٩٠٠) بعد (٩٩)؟ أم أن هذا محض خيال وتوقع فقط وليس حقيقة؟

هل يوجد دليل على أن مؤسسات الكهرباء والماء والطاقة... إلخ، سوف تتوقف عند انقلاب ٩٩ إلى ٠٠ بمعنى آخر: هل هناك أمر Commond في داخل أجهزة الكمبيوتر يأمرها بالبدء من نقطة الصفر من جديد؟ هل كانت هناك أجهزة كمبيوتر تعمل في ١٩٠٠ وسوف ترجع للعمل من هذا التاريخ مرة أخرى؟! أعتقد أن هذا ضمن الحملات الإعلامية القوية التي يقوم بها الغرب للحصول على أموال الشركات التي لديها دوائر كمبيوتر لاستنزاف ثرواتهم وأموالهم من أجل «إنقاذ» شركاتهم من هذه المصيبة الكبيرة وقد حدث هذا بالفعل من قبل مع العالم كله حينما روجت المخابرات الأمريكية لمصيبة ثقب الأوزون في شمال الكرة الأرضية الناتجة عن البخاخات، واتضح فيما بعد - وتأكد ذلك للعلماء - أن هذه خرافة أساسها انتهاء حق ملكية إنتاج هذا الغاز من شكرة أمريكية معينة، وطمعها في الترويج لغاز آخر بديل عنه هي نفسها التي تملك حق إنتاجه كذلك! هذه واحدة.

الأمر الثاني: لديَّ شك في أن أجهزة الكمبيوتر الموجودة الآن لدى المؤسسات والشركات تم تصنيعها وفيها هذا العيب المتعمد «على اعتبار أنه موجود» على أساس أنه قبل نهاية القرن وبدء القرن الجديد تثار هذه المشكلة ومن ثمَّ يطلبوا من الشركات والمؤسسات أموالاً لمحاولة البحث عن حل لهذه المشلكة، وفي الحقيقة فهم الذين صنعوا المشكلة وعندهم الحل المسبق لها، ولكنهم اختبأوا هذا الحل، لبيعه بأموال طائلة في الوقت المناسب بعد إغراق العالم كله في حال منالخوف والفزع نتيجة لهذه المشكلة المعدة والمتعمدة سلفاً؟ ونحن بحسن نية نشارك في تخويف الناس من هذه المشكلة وأعتقد أنها لا أساس لها في الحقيقة.

الأمر الثالث: تُباع الآن في الأسواق أجهزة كمبيوتر P.C وتجد في الإعلان عنها مثل هذه العبارة «هذا الجهاز يتوافق للعمل مع عام ٢٠٠٠» والسؤال الآن: إذا كان قد تم تصنيع أجهزة متوافقة مع العام ٢٠٠٠م فلماذا لا تستخدم تقنيتها في تعديل باقي الأجهزة؟ وهل هذه المشكلة موجودة أصلاً في جهاز P.C الكمبيوتر الشخصي أم لا؟ مع العلم أن كل الحديث عن هذه المشلكة في الدوائر الكبيرة وليس في الأجهزة الشخصية فلماذا يعلنون عن طرح أجهزة شخصية ليس فيها هذه المشلكة، على الرغم من أن هذه المشكلة ليست موجودة فيها من الأساس؟

هذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن الأمر في أساسه يعتمد على الدعاية لجمع الأموال، ولا يعتمد على أساس علمي صحيح.

خالد عبدالرحمن اللقاني - جيبوتي

هارون الرشيد - الوجه الآخر

هالني حينما رأيت ملهى ليلي يحمل اسم هارون الرشيد وقد رسمت صولة له وهو يدخن النرجيلة، ولعل صاحب كتاب «الأغاني» كان له النصيب الأوفر في تشويه صورة الكثيرين من القدماء ومنهم هارون الرشيد وقد كانت خلافة الرشيد أعظم ما عرفته دولة في العصور الوسطى وكان قد أوتي من كل شيء سبباً: الفروسية المثلى، إلى جوار النفس الشاعرة، والبراعة في الشؤون السياسية، والحكم والحرب إلى جوار التقوى والورع، والاهتمام العظيم بالعلم ومعه اهتمامه بترجمة العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية، لتنقل علوم العرب وعلوم الأقدمين معها فيما بعد إلى أوروبا مترجمة من العربية، فتبدأ بها نهضة أوروبا الحديثة.

يصلي في اليوم مئة ركعة منذ حداثته الباكرة، وحج ماشياً ولم يحج خليفة قبله ماشياً.

غزا الروم اثنتي عشرة مرة في حكمه الذي دام ثلاثة وعشرين عاماً، وسيَّر جيوشه إلى أنقرة وأنطاكية وطرسوس والبسفور في الشمال، وقاد جيوش أبيه إلى القسطنطينية سنة ١٦٥هـ وهو في السادسة عشرة من عمره، وفي الغرب كان جنوب أوروبا الشرقي مذعناً للرشيد في حين كان جنوبها الغربي حتى شواطئ المحيط الأطلسي في يد المسلمين بالأندلس وفي حين كانت أمصار الدولة الإسلامية حتى الهند تعج بأصوات العلماء والمتعلمين في شؤون الدنيا والدين في حين كان «شارلمان» إمبراطور أوروبا أمياً لا يقرأ ولا يكتب.!

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

تعلم - وائل أحمد البستاوي

رجب

في أواخر العام الرابع للبعثة، وبعد أن أخذ عدد المسلمين يزداد شيئاً فشيئاً، كان الحنق والغيظ يستبدان بالمشركين شيئاً فشيئاً، وأخذ كل من الفريقين يزداد إصراراً، حتى بلغ الحمق من المشركين مبلغاً عظيماً، فأخذوا يعذبون من أسلم ممن لهم عليه سلطة، فالأب يعذب ابنه، والأم تشق على ابنها، والسيد لا يدع فكرة جديدة يعذب بها مَوْلِيَّهُ إلا فعلها، حتى بلغ الأذى رسول الله ﷺ، ولكن جرأتهم على غيره ﷺ كانت أكبر، إذ كان عمه أبو طالب ذا مكانة من قريش تمنعهم من التعدي عليه.

مع بداية العام الخامس للبعثة المشرّفة كان أذى المشركين قد بلغ مبلغاً كبيراً، فاستأذن بعض الصحابة رسول الله ﷺ بالخروج من مكة، وكان ذلك بعد نزول سورة الزمر التي تشير إلى سعة الأرض وفضل الصبر(١)، قال تعالى: (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر:١٠.

ويبدو أن رسول الله ﷺ قد علم أن ملك الحبشة آنذاك ملك لا يُظلم عنده أحد، فوجه من أراد الهجرة من أصحابه إلى الحبشة وكانوا اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، في طليعتهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وقال فيهما رسول الله ﷺ: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام»(٢).

وما يلفت الانتباه أن الرهط ممن هاجر من مكة إلى الحبشة كانوا ذوي منعة في قومهم، فلم يكن بينهم غير عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من غير قريش(٣)، ترى ما السبب الذي يدعو هؤلاء الصحابة ذوي المنعة إلى الهجرة قبل غيرهم من الضعفاء؟

السبب - والله أعلم - شدة حرص الصحابة آنذاك على سد كل الثغرات التي تحول دون إتمام هذه الرحلة المباركة، فلو قُدِّر أن طليعة المهاجرين كانوا ضعافاً في انتماءاتهم إلى قريش بالنسب، وظفر بهم المشركون لفتكوا بهم فتكاً وحالوا بينهم وبين الهجرة إلى الحبشة بالقتل، إذ لا عشائر تمنعهم، ولا وشيجة تربطهم بهم يحفظون بها دماءهم.

فكانت طليعة المهاجرين من صلب البناء الاجتماعي لقبيلة قريش فلا يستطيع المشركون قتلهم لو ظفروا بهم قبل بلوغهم الحبشة.

واختيارهم لشهر رجب - الذي كان المشركون يعظمون فيه القتال - كان لتأمين الطريق إلى الحبشة، فلا حروب تنشأ ولا دم يُستباح في هذا الشهر.

فهم يبذلون في سبيل الله لذائذ الدنيا، ورغد العيش، لأن إيمانهم بالله يفيض على عقولهم نوراً طالما استشرفوه وتطلعوا إليه، ما إن لامس قلوبهم حتى طهّرها من كل ما سوى الله حباً وإجلالاً وتعظيماً، فلا همَّ لهم إلا تتبع ما يرضي الله، والبعد عن كل ما يسخطه سبحانه وتعالى، نصروا الله في أنفسهم فجعلوا طاعته فوق كل طاعة، فاستحقوا - بفضل الله ومنِّه - نصر الله لهم.

تلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ما من نبي إلا وجحده قومه، وأفرغوا كل ما يستطيعون من قوة في صدِّ من آمن بالله عن دينه، وهذا ما يوجهنا الله إليه. إذ يذكرنا تبارك وتعالى، بأقوام فعلوا ما فعلوا بمن آمن من قومهم فكان نصر الله - ولا يزال - لا يتخلف أبداً شرط استمرار المؤمنين على إيمانهم. قال تعالى: (وقال الذين كفروا لرسلهم لنُخْرِجَنَّكُمْ من أرضنا أو لَتَعُودُنَّ في ملَّتنا فأوحى إليهم ربُّهم لَنُهْلِكَنَّ الظالمين. ولنسكننَّكُمُ الأرضَ من بعدهم ذلك لمن خاف مقامِي وخاف وعيد) إبراهيم:١٣-١٤.

بمثل هذا الاستسلام استجاب الصحابة - رضوان الله عليهم: لأمر الله ورسوله ﷺ، لا يدخرون وسعاً في تمثُّل أوامر الله واجتناب نواهيه مهما كانت الظروف قاسية. فاستحقوا ببركة هذه الطاعات أن يكونوا قادة الدنيا ومعلموها الإنسانية، كأبهى وأجمل ما يكون وكان أتقاهم لله وأكثرهم استسلاماً لأمره رسول الله ﷺ، فاستحق ما لم يستحقه غيره من البشر من لدن آدم حتى قيام الساعة.

ففي مثل هذا الشهر من السنة العاشرة للبعثة وقعت حادثة الإسراء لرسول الله ﷺ، والمعراج به إلى السماء السابعة في تلك الأنوار القدسية، فبلغ ما لم يبلغه نبي قبله ورأى ما يثبت فؤاده ويسرّي عنه صلف كفار قريش وتجهمهم له، وكأن الله تبارك وتعالى يقول له: إن ضاقت عليك الأرض فهذا مكانك عندنا في السماء، لن تلبث أن تلحق به... فاصبر إن العاقبة للتي ترى هنا تنعم برضوان الله عليك فلا تبتئس إن الله ناصرك.

صلِّ اللهم وسلم وبارك وزد وأنعم على نبيك ورسولك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، واجمعنا معه تحت ظل عرشك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

الهوامش:

١ - الرحيق الختوم - صفي الدين المباركفوري، ص ٨٩.

٢ - زاد المعاد، ١/٢٤.

في ذمة الله

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

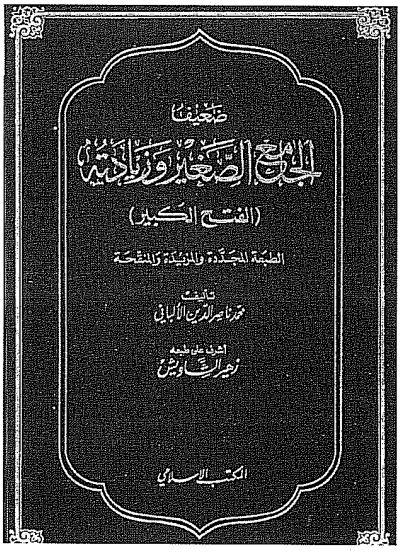

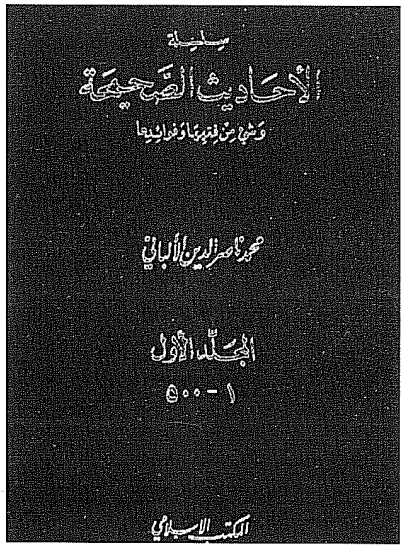

عن عمر يناهز الـ٨٥ عاماً، انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٩٩م، علامة الشام المحدِّث الجليل محمد ناصر الدين الألباني، وكان رحمه الله قد أوتي علماً وافراً في ميدان الحديث الشريف، وفتح الله عليه من كنوز العلم والمعرفة والبيان، وسخره الله لينير للمسلمين طريق الإيمان واليقين من خلال كتبه التي جاوزت المئة مؤلف في علوم السنة والحديث النبوي الشريف وله تراث زاخر من المحاضرات السمعية والمرئية والمناظرات للذود عن الإسلام والسنة النبوية، قال عنه العلامة الراحل ابن باز رحمه الله: «الألباني من المجاهدين في حفظ السنة، وهو من خواص إخواننا الثقات المعروفين».

وقال عنه الشيباني: «الشيخ ناصر عالم ضليع وخبير وهو طبيب الإسناد في العصر الحديث. عمل بالحديث نحو ستين سنة فأكثر». كان - رحمه الله - قد ولد في ألبانيا، وهاجر إلى الشام واستقر فيها في بدايات القرن العشرين، وأقبل على طلب العلم في مدارسها ومساجدها، حتى أصبح من علماء هذا العصر الذين يُشار إليهم بالبنان، كان زاهداً في الحياة الدنيا، يعيش من كسب يده يعمل في إصلاح الساعات، وكان يمضي معظم أوقاته في مكتبات دمشق العامرة، وفي مقدمها المكتبة الظاهرية التي تضم عشرات الآلاف من الكتب التراثية والمخطوطات، وقد فاز - رحمه الله - بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في مجال تحقيق كتب السنة: «سنن النسائي، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سلسلة الأحاديث الصحيحة، سلسلة الأحاديث الضعيفة، وصحيح الجامع الصغير، وضعيفه، وحجاب المرأة المسلمة، وصفة صلاة النبي، وللفقيد الراحل مؤلفات من الكتب أثّرت في طلاب العلم وأخذوا ينهلون منها من معين السنة النبوية بسهولة ويسر وفائدة كبيرة ومنها:

- صحيح الجامع الصغير فهو من تحقيقه وتعليقه، والجامع الصغير من تأليف الإمام السيوطي.
- ضعيف الجامع الصغير (٦ مجلدات).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (١٢ مجلداً).
- حجاب المرأة المسلمة.
- صفة صلاة النبي - ﷺ - منذ التكبير إلى التسليم كأنك تراها.
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد.
- آداب الزفاف في السنة المطهرة.
- شرح العقيدة الطحاوية تقديم وتحقيق وتعليق.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لابن ضويان.
- كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة لأبي عاصم الضحاك.
- تخريج كتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد لجمال الدين القاسمي.
- صحيح ابن خزيمة للأعظمي.
- مختصر كتاب العلو للعلي العظيم للذهبي.

ومهما قلنا عن فقيدنا الراحل، فلن نوفيه حقه وندعو الله له ولمن سبقه من العلماء العاملين أن يدخلهم فسيح جنانه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجزيه عنّا وعن المسلمين خير ما يجزي به الله عالماً مجاهداً مخلصاً ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا على فراقك لمحزنون.

رحم الله الشيخ الألباني رحمة واسعة وأثابه بقدر ما قدم وألهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

(إنا لله وإنا إليه راجعون).

الوعي الإسلامي

تحقيق

تحقيق : مغشغش زايد

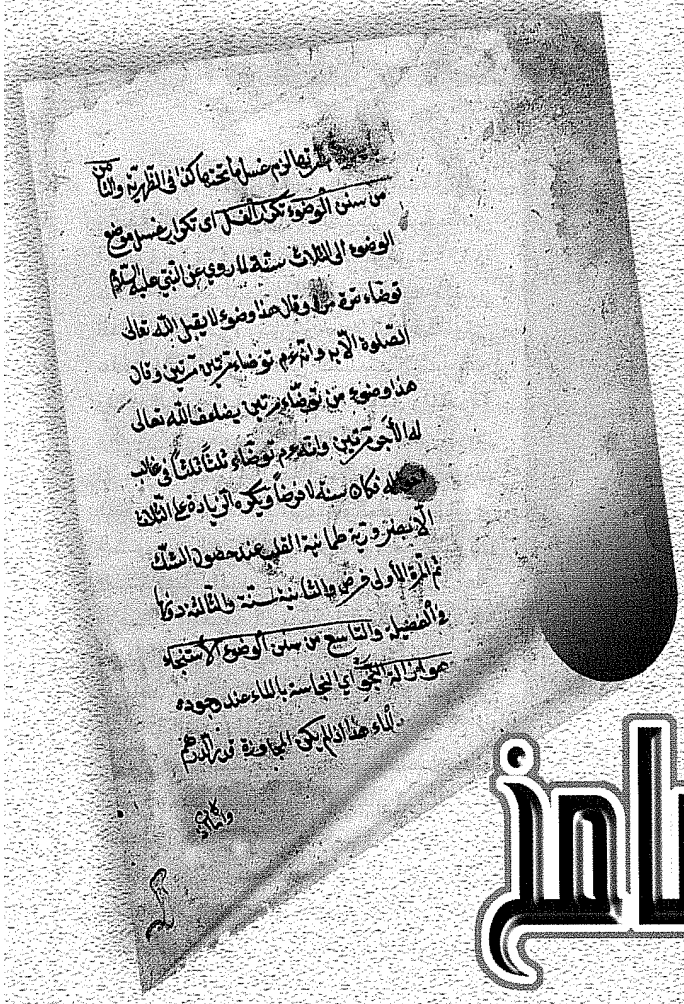

إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

صرح ثقافي شامخ

في منطقة العديلية في الكويت هناك تقع عمارة صغيرة الحجم، لكنها بما تحتويه تعتبر كنزاً ثميناً... يتوجه إليها الباحثون عن المجد للنيل من تلك الكنوز الموجودة في داخلها... فإذا ما دخلت إليها أحسست بهدوء غريب، ولكن ما أن تسير حتى تجد مجموعه من الشباب العامل الناضج كأنهم خلية نحل تعمل بجد واجتهاد دون كلل أو ملل في الحفاظ على تلك الكنوز من التلف والدمار، ودخلت هناك فوجدت نظاماً وتنظيماً وعلماً ومعرفة وفناً وترتيباً، وجدت تلك الروائع من المخطوطات التي تحمل علماً لتلك الحضارة الزاهرة الحضارة الأصيلة خطته يد العلماء ونقشته إبداعات النسّاخ وحفظته لنا الأجيال الواعية المدركة لأهمية العلم وما أن جلت في معرض تلك المخطوطات وشاهدت تلك الروائع وكيفية الحفظ لها والمحافظة عليها حتى أكبرت العاملين فيه وأحسست بقيمة ذلك المكان الصغير في مساحته الكبير بمحتوياته وهنا تذكرت مقولة

د . سعود العصفور :

المخطوطة كنز وتحقيقها ثروة

● د. سعود العصفور

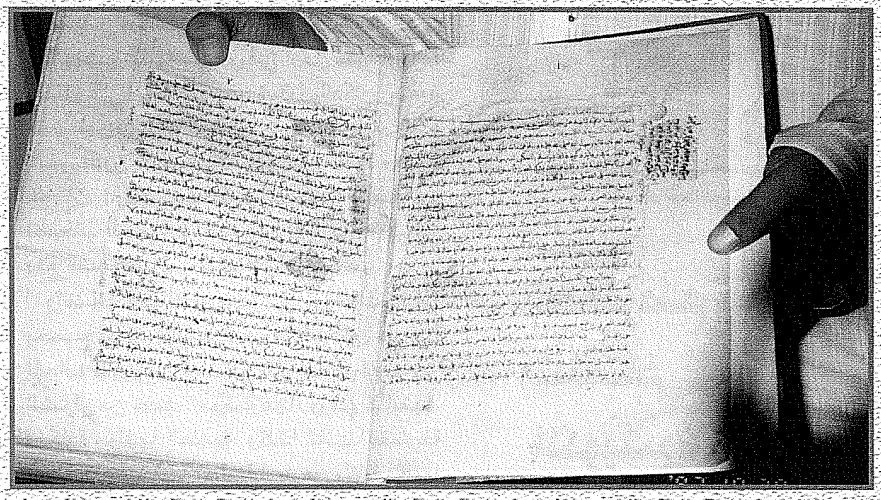

● إحدى المخطوطات النادرة

لدينا ٢٤٠٠ مخطوطة اصلية

و٤٠ الف مخطوطة مصورة

جمعت من شتى أنحاء العالم

هل تعرف سر مرارة الثور ؟

ابن عباس الخالدة حيث يقول «العلم أفضل من المال لأن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة، ولأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، ولأن العلم لا ينقص بالبذل والعطاء، والمال ينقص بهما، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، والعالم إذا مات فذكرهُ باقٍ».

تلك والله حقيقة فكم من أصحاب الملايين من مات واندثر بعد أيام اسمه وكم من العلماء الأجلاء من أبقى ذكره خالداً بما ترك لنا من العلم وبما دوَّن قلمه وأعمل فيه فكره... ونظرت حولي فإذا بالدليل واضح جلي في تلك المخطوطات الرائعة والمعروضة في دار المخطوطات والمكتبات التابعة لوزارة الأوقاف، فأبقت تلك المخطوطات ذكر أصحابها وخلدت أسماءهم، بل بقي العلم إلى يومنا هذا ينهل منه الباحثون والمحققون... وإذا أردت الاسترسال عن إدارة المكتبات والمخطوطات الإسلامية فربما لايقف القلم، ولكن هي دعوة لنقف معاً على ما حوت هذه الإدارة ونبدأ المشوار.

المخطوطة تراث الأمة الباقي:

وكانت وقفتنا الأولى مع الدكتور سعود العصفور مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية والذي قال: المخطوطة هي تراث الأمة الباقي، التراث الذي لم ينشر ولم يُعرف تراث العرب والمسلمين كأمة وحضارة... ومن هنا فإن إخراج هذا التراث وتحقيقه أمر مهم جداً ويقدم لنا جميعاً شتى أنواع المعرفة التي تركها لنا المبدعون في كل الفنون والعلوم النقلية منها والعقلية... فالمخطوطة كنز وتحقيقها ثروة والعمل بها ومن خلالها مجد ورقي. وعن مشاعره إذا حصل على مخطوطة جديدة يقول الدكتور سعود العصفور في تلك اللحظة: أشعر بسعادة غامرة لأنني أكون قد حصلت على علم جديد وصيد سمين... ولكن هنا لابد لنا نحن المسلمين أصحاب الحضارة ألا نبخس الآخرين حقهم في دفع السعر المناسب لذلك التراث الخالد.

وأضاف العصفور قائلاً: إن شراء المخطوطة يخضع لمعايير وأسس معروفة للعاملين في هذا المجال، فلابد من إخضاع تلك المخطوطة لمعايير الشراء من حيث: موضوعها، وزمن كتابتها، ومكانة مؤلفها العلمية. وكلما كانت المخطوطة قديمة كان لها قيمة تجارية تزيد من مكانة مؤلفها ويجب أن يُعرف هل هي بخط يده أم بخط ناسخ وهل كتبت في زمن المؤلف أم في زمن بعده... كل ذلك يؤثر في سعر المخطوطة.

انشاء إدارة المخطوطات

يقول الدكتور سعود العصفور: من أجل ذلك تأسست هذه الإدارة «إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية» العام ١٩٩٦م حيث كان الهدف من إنشائها هو حفظ هذا التراث الخالد وإبرازه بالصورة اللائقة وبعد تأسيس هذه الإدارة بدأ العمل على إخراج هذا التراث وإعطائه المكانة

● خالد عبدالله المطوطح

المطوطح: للنسّاخ الكويتيين دورهم في حفظ التراث

اللائقة به... والآن ولله الحمد يحق لنا أن نفخر وبشهادة المتخصصين في المراكز الأخرى العملية من داخل وخارج الكويت بأن لدينا إدارة للمخطوطات ذات مكانة متميزة وعمل متقن وكل ذلك بجهد الشباب وبدعم من الشيخ مشعل مبارك الأحمد الصباح رئيس قطاع الافتاء والبحوث الشرعية.

لجان متخصصة:

وعن اللجان المتخصصة العاملة على إبراز هذا التراث الإسلامي الخالد يقول الدكتور سعود العصفور: بشخصي المتواضع أحمل شهادة الماجستير والدكتوراة في التاريخ الإسلامي، وأحمل أيضاً شهادة الماجستير «تخصص وثقائق ومكتبات»، وحينما أنيطت إليَّ مهمة هذه الإدارة بدأت أسعى وأتلمس أوجه القصور إذكان لابد لنا من إظهار تلك النفائس لهذه الحضارة الإسلامية من ذلك الموروث العلمي فقد حرصنا من خلال قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالوزارة على تكوين لجنة تراث متخصصة تُعنى باستقبال طلبات التحقيق والنشر، وطلبات طباعة هذه المخطوطات وإخراجها بطرق علمية على هيئة كتب معتمدة... وهذه اللجنة مميزة في أشخاصها وما يحملون من مؤهلات علمية وكفاءة ميدانية وهم: الدكتور محمد عبدالغفار الشريف - عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية رئيساً. الدكتور سعود العصفور - مدير إدارة المخطوطات والمكتبات نائباً للرئيس. الدكتور محمد الأحمدي أبو النور - أستاذ علم الحديث في جامعة الكويت والوزير المصري السابق عضواً. الدكتور أحمد الحجي الكردي - خبير الموسوعة الفقهية - عضواً. الدكتور عبدالله غنيم - رئيس المركز الكويتي للوثائق التاريخية - عضواً. الدكتور وليد المنيس - مساعد عميد كلية الآداب لشؤون الأبحاث والدراسات العليا - عضواً. خالد شعيب - مدير البحوث والموسوعات - عضواً. ماهر السابر - مقرراً.

والحقيقة أن دور هذه اللجنة كان بارزاً في إسناد تحقيق المخطوطة لمن هو من ذوي الكفاءة العلمية والدراية الميدانية لأن هذه المخطوطة تنسب للمؤلف ولكن بعد التحقيق تصبح للمؤلف والمحقق معاً.

أقدم المخطوطات:

وفي أثناء التجول في معرض إدارة المخطوطات شاهدت الكثير من المخطوطات ذات القيمة العلمية وبخط المؤلف نفسه وقد وقفنا على الكثير منها حيث زودنا الدكتور العصفور بمعلومات قيّمة عن تلك المخطوطات، وهناك شاهدت أقدم مخطوطة في المركز وهي كتاب «الخصال والعقود والأحوال والحدود» لمؤلفه ابن البناء: الحسن بن محمد بن عبدالله أبو علي الحنبلي المتوفى العام ٤٧٠هـ ولكن الكتاب منسوخ العام ٤٦٠هـ أي في عهد المؤلف، وهذا يزيد من قيمة ذلك الكتاب ونفاسته.

وهنا أشار لي الأخ خالد المطوطح مراقب إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية لمخطوط آخر وهو «إدراك الغاية في اختصار الهداية» لمؤلفه

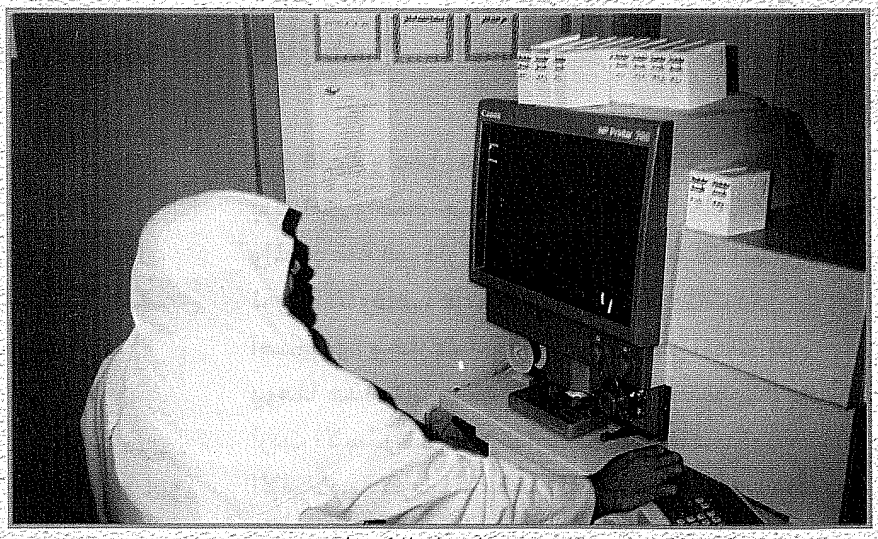

● جهاز قراءة الميكروفيلم

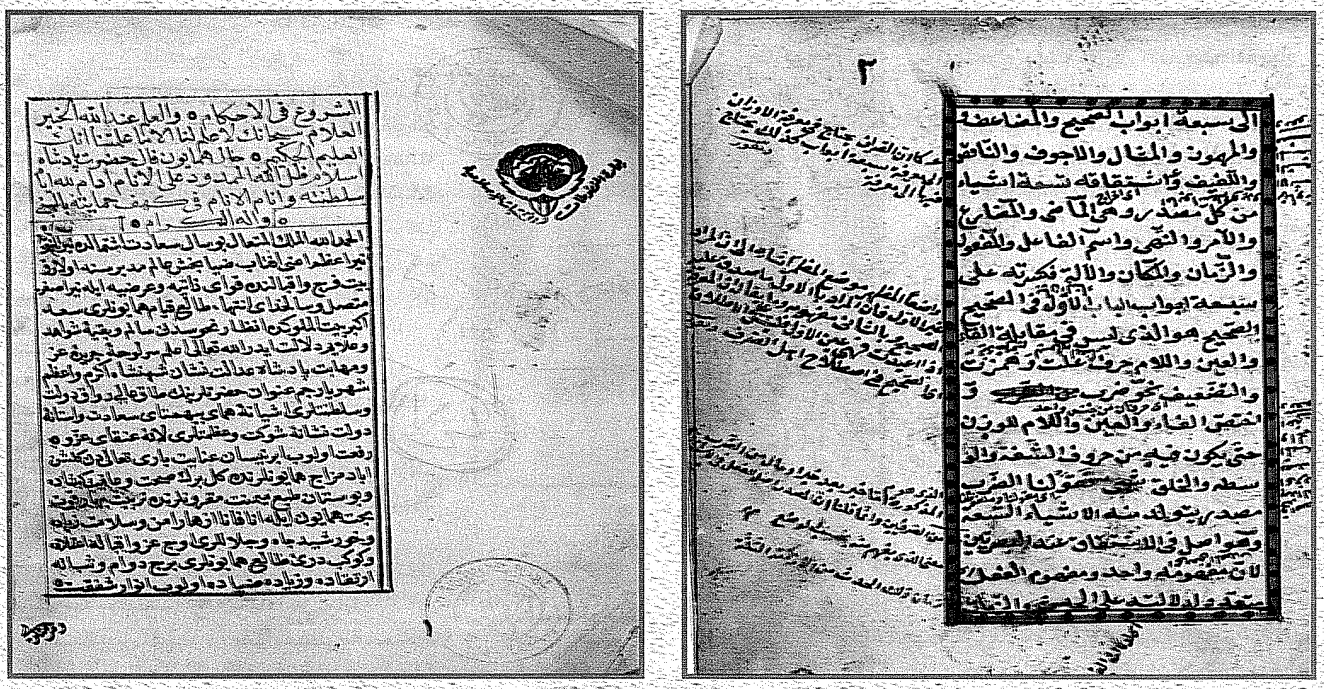

● بعض المخطوطات المحفوظة في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

ابن عبدالحق بن شمائيل عبدالمؤمن بن عبدالحق صفي الدين الحنبلي والمنسوخ العام ٧٢٣هـ... وهو بخط يد المؤلف نفسه وقد توفي رحمه الله العام ٧٣٩هـ.

النساخ الكويتيون ودورهم في حفظ التراث:

وقال الأخ خالد المطوطح وهو يأخذ بيدي: إن لأهل الكويت وعلمائها دور بارز في إثراء هذا العلم، ذلك أن الحركة العلمية في دولة الكويت لها مكانة قديمة، والدليل على ذلك أعمال النسخ والنسّاخ التي وجدت وذلك الاهتمام البالغ بالكتب والمخطوطات منذ زمن بعيد.

ووقفنا أمام مخطوط قديم هو كتاب نيل المآرب بشرح دليل الطالب لمؤلفه عبدالقادر بن عمر بن أبي تغلب بن سالم الشيباني الحنبلي وقد نسخه ابن الكويت المرحوم عبداللطيف بن عبدالرحمن ابن حمد المطوع.

ثم تحول بنا إلى مخطوط آخر هو «كتاب العين والأثر في عقائد أهل الأثر»، والمؤلف العام ٣١٠هـ لمؤلفه عبدالباقي بن عبدالباقي بن عبدالقادر تقي الدين البعلي، وقد نسخه بيده الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان.

الأيادي الخيِّرة

وتناول الدكتور سعود العصفور الحديث فقال: وتلك المخطوطات كنز لا يقدر بثمن ولدينا منها ولله الحمد ٢٤٠٠ مخطوطة أصلية وهي نسبة عالية قياساً للمراكز الأخرى... كذلك نملك نحو ٤٠ ألف مخطوطة مصورة جُمعت من شتى مراكز العالم المعروفة.

وأضاف العصفور قائلاً: وهنا لابد من الإشارة إلى روح الكرم العربي الأصيل المتأصلة في نفوس أهل الكويت، حيث أهدوا لنا ثروة علمية لا تقدر بثمن ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.

ورثة المرحوم عبدالله الخلف الدحيان. الأستاذ عبدالرحمن سالم العتيقي مستشار صاحب السمو. الشيخ أحمد الغنام.

وهناك أيضاً شخصيات من خارج الكويت شاركوا في الإهداء نذكر منهم:

الشيخ حافظ ثناء الله زاهدي رئيس مركز البخاري في باكستان. الأستاذ شامل الشاهين مدير مركز مرمرة في تركيا. مركز الشيخ جمعة الماجد والذي أهدى لنا جهاز الترميم الآلي.

المخطوطة كنز:

وتبقى المخطوطة تحكي لنا تراث أمه وتنقل لنا عصارة عقول الآخرين ولابد لأي مخطوطة حتى تنال هذا الاسم أن تكون منسوخة قبل القرن العاشر إذ اخترعت الطباعة بعده... ومن هنا تم وضع قواعد وأسس لمعرفة المخطوطة الأصلية من المزورة وذلك من خلال معايير علمية ثابتة ودقيقة مثل معرفة عمر المخطوطة الزمني - العصر الذي كتبت فيه - نوعية الورق المستخدم - نوعية المداد المستخدم - غلاف المخطوطة... إلخ.

ومن خلال هذه المعايير يستطيع الباحث المختص أن يتحقق من تلك المخطوطة، هل هي أصلية أم مزورة فهناك قسم المعالجات الكيمياوية والفحص المخبري لنوعية الورق والمداد.

وللمخطوطة الموقوفة مكانة مميزة فهي لا تباع ولا تهدى ولا يتم التبادل عليها إلا وفقاً لإجراءات صارمة... بل إن المخطوطة الموقوفة تبقى في الدار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك أن الشريعة الإسلامية الغراء تحرِّم التصرف بها.

ولكن لا مانع من الإهداء أو التبادل شرط أن تكون هناك أكثر من نسخة للمخطوطة نفسها أو أن تكون مصورة. وذلك من أجل الحفاظ عليها.

وقد عقدت اجتماعات متعددة مع الجهات المختصة في دول مجلس التعاون للوصول إلى أفضل السبل للمحافظة على هذا التراث العزيز، ومن ثم طرحنا فكرة إنشاء رابطة لمراكز المخطوطات في دول المجلس وقد رحب الجميع بتلك الفكرة. خصوصاً أن من أهدافها:

- تبادل الخبرات في مجال المخطوطات.
- تسهيل طلب المحققين والباحثين من طلبة الدراسات العليا في الحصول على بغيتهم من المخطوطات.
- ضمان عدم ازدواجية التحقيق فالمخطوطة التي تحقق في الكويت مثلاً لا تحقق في دولة أخرى.
- إصدار نشرة دورية محكمة في مجال نشر التراث وتبادل المعلومات.

وسيعقد بإذن الله اجتماع لإقرار تلك الرابطة في نهاية هذا العام، وللحرص على هذا التراث أيضاً تم عقد اتفاقات متنوعة مع مراكز عالمية مهتمة بالمخطوطات مثل مكتبة «خدابخش» في الهند والتي تحتوي بمفردها على ٢٨ ألف مخطوط عربي أصلي... كذلك هناك اتفاق مع

مركز مرمرة في تركيا ... وغيرها من المراكز.

المعشوقة الأثيرة:

وبابتسامة هادئة وطرح علمي موثق وأسلوب راق في الحديث وإيمان مطلق بأهمية ذلك التراث وباعتزاز العقيدة التفت إلينا الأخ خالد عبدالله المطوطح مراقب إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية فقال: المخطوطة معشوقة الشباب في هذه المراقبة... ومكانتها في النفوس واعتزازهم بها كتراث خالد جعلهم يقومون بالعناية بها أكثر من أي شيء آخر...

عملية حفظ المخطوطة:

ويقول الأخ المطوطح ما أن تتم عملية اقتناء المخطوطة حتى تبدأ عملية الفهرسة وتدوين المعلومات على بطاقات معينة تحمل: اسم المؤلف واسم الكتاب وسنة التأليف وسنة النسخ وعدد الأوراق.

- وصف المخطوطة حتى أن من يقرأ تلك القهرسة يجد نفسه كأنه يشاهدها عياناً.

- تشخيص المخطوطة «هل المخطوطة مصابة، فيها أرضة، فيها رطوبة، فيها نقص في البداية أو النهاية، هل هناك نسخ مشابهة لها في مراكز العالم المختلفة، ما رقم تصنيفها هناك.. إلخ».

وبأدب جم طلب إلينا أن نقف مع الأخ مساعد العتيقي رئيس قسم الحفظ والمعالجة ليشرح لنا تفصيلاً كيف يتم الحفاظ على المخطوطة.

يقول الأخ مساعد العتيقي: إن علم حفظ المخطوطات علم كبير ومجاله واسع جداً وهو يتم بناء على خطوات علمية مدروسة... فأول عمليات الحفظ تبدأ بالتعقيم حيث يتم إدخال المخطوطة إلى جهاز خاص فيه نوع من البودرة حيث يتم تسليط السخانات بحرارة معينة ترتفع تدريجياً ولمدة ستة أيام، يتم من خلالها قتل جميع الحشرات والفطريات والبكتيريا العالقة بالمخطوطة.

● مساعد العتيقي

العتيقي: عملية حفظ المخطوطة تمر بمراحل مدروسة

بعد ذلك يتم إخراج المخطوطة، حيث يبدأ المرمم وبدقة متناهية وبوساطة الفرشاة بتنظيف المخطوطة، ثم يقوم بعد ذلك بوضعها داخل جهاز التنظيف على الناشف ويقوم الموظف بالجلوس خلف حاجز زجاجي، ومن ثم يدخل يديه إلى الجهاز ويبدأ بتغليف صفحات المخطوط بينما يبدأ الجهاز بسحب كل ما هو عالق بالمخطوطة حتى تخرج سليمة من كل الآفات العالقة بها.

ثم تبدأ مرحلة غسل المخطوطة سواء كان ذلك بالكحول أو بالماء، ولكن قبل ذلك لابد من التأكد من نوعية المداد والمادة المناسبة للغسل حيث إن بعض المداد يزال بالماء... وهناك من المخطوطات ما تحتاج إلى مادة «المسبار» لغسلها إذ تعمل هذه المادة بعد وضعها على المداد على حفظه من الزوال وبعد إتمام عملية الغسيل يتم رفع هذه المادة عن محتويات المخطوطة.

وما أن تتم عملية الغسل حتى تبدأ عملية الترميم على يد المرمم المختص وهذا يكون بمثابة الدكتور الذي يشخص المرض ثم يصف له الدواء المناسب، فالمرمم يقوم بتقدير مدى إصابة المخطوطة ونوعية الإصابة، ثم يبدأ في العلاج سواء أكان ذلك يدوياً أم على الجهاز الآلي الخاص بالترميم.

الغرفة الكنز

وبكل عناية تُحمل المخطوطة إلى خزانة خاصة ذات مواصفات معينة وبعد أن يتم تصويرها على الميكروفيلم والميكروفيش يوضع أصل تلك المخطوطة في تلك الخزانة ثم تنقل إلى غرفة الحفظ وهي محكمة الإغلاق ومعزولة بمادة معينة ومزودة بفلاتر مركزية تنظف الغرفة بصورة مستمرة من أي شوائب أو عوالق سواء أكانت بكتيريا أم حشرات أم أتربة... وهناك جهاز لضبط الحرارة بين ١٥ - ٢٠ درجة مئوية وضبط درجة الرطوبة بين ٥٠ - ٥٥ درجة... كذلك يوجد جهاز حريق يعمل تلقائياً.. كل ذلك لتبقى تلك المعشوقة «المخطوطة» في أمن وسلام داخل إضبارة خاصة في خزانة ضد الحريق في غرفة ضد كل التقلبات الجوية وغيرها.

كنز في داخله كنز:

كنت أستمع للأخ مساعد العتيقي عن تلك الغرفة العجيبة ذات المواصفات الغريبة وأنا مُدهش مما أسمع وأشاهد... كل ذلك من أجل المخطوطة ولم أتمالك نفسي إلا وأنا أتوجه للأخ مساعد قائلاً: هل لي أو لغيري أن يشتري هذه الغرفة بما فيها، وكم تطلب ثمناً لذلك... فتبسم الجميع وكانت الإجابة واحدة... إنها أغلى مما تتصور أن الثروة العلمية والكنوز التراثية التي فيها لا تقدر بثمن... فما كل تلك الآلات وهذه الاحتياطات إلا لحماية تلك المعشوقة «المخطوطة».

إخطار وإصرار:

وعقّب الأخ مساعد العتيقي قائلاً: إننا نعرض أنفسنا للخطر من أجل أن تبقى المخطوطة سليمة ومن أجل أن يبقى التراث محفوظاً للباحثين والمحققين، إن تلك الحشرات والفطريات تسبب أمراضاً لمن لا يحتاط منها... وقد انتبه المسؤولون لذلك فخاطبوا الوزارة والمجلس الطبي

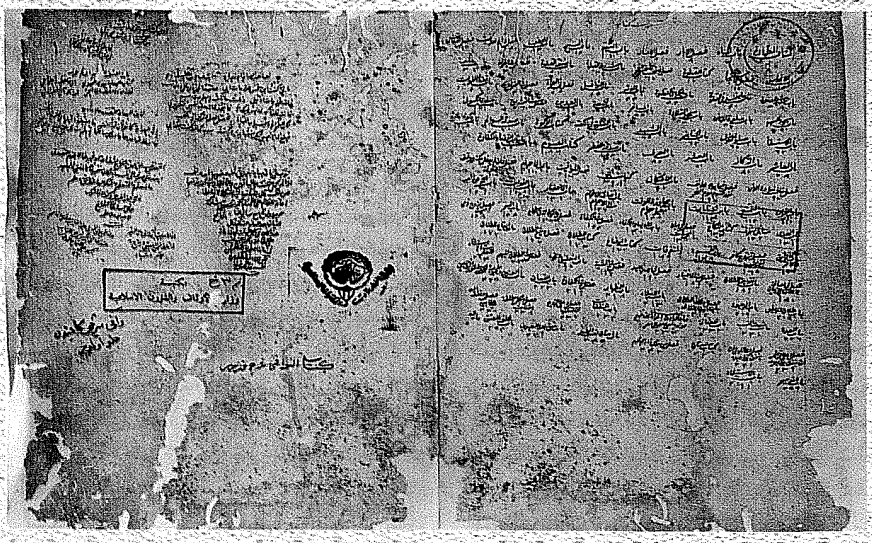

● جهاز التعقيم وبداخاله إحدى المخطوطات

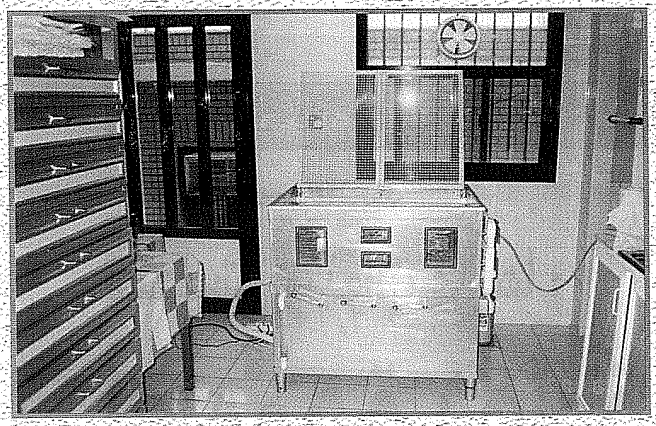

● جهاز الترميم الآلي للمخطوطات

العام الذي شكل لجنة لذلك ومنح علاوة خطر للعاملين ونحن بانتظار النتيجة... ثم إن خطر مادة الأمونيا المستخدمة في التصوير كبير جداً... فإذا كنا نفضّل تلك المخطوطة على أنفسنا فهل نفكر بعد ذلك في بيعها... إنه أمر مجال محال.

فن الإيبرو:

وسار بنا الأخ خالد المطوطح إلى مكان آخر وقال: ماذا تقول في هذه الرسومات واللوحات... فإذا بي أقف أمام لوحات فنية جميلة وغاية في الدقة والروعة... ولم ينتظر مني الإجابة... وإنما استطرد قائلاً إن الأمة الإسلامية أمة ذات حضارة وعطاء حتى إن العلماء أدخلوا بعض الفنون الأخرى إلى المخطوطة كفن الإيبرو... وهو باختصار فن جميل رافق فن الخط العربي عبر فترة تاريخية طويلة فأضفى عليها حلة جمالية.

ويمكن تعريف هذا الفن بشكل مبسط بأنه مداد ملون على شكل سائل واستغلال استقرارها على سطح هذا السائل على شكل بقع لونية وذلك بتحويلها إلى هيئات وأشكال يمكن نقلها وطباعتها على الورق بالتماس المباشر.

ويقال إن هذا الفن «الأيبرو» ظهر في اليابان وهناك من يقول إنه ظهر في تركستان «آسيا الوسطى» وانتقل إلى إيران ثم تركيا... حتى إن فرنسيس بيكون الفيلسوف يقول عنه: «لدى المسلمين الأتراك فن جميل لمزج الألوان لا نملك أن نقوم بمثله، رأيتهم يأخذون الألوان الزيتية ويضعون تشكيله منها على شكل قطرات تطفو على سطح الماء ويحركون الماء قليلاً لإحداث تداخلات لونية متماوجة وبها تعاريج رخامية وأحياناً تبدو كجلد الحرباء».

سر مرارة الثور:

ووقفت مدهوشاً أسمع شرحاً لكيفية هذا الفن الجميل حيث إن هناك وعاء مستطيل الشكل من الألمنيوم أملس الجوانب... حيث توضع بداخله مادة الكثيراء المستخرجة من نبات عشبي لتخلط بالماء المقطر وتسكب في الحوض... ثم يُؤتى بفرشاة مصنوعة من شعر ذيل الحصان... وتخصص كل فرشاة للون معين وبعد خلط الألوان الطبيعية وتشكيلها يضاف لكل زجاجة من الألوان قطرات من سائل مرارة الثور والتي فيها يكمن سرّ فن الإيبرو... حيث إن سائل مرارة الثور يعمل على تحقيق الاتساع المطلوب لنقطة اللون على سطح السائل وضمان استمرار اللون عند سحبه باستخدام الإبرة. ومتع امتزاج الألوان مع بعضها بعضاً على سطح السائل وتثبيت الأصباغ على الورق.

ويُبدأ بعد ذلك وبطريقة فنية عملية رش اللون المطلوب ويتكرر ذلك مع الألوان الأخرى المرغوب رشها لكل تصميم، وبعد تمام تشكيل التصميم المطلوب من خلال الإبرة المخصصة لتحريك الألوان يتم وضع الورقة فوق سطح الوعاء ولمدة عشر ثواني تقريباً بغية امتصاصها للتشكيل المعمول ثم يتم سحبها إلى الخارج لتكون بين يديك لوحة فنية رائعة.

جهاز التعقيم الآلي «الماجد»:

وتبقى العقلية العربية الإسلامية في محيط العطاء مستمرة وبقي الإبداع عالياً... ذلك أن هذه المخطوطة وذلك التراث يحتاجان إلى حفظ ورعاية حيث تسابقت الأمم على تسخير الآلة لخدمة وحفظ هذا التراث إلى أن أنتجت ألمانيا جهازاً آلياً لترميم المخطوطات... ولكنه للأسف لم يستخدم في البلدان العربية وذلك لغلاء ثمنه «٨٠ ألف دولار» وغلاء ثمن الألياف السيللوزية المستخدمة فيه «٣٠٠٠ دولار للكيلو الواحد» أضف إلى ذلك تعقيد الجهاز وتكلفة صيانته الدورية الباهظة وقلة الخبراء العاملين عليه... من أجل ذلك تعذر انتشاره في البلاد العربية... ولكن العقلية العربية أبت إلا أن تبقى متقدة واستطاع الشاب العربي السوري بسام داغستاني الخبير بمركز جمعة الماجد في دبي تصنيع جهاز مشابه للجهاز الألماني أعطى النتيجة نفسها بالنسبة للترميم ولكن بتكلفة قليلة جداً وبمواد متوافرة ورخيصة مستخلصة من نبات القنب «الخيش» وسعف النخيل... وقد نال الجهاز شهادة الجودة من مؤسستين عالميتين هما الايسيسكو واليونسكو... وحصلت مادة الفيبر المستقاة من سعف النخيل والقنب على شهادة جودة من الخبير الفرنسي بباريس.

والحقيقة أن طريقة عمل جهاز الترميم الآلي «الماجد» عملية بسيطة تبدأ بملء الخزان الرئيس بالماء عبر صمام الإدخال حتى مستوى العلامة المحددة على أنبوب القياس ثم يبدأ في ضخ الماء إلى الداخل بعد أن توضع المواد المراد ترميمها على الشبكة وبعد التأكد من خلوها من الفقاعات الهوائية ليتم بعد ذلك إنزال الغطاء الشبكي على المواد السابقة ثم يضخ الماء بالدرجة المطلوبة وتسكب الألياف السيللوزية المستخلصة من القنب ويتم تحريكها باليد ليتم التجانس، وبعدها يفتح صمام الضغط السالب ويرفع الغطاء الشبكي وبهدوء ثم يفرغ الماء وفي المستوى العلوي لتخرج لك المخطوطة بعد ذلك وقد تم ترميمها وبصورة دقيقة وسلسلة.

علم وعمل وبذل وأمل:

وظلت الجولة مستمرة في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية التابعة لقطاع الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لترسم لنا جميعاً ما خلفه الأجداد من ذلك التراث الخالد وذلك الموروث الإنساني الذي يحكي ويضمت حياة هذه الأمة... وحينما نلتقط إحدى تلك المخطوطات ونطلع على ما فيها من علم وعلى الجهد الذي بذله المؤلف في جمع مادتها العلمية ومن ثم تدوينها بيده تقف مبهوراً أمام تلك الروح العالية في الإخلاص للعلم وفي الصبر عليه وفي الحلم والتأني في تدوينه، بل تقف مبهوراً أمام تصميمه على تجميل خطه ورسمه لتبقى تلك المخطوطة إضافة إلى علمها جميلة في مظهرها... وصدق من قال: الخط لسان اليد، والقلم أحد اللسانين، والعلم شجر والخط ثمر. ■

بقلم : إدريس الكنبوري

بعد عشر سنوات عليها :

أطروحة نهاية التاريخ والمركزية الحضارية الغربية

كانت نهاية عقد الثمانينات وبداية التسعينات مرحلة تميزت في التاريخ العالمي الحديث بسرعة التحولات الدولية وتسارع الحركة على المستوى الدولي، ففي دول المنظومة الشيوعية أو ما كان يطلق عليه المعسكر الشرقي، كانت الأنظمة الشيوعية الحاكمة تنهار تباعاً تحت معول الثورة الجديدة التي فتحتها البيريسترويكا والغناسنوست، وأخذت الأقليات العرقية والدينية تخرج إلى العلن معبّرة عن مطالبها في التحرر والاستقلال الذاتي عن الإمبراطورية السوفييتية أو المظلة اليوغسلافية، وتقرير مصيرها والعودة إلى تاريخها وتقاليدها المحلية التي طمستها الأيديولوجية الماركسية بقوة الحديد والنار، وشكل هدم جدار برلين وتوحيد الألمانيتين الشرقية والغربية اللتين كان تقسيمهما بعد الحرب العالمية الثانية رمزاً لانقسام العالم إلى قطبين متقابلين اشتراكي ورأسمالي نهاية لظاهرة الثنائية القطبية وبداية الزحف الشرقي نحو الجناح الغربي سياسياً واقتصادياً وأيديولوجياً، وبدا للوهلة الأولى أن التحولات العميقة التي شهدتها دول المعسكر الشيوعي لم تكن بحثاً عن طريق جديد أو مسالك مغايرة للاشتراكية السابقة والرأسمالية المتوحشة بقدر ما كانت تلك التحولات تعبيراً عن الرغبة في اللحاق بالنمط الاقتصادي والخيار الأيديولوجي للرأسمالية الغربية والأميركية التي كان نموذجها يغري الشعوب في تلك الدول، حيث تكميم الأفواه والتخطيط الذي لم يقتصر على المجال الاقتصادي، بل تحول إلى عملية تعليب أو برمجة جاهزة للإنسان ولحريته.

وهكذا بات الغرب الرأسمالي مزهواً أمام هذه التحولات في المعسكر المقابل الذي طالما قاسمه العداء، وظهرت نهاية الحرب الباردة كعلامة انتصار كبرى للنموذج الاقتصادي الغربي، ما شكل سبباً في انبعاث النزعات الأوروبية والغربية القديمة المتمثلة بالخصوص في مركزية الغرب الحضارية وأهليته على قيادة العالم غير الغربي، ولأن الولايات المتحدة الأميركية هي الدولة الكبرى التي تقف على رأس هرم الرأسمالية الغربية وتتزعم قيادة النظام العالمي الجديد الذي كان قد بدأ التبشير به منذ بداية هذا العقد، وكان من الطبيعي أن تعتبر نهاية الحرب الباردة وغياب الاتحاد السوفييتي تأكيداً نهائياً لغلبتها وانتصارها واحتلالها مركز القوة الوحيد في العالم.

وفي هذا الإطار التاريخي الجديد المتولد كان لابد أن تظهر أطروحة أيديولوجية تسند فرضية الهيمنة الغربية عموماً والأميركية على وجه الخصوص، فظهرت مقولة «نهاية التاريخ» لفرانسيس فوكوياما الياباني الأصل والأميركي الجنسية، وبالتأكيد فإن فوكوياما حاول ترجمة الإحساس الأميركي والأوروبي بالنصر التي كانت حاجة لابد منها في ذلك المشهد العالمي الجديد قيد التشكل، بحيث إن الغرب كان سيبحث عمن يحرك هذه المقولة أو شبيهاً بها لتسويغ هيمنته حتى وإن لم يكن هو فوكوياما نفسه، ففي كل محطة من محطاته، كان الغرب يبحث عن ما يؤسس شرعيته عالمياً، ويدعم سياساته الدولية ذات الطابع التوسعي ويبرر أدواره وأهدافه العالمية التي تتجاوز حدوده القومية، إذ في العهد الاستعماري وجدنا الغرب

ينتج نظريات حضارية وثقافية تقدم مفاهيم محددة للتقدم والتخلف لتبرير حملاته الاستعمارية، ونشأت في النصف الأول من هذا القرن نظريات استشراقية تحاول رد التقدم والتخلف إلى أسباب عرقية أو دينية أو جغرافية ومناخية تضع الشعوب المتخلفة بباقي مناطق العالم في مربع التخلف وتعطي للغرب ذريعة القيام بدور «إنساني» في نقلها إلى صف الحضارة، وتأهيلها للتقدم، وهكذا أصبحت النظريات والمفاهيم الثقافية والفكرية الأوروبية والأميركية عرضة للتغير والتبدل مع كل محطة من محطات الحضارة الغربية الحديثة، بحيث إن النظريات تتبع الأحداث وليس العكس، حتى أصبح خلق النظريات الفكرية «موضة» غربية تتغير باستمرار كما تتغير الأزياء، ويكفي أن نشير إلى تسارع ظهور بعض هذه المقولات والنظريات في هذا العقد وحده، منذ أطروحة النظام الدولي الجديد مروراً بنهاية التاريخ وصراع الحضارات وصولاً إلى الطريق الثالث الذي ظهر أخيراً.

وأطروحة «نهاية التاريخ» لفوكوياما هي بالدرجة الأولى مقولة أيديولوجية أكثر مما هي أطروحة علمية لها ما يؤكدها في الواقع التاريخي للدول والشعوب، سواء في المراحل التي سبقت ظهورها أو في تلك التي أفرزتها التطورات بعد ظهورها والفكرة المركزية لهذه المقولة هي أن التاريخ الإنساني قد حقق نضوجه واكتماله مع الدولة الرأسمالية المعاصرة، وأن ما شهده التاريخ البشري السابق لم يكن سوى تمهيد لهذا الانتصار الذي يعتبر نهاية للتاريخ وبروزاً لإنسان جديد هو الإنسان الأخير الذي حقق الاعتراف الكامل به كإنسان حرّ في مجتمع ليبرالي ديموقراطي، كما حقق كل رغباته وحاجاته في نظام رأسمالي أساسه الاستهلاك والوفرة الاقتصادية، فنهاية التاريخ هي بهذا الاعتبار إعلان بانتصار الليبرالية الاقتصادية «الرخاء» والليبرالية السياسية «الحرية» معاً.

غير أن هذه المقولة، على الرغم من الجلبة الإعلامية التي رافقتها ولحقتها إلى اليوم، لم تكن من النجاعة والسلامة المنطقية التي ترسخ بقاءها كمقولة علمية لها أسانيد، لكن ذلك، في المقابل، يؤكد ما ذهبنا إليه من أنها واحدة من القوالب المفاهيمية الجاهزة التي تهدف إلى تسويق أهداف محددة أكثر مما تسعى إلى التعبير عن حقيقة قائمة.

لقد أغفل فوكوياما عند صياغة أطروحته تلك، نماذج عدة، وحالات تعاكس منطقها وتفنده، وأول هذه النماذج هو النموذج الياباني الذي كثيراً ما تمت الإحالة إليه من طرف مفكرين غربيين أنفسهم من طينة فوكوياما كنموذج حضاري متميز عن النموذج الغربي في تحقيق التنمية الاقتصادية ومجتمع الرفاه والوفرة بعيداً عن الأنماط الغربية والأوروبية، ومن داخل المنظومة الثقافية والدينية الآسيوية لليابانيين التي تختلف نظرتها إلى قيم السوق والعمل، وإلى الإنسان نفسه، عن نظرة الغرب، كما أن النجاح الاقتصادي للنمور الآسيوية هو الآخر يؤكد فشل تلك المقولة، وإذا كانت أطروحة فوكوياما تستمد مشروعيتها من زعم الارتباط بين الديموقراطية السياسية والوفرة الاقتصادية الذي تمثله في نظره الدولة الرأسمالية الغربية، فإن النماذج الآسيوية تؤكد بوضوح أن الوفرة الاقتصادية يمكن أن تتحقق حتى في المجتمعات ذات الأنظمة الشمولية، وحالات اليابان والدول الآسيوية المذكورة خير دليل على ذلك.

لكن دفاع فوكوياما عن الحضارة الرأسمالية الغربية واعتبارها نهاية التجارب البشرية وأرقى ما وصلته الإنسانية في تاريخها يصطدم بواقع الدول الرأسمالية نفسها، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية قمة هذا الهرم الرأسمالي، فتصوير العالم الغربي على أنه الفردوس الأرضي أو الجنة الاقتصادية ومهد الرخاء والوفرة والحرية يجانب الحقيقة ويجنح إلى أقصى حدود الخيال، ذلك أن انتشار الظواهر الاجتماعية التي تهدد كيان الغرب ووجوده، وذيوع الإجرام والاغتصاب والمخدرات وبروز مرض السيدا الفتاك «الإيدز»، والتفكك الأسري، كل هذه الظواهر وغيرها تثبت اهتراء مقولة فوكوياما وسوقطها، كما أن المجتمعات الغربية والأميركية خصوصاً مازالت تعشش فيها الصراعات الإثنية والعرقية والطائفية، وتبين لنا قضية «مونيكالوينسكي» التي تهدد بإطاحة الرئيس الأميركي بيل كلينتون أن السلطة نفسها في الولايات المتحدة لم تعد بمنجى من التسيب الخلقي والانفلات القيمي الذي يسود في المجتمع الأميركي، وأن ظواهر الشارع وانحرافاته بدأت تتسرب إلى دواليب السلطة ودوائر الحكم، بمعنى آخر أن من يمثلون المواطنين الأميركيين ويقدمون المثال والقدوة في المواطنة والأخلاق سقطوا هم الآخرين في الحمأة.

إذن لا يمكن النظر إلى أطروحة فوكوياما حول نهاية التاريخ إلا باعتبارها أطروحة أيديولوجية هدفها تمجيد المركزية الحضارية الغربية والذاتية الأوروبية ووسيلة لتسويق النموذج الغربي على نطاق واسع، ويعتبر ظهور مفهوم «الطريق الثالث» أخيراً من وحي المزاوجة بين قيم السوق والضوابط الاجتماعية، كما كتب ذلك رئيس الوزراء البريطاني توني بلير في مقال ترجم إلى كل اللغات ونشر على نطاق واسع، يؤكد أن الغرب لم يستقر بعد على نموذج بعينه، وأنه في طور البحث عن آليات جديدة لضبط التحولات الداخلية فيه واستباق الانفجارات التي تهدده. ■

أجرى الحوار : تمام أحمد

رئيس مركز الأناضول الإسلامي في كندا الاستاذ بن علي بلوط لمجلة الوعي الإسلامي :

الجالية الإسلامية في كندا بحاجة إلى معهد إسلامي متكامل

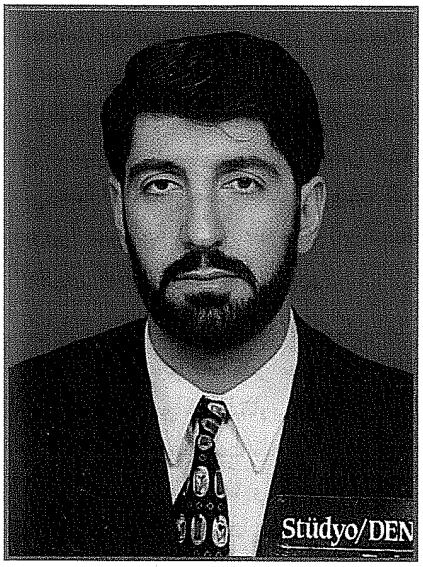

● الاستاذ بن علي بلوط

خلال زيارته الأخيرة للكويت التقت مجلة الوعي الإسلامي الأستاذ بن علي بلوط رئيس مركز الأناضول الإسلامي في مقاطعة أونتاريو الواقعة في الجزء الجنوبي من كندا حيث سلط الأضواء على أوضاع الجالية الإسلامية هناك واحتياجاتها والدور الذي يؤديه المركز من أجل الحفاظ على هوية المسلمين العقدية والفكرية والثقافية.

● في البداية نود أن تقدموا للإخوة القراء نبذة مختصرة عن الوضع العام في كندا.

- كندا من حيث الموقع: تقع في الجزء الشمالي من قارة أمريكا الشمالية ومساحتها عشرة ملايين كيلو متر مربع، يعيش فيها ما يقارب ثلاثين مليوناً، واللغة الرسمية فيها هي الإنجليزية والفرنسية، ويعيش غالبية السكان في الجزء الجنوبي من البلاد، وخاصة في مقاطعة أونتاريو التي يبلغ عدد سكانها حوالي عشرة ملايين نسمة، ويعيش في مدينة تورنتو لوحدها ما يقارب ثلاثة ملايين ونصف نسمة ويصل عدد المسلمين المقيمين في مدينة تورنتو حوالي ٣٥٠ ألف نسمة، أيضاً مقاطعة الكيبك حيث يعيش فيها ما يقارب سبعة ملايين نسمة منهم حوالي ١٠٠ ألف مسلم.

تعتبر مدينة تورنتو هي العاصمة التجارية لكندا، حيث تتركز فيها معظم المصانع والشركات والتجارة الخارجية.

وحتى عهد قريب، لم يكن للجالية المسلمة على الرغم من كثرة أفرادها تجمع واحد يسدد مسيرتهم ويؤمن لهم الخدمات، ويمثلهم لدى الحكومة الكندية.

● وماذا عن الوضع الاجتماعي للمسلمين في كندا؟

- يتشكل غالبية أفراد الجالية المسلمة من عائلات كثيرة العدد وتتميز بقلة الدخل عادة، يشتغل بعضهم في مصانع أو شركات

منهجنا إيصال العقيدة الصحيحة للناس وتصحيح الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها كثير من المسلمين في ديار الهجرة

يمتلكها غيرهم، وقد اشترى المسلمون عدة مراكز إسلامية وأماكن للعبادة صغيرة وكبيرة الحجم تجمع حولها أفراد الجالية مما ساعد أيضاً على إنشاء بعض المصالح التجارية التي تقوم على خدمة المسلمين، وعلى الرغم من هذا الأمر الطيب، إلا أنه لا يساعد كثيراً على حل مشكلات الجالية المسلمة التي ذكرتها.

وهناك بشائر لتحسين وضع الجالية المسلمة من نواحي عدة وهي أن الأجيال المسلمة الناشئة التي درست في الجامعات والمعاهد المختلفة والتي زودت بمختلف أنواع العلوم سوف يتهيأ لها فرصة العمل والمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها أكثر مما تهيأ للأجيال الأولى وهذا يبشر بخير إن شاء الله.

● باعتقادكم ما أبرز المصاعب والاحتياجات الضرورية للجالية المسلمة في كندا؟

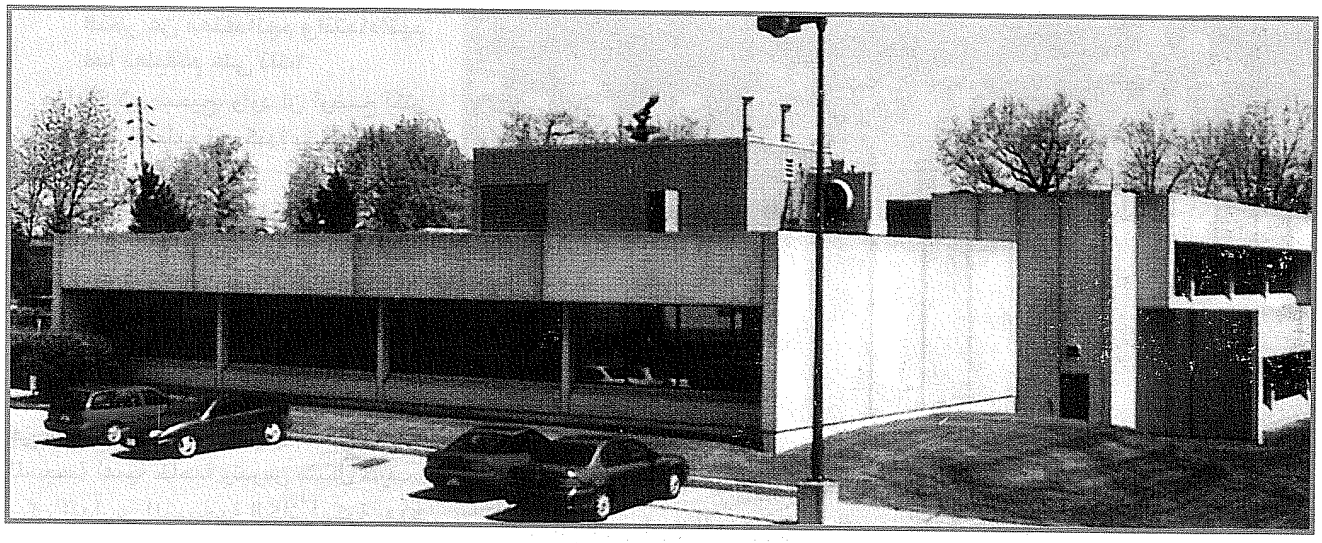

- يواجه المسلمون في كندا أربع صعوبات أساسية:

أولاً: أماكن للعبادة.

ثانياً: الحاجيات التعليمية والتربوية، فعلى الرغم من أن القانون الكندي يمنح حرية العبادة لجميع أفراد المجتمع، وكذلك إنشاء مدارس لأفراد الجاليات المختلفة، إلا أن الجالية المسلمة تعاني من قلة الموارد المالية للقيام بإنشاء مدارس توفر التربية الإسلامية لأفرادها.

ثالثاً: الحاجة إلى سوق مركزي إسلامي يتوافر فيه حاجيات الأسرة المسلمة اليومية من اللحوم وغيرها من المواد الغذائية.

رابعاً الحاجة إلى وجود أماكن ترفيهية يجتمع فيها أفراد الجالية المسلمة والشباب المسلم ويقضون فيها أوقاتهم، ويتعلمون ما ينفعهم من أمر دينهم وثقافتهم.

من هذا المنطلق قمنا بشراء المبنى الذي يضم مركز الأناضول الإسلامي مع محتوياته، وقد بدأنا بجمع التبرعات من الجالية المسلمة، والحمد لله رب العالمين فقد تم تجميع حوالي ربع قيمة المبنى.

● وما الخدمات التي يقدمها المركز؟

- يقدم المركز أربع خدمات رئيسة هي:

١ - الخدمات العلمية: وهي إقامة الصلوات الخمس اليومية، وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة وكذلك صلاة العيدين ومحاضرات أسبوعية في أيام الجمعة والسبت والأحد، وتعليم القرآن الكريم للأولاد والناشئة، وتقديم محاضرات في مختلف العلوم الإسلامية الأخرى، كذلك إقامة المؤتمرات الإسلامية ودعوة واستضافة علماء وأساتذة من العالم الإسلامي لعمل المحاضرات والدورات في مختلف العلوم الشرعية.

٢ - الخدمات الاجتماعية والثقافية: دورات في التعليم المهني، وكذلك دورات في تعليم اللغات العربية والإنجليزية والتركية، وكذلك إقامة الحفلات الإسلامية في الأعياد والأعراس، كذلك عمل دورات في الكمبيوتر، إضافة إلى الرحلات الجماعية ومعارض للأعمال اليدوية، وخدمات للترجمة القانونية للقادمين الجدد والأمور المتعلقة بدائرة الهجرة، إضافة إلى النشاطات الرياضية المختلفة.

٣ - الخدمات التعليمية: روضة للأطفال من سن الثالثة إلى السادسة، الإعداد لإنشاء مدرسة بدوام كامل تضم الصفوف الابتدائية والإعدادية والثانوية، عمل مخيمات علمية تعليمية للبنين والبنات، عرض أشرطة فيديو لبعض المحاضرات العلمية.

٤ - الخدمات الاقتصادية: دورات تعليمية اقتصادية، دورات لتعليم المحاسبة والسياقة، إقامة سوق إسلامي يحتوي على المواد الغذائية واللحوم الحلال، مع ثلاجات لحفظ اللحوم الحلال.

● منهجكم في التعليم مم تستمدونه؟

- منهجنا هو منهج الإسلام الواضح، نتبع في ذلك كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ، وسلفنا الصالح الذين كانوا في إسبانيا وفي البلقان وفي آسيا الوسطى وفي بلاد كثيرة أخرى، نبغي من ذلك إيصال العقيدة الصحيحة للناس وتصحيح الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها كثير من المسلمين في ديار الهجرة والغربة.

● سمعنا أن التعليم في كندا مجاني لجميع الناس بغض

النظر عن معتقداتهم وانتماءاتهم فما تعليقكم على ذلك؟

- هذا الكلام صحيح، وأود أن أوضح أكثر من ذلك بأن التعليم في كندا يتم من خلال ثلاث أنواع من المدارس:

١ - المدارس الحكومية. المدارس الحكومية تعطي فرصة التعليم المجاني لمواطنيها جميعاً، وفي هذه المدارس يتمكن جميع الأجانب الحاصلين على إقامة من التعليم في هذه المدارس من دون مقابل، ولكن في هذه المدارس المستوى التعليمي رديء بالإضافة إلى ذلك، فإن المناهج التعليمية تعطي الديانة المسيحية أهمية خاصة وتدرس بشكل كثيف.

٢ - المدارس المسيحية الكاثوليكية. هذه المدارس تابعة للكنيسة الكاثوليكية ومدعومة بالكامل من الحكومة والدولة، والمستوى التعليمي فيها عالٍ وجيد.

٣ - المدارس الأهلية «الخاصة». هذه المدارس مؤسسة من قِبَل المؤسسات الخيرية الخاصة «الإسلامية - المسيحية» أو الأشخاص الميسورين وهذه المدارس لا تحظى بأي دعم مادي من الدولة.

والحكومة الكندية وضعت شروطاً عدة لإنشاء المدارس الخاصة:

أ - مبنى مناسب.

ب - عدد كافٍ من الطلاب.

ج - رأسمال كافٍ لإدارة المدرسة ويشمل رواتب الموظفين لمدة عام في حالة توافر الشروط السابقة، فالحكومة لا تمانع في فتح مدارس أهلية للتعليم الإسلامي في كندا.

● **لماذا إذن لا يفتح المسلمون مدارس أهلية خاصة بهم؟**

- كما ذكرت سابقاً التعليم الإسلامي في كندا يمكن أن يتحقق عن طريق الجمعيات الخيرية الإسلامية أو الأشخاص الأغنياء، وعلى الرغم من تقديم الحكومة تسهيلات لفتح المدارس، إلا أنها لا تقدم أي إعانات مادية إليها. لذلك، فإن فتح مدارس من هذا النوع يتم عن طريق التعاون بين الإخوة المسلمين في دفع القادرين إلى البذل في مجال الخير.

المسلمون في كندا عبارة عن عمال وأصحاب دخول منخفضة لذلك لا يمكنهم فتح مدارس من هذا النوع، ويضطر كثير من أبناء المسلمين إلى الذهاب إلى المدارس الحكومية المسيحية بسبب قلة المدارس

الأجيال المسلمة الناشئة التي درست في الجامعات سوف يتهيأ لها فرصة العمل والمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية

الإسلامية وعدم كفايتها من الناحية التعليمية الإسلامية، وبذلك يفقد أبناء المسلمين الهوية الإسلامية الأصلية، وأن المدارس الحكومية والكاثوليكية تهدف إلى إبعاد أبناء المسلمين عن دينهم الإسلامي وثقافته والتشجيع على الديانة الكاثوليكية.

وعلى الرغم من شعور المسلمين بهذه الحملة ونظراً لإمكاناتهم المادية الضيقة، فهم يقفون عاجزين عن العمل في فتح مدارس خاصة بهم، ومما يزيد الحاجة إلى التعليم الإسلامي، أنه يعيش في مدينة تورنتو أكثر من ٣٥٠ ألف مسلم، ولهؤلاء المسلمين أكثر من ٣٠ ألف ابن وابنة في حاجة إلى التعليم الابتدائي والمتوسط. ومن هؤلاء المحتاجين إلى التعليم يواصل فقط ٧٥٠ طالباً وطالبة تعلمهم في المدارس الأهلية الإسلامية منهم ٣٠٠ طالب وطالبة يواصلون تعليمهم في مدرسة (ISNA) الخاصة فيما ينتظر أكثر من ٦٠٠٠ طالب دورهم للحصول على التعليم في الوقت الحاضر للأسباب التي ذكرتها، وهكذا يظهر لنا مدى احتياج الجالية الإسلامية في كندا إلى معهد إسلامي متكامل.

● **يوحي اسم مركزكم «الأناضول» بأنه خاص بالمسلمين الأتراك فما تعليقكم؟**

- نحن في المركز نسعى لخدمة المسلمين جميعاً في تلك البلاد بغض النظر عن جنسياتهم وأعراقهم والخدمات التي يقدمها المركز مفتوحة أمام الجميع، وقد تأسس هذا المركز عام ١٩٩٠م وبدأ بمبنى صغير مساحته ٤٠م٢، وفي عام ١٩٩٤م، انتقل المركز إلى مبنى مساحته ٥٠٠م٢، ويتسع إلى ١٠٠ مصلٍ، وفي عام ١٩٩٨م تم شراء مبنى كبير تقدر مساحته بـ١١ ألف م٢، ومساحة البناء ٣٠٠٠م٢، وهذا يتسع لعدد كبير من المصلين مما يجعله من أكبر مساجد تورنتو وهو مركز متكامل لجميع الأنشطة العامة، ولازال هذا المركز عليه دين حوالي مليون دولار من جراء تكاليف التجهيز والإعداد، ونأمل من الإخوة المحسنين دعمنا حتى نتمكن من أداء المهام الكبيرة الملقاة على عاتقنا والله لا يضيع أجر المحسنين.

عنوان المركز:

5280 Maingate Dr., Miss., Ontario,
L4W 1G5 CANADA,
Tel. : (905) 62 94 764 / 62 90 477
62 90 577
Fax : (905) 62 94256

شعر : د. رفيق حسن الحليمي *

في ذكرى حريق المسجد الأقصى

إنِّي ذَكَرْتُ مَعَ الأيام " مَحْرَقَةً "
دَوَّتْ لها في رُبُوعِ الكَوْنِ أَصْداءُ
ضَجَّتْ لها الأرْضُ بادِيْها وحاضِرُها
واسْتَنْكَرَ الغَدْرَ إخْوانٌ أَشِقّاءُ
الدِّيْنُ يَجْمَعُهم في كُلِّ ناحيةٍ
والقُدْسُ قدْسٌ لهمْ ، والجَمْعُ أَكْفاءُ
لكنَّ ضَعْفاً عَرَى قَوْمي بلا عِلَلٍ
فالرُّوحُ في وَهَنٍ والجِسْمُ أَشْلاءُ
" أيْدي سبا" ، مثلاً ، قَدْ صارَ حالُهُمُ
فانْظُرْ لواقِعِنا تَأْتِيْكَ أَنْباءُ
قدْ خابَ طِبُّ العِدَى في وَصْفِ عِلَّتِنا
وليْسَ في الطِّبِّ ما يأتِيْهِ أَعْداءُ
كلٌّ يغَنِّي على" لَيْلاهُ " مُنْفَرِداً
عَزْفاً على " النَّايِ " ، إذْ مَسَّتْه سَرَّاءُ
أَيْنَ العُرُوبِيةُ تَسْري في عُرُوقِهِمُ
وأَيْنَ مِنَّا مَغَاوِيْرٌ أَشِدَّاءُ
يا قُدْسُ صَبراً على ذُلٍّ علي مِقَةٍ
لَنْ يَنْسَى أَسْرَكِ أَحْيَاءٌ أَصِحَّاءُ

يا غادراً في ظَلامِ الليلِ جِئْتَ لنا
مِنْ كُلِّ صَوْبٍ أَتَتْنا مِنْكَ ضَرّاءُ
حَسِبْتَ أنَّ عُهُودَ الغابِ قَدْ رَجَعَتْ
فَجُسْتَ فيها دِيَاراً ، مِثْلَما شَاءُوا
تُحَرِّقُ المَسْجِدَ الأقْصَى ؛ فهلْ عِظَةٌ
أَتَتْكَ يوماً بأنَّ القُدْسَ رَمْضَاءُ ؟
سَلِ الزَّمانَ وسَلْ ما شِئْتَ من أُمَمٍ :
كَمْ كانَ فيها صَنَادِيْدٌ أَعِزَّاءُ ؟
سَتَصْطَلي نارَهُمْ يوماً "بمحْرَقَةٍ"
تَبَّتْ يداك ، وتَبَّتْ مِنْكَ غَوْغَاءُ

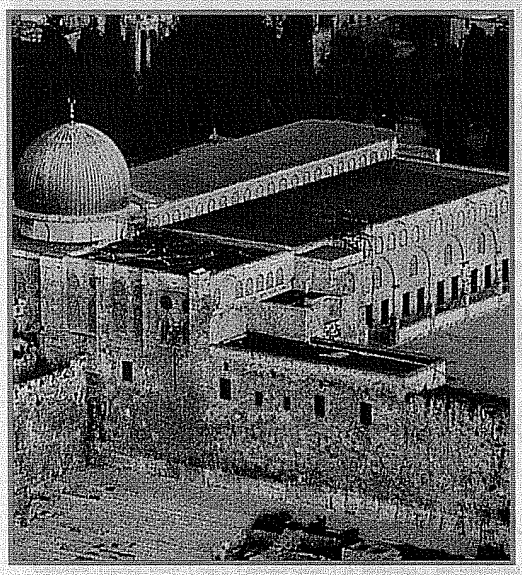

ذِكْرى تَمُرُّ على الذِكْرى مُجَدَّدَةً
ما حِيْلَةٌ لمريضٍ كُلُّه داءُ
يَمْضي الزَّمانُ وذِكْراها تُؤَرِّقُنا
لا القَوْلُ فِعْلٌ ، ولا الآذانُ إصْغاءُ
ما زالَ صَوْتُ لهيبِ النَّارِ في أُذُنِي
والصَّدْرُ فيهِ جِراحاتٌ ، وأَشْياءُ
إنِّي ذَكَرْتُ ، وهلْ أنْسَى إذا فَنِيَتْ
مَعَ الحَوادِثِ أَجْسَامٌ وأَعْضاءُ ؟
نُوَرِّثُ الثَّأْرَ للأجيالِ قادِمَةً
فالثَّأْرُ بَاقٍ ، وهلْ يَنْساهُ أَبْناءُ ؟
مهما تَشَتَّتَ في الآفاقِ جَمْعُهُمُ
فالعَهْدُ دَيْنٌ ، ولَنْ يَنْساهُ أَحْياءُ

* مدرس بجامعة غزة الإسلامية، جامعة الكويت – كان

بقلم : د. ماجد أحمد المومني

معجزة الإسراء والمعراج خالدة إلى يوم الدين

يُقصد بالإسراء الرحلة الربانية والمعجزة التي كرَّم الله بها نبيه محمداً عليه صلوات الله وسلامه والتي بدأت من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف.

ويُقصد بالمعراج، ما عقب هذه الرحلة الربانية في ارتفاع في طباق السموات حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق، ولا يعرف كنهه أحد، وتعجز الفضائيات، وتتوقف الشبكات العنكبوتية «الإنترنت» عن البث ويتجمد المبهورون بالعولمة والتقنية والمعلوماتية أمام عظمة الخالق، ليدركوا أنه مهما تقدم العلم سيبقى ما يناله العلماء بهذا التقدم سديماً في فضاء الكون الذي لا يعلم مداه إلا الله مصداقاً لقوله تعالى: (... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء:٨٥.

ولكي نتخيل علمه تعالى ضرب لنا مثلاً في قرآنه الكريم يصور لنا مدى اتساع علمه تعالى بقوله:

(... قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) الكهف:١٠٩.

ثم الأوبة بعد ذلك إلى المسجد الحرام بمكة. وقد أشار القرآن الكريم إلى كلتا الرحلتين. ذهاباً وإياباً. في سورتين عظيمتين هما:

. سورة الإسراء والمعراج.

. سورة النجم.

وتنظيماً للبحث تم تبويبه إلى العناوين التالية:

. حكمة الإسراء والمعراج.

. الآيات الكبرى في سورة الإسراء.

. الآيات الكبرى في سورة النجم.

. خلود هذه الآيات بما نعيشه الأن وفي كل آن.

وان الإنسان ليقف مشدوهاً عندما يعلم أن الذرة تمثل في داخلها نظام المجموعة الشمسية الدوارة في الفلك، ومع أنها لا تُرى بالعين المجردة، تكمن فيها حرارة هائلة عندما فجرها الإنسان أحرقت الأخضر واليابس.

وحينما يعلم أن هذه المجموعة الشمسية ما هي إلا هباءة تافهة في خضم مجرة التبان العملاقة، ويزداد انبهاراً حينما يعلم أن مجرة التبان تحوي ملايين النجوم وأنها واحدة من بين ملايين المجرات التي تدور في أفلاك هذا الكون الواسع، وكلما تقدم العلم كلما انبهر بما يكشفه من مدى اتساع هذا الكون والذي لا يعلم مداه إلا الله.

ومثل هذا الانبهار هو فقط في حدود السماء الدنيا... فكيف إذا علمنا أن رحلة الإسراء والمعراج تخطت السماء الدنيا إلى السموات السبع بل إنها وصلت إلى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى والتي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر، كما وصف الرسول الكريم.

بل إن الله قد تجلى بنوره لحبيبه محمد عليه الصلاة السلام فكان منه قاب قوسين أو أدنى - كما أخبرنا الله في سورة النجم.

وإذا علمنا أن بعض النجوم لم يصلنا ضوؤها منذ خَلْقِها وحتى الآن إلا بعدما كشفته سفن الفضاء.. بل إن بعض هذه النجوم هي من بعدها لا يصلنا ضوؤها حتى قيام الساعة... مع أن سرعة الضوء تسعين ألف ميل في الثانية أو ١٨٦ ألف كيلو متر في الثانية وعمر أقل النجوم حجماً يقدره العلماء بملايين السنين.

فأي سفينة اخترقت هذا الكون الواسع وحملت أول رائد فضاء إلى السموات العلا! إنها معجزة باقية خالدة مادام العقل يبصر، وما دام الكون لم ينتهِ!

أولاً: الآيات الكبرى في سورة الإسراء:

أ - القدس والأقصى في صميم عقيدة المسلمين وجزءاً من تراثهم الحضاري والفكري والديني.

فالقدس أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد ﷺ، ومنها عرج إلى السموات العلا في ذهابه وعودته... مصداقاً لقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء:١.

فبدء الحديث الرباني بهذا الشكل تأكيد للعالمين أن بيت المقدس والمسجد الأقصى هما من صميم عقيدة المسلمين وأنهما مكان طاهر فيه من النفحات والخيرات والبركات ما لو فقهته الأمة الإسلامية في عصرنا لما توانوا عن تحريره لحظة واحدة. فتحرير الأقصى والقدس الشريف واجب مقدس على كل مسلم، بل إن بعض الفقهاء اعتبروه فرض عين على كل مسلم ومسلمة استناداً لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا لثلاث... المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» وبعضهم زاد لفظة «الذي بارك الله حوله» وهذا اللفظ يتفق مع الآية الكريمة رقم ١ من سورة الإسراء. أخرجه مسلم والبخاري والإمام أحمد في مسنده والبيهقي... وغيرهم.

والقدس والأقصى هما أيضاً جزء من التراث الحضاري والفكري لسائر المسلمين، فمنذ أن تسلمها الخليفة عمر بن الخطاب «من سفرونوس» وهما في عُهدة المسلمين مع أماكنها المقدسة عند المسيحيين واليهود... ولم تستطع الحملات الصليبية أن تغيِّر من هذه المعالم شيئاً وبقيت العهدة العمرية - كما شاء الله لها أن تكون بأيدي المسلمين... وكما يسَّر الله صلاح الدين لفك أسرها من الصليبيين سييسِّر الله من يفك أسرها من العبرانيين... والصهاينة الغابرين.

أما من الناحية التاريخية فالقدس عربية منذ خمسة آلاف سنة، وقبل أن يدخلها أنبياء بني إسرائيل بألفي سنة قبل الميلاد، وقد بناها العرب اليبوسيون قبل أن يجيء إليها داود وسليمان - عليهما السلام - بأكثر من ألفي سنة قبل الميلاد، وأن المدة التي قضاها داود وابنه سليمان لا تتجاوز نصف قرن من الزمان، كما أن اليهود جاؤوا من خارج القدس كغزاة - وبمشيئة رب العالمين - دونما أن يكون لهم بها صلة ودخلوا منطقة التلال الداخلية، دون أن يسيطروا على الساحل، وقامت بينهم وبين أهل البلاد الأصليين معارك لم تهدأ إلا بإخراجهم من القدس الشريف وسائر أرجاء فلسطين.

ولذا نقول أيعقل أن يقارن الحق التاريخي المزعوم لخمسين سنة من الزمان بالحق التاريخي الناصع البياض للعربي الفلسطيني مدة خمسة آلاف سنة من الزمان... بل إن مكوثهم خمسون عاماً زمن داود وسليمان ما كان إكراماً لهم بقدر ما كان إكراماً لأنبيائهم - داود وسليمان وموسى - عليهم السلام، امتثالاً لقضاء الله وقدره.. وتصديقاً لقوله تعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) الإسراء: ٤-٧.

إنها حقائق ربانية تشير وبكل وضوح - رغم تعدد التفاسير والتأويل - إلى ما يلي:

- الإفساد الأول لليهود وحدث بكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير الحق فحلت عليهم اللعنة والطرد من رحمة الله

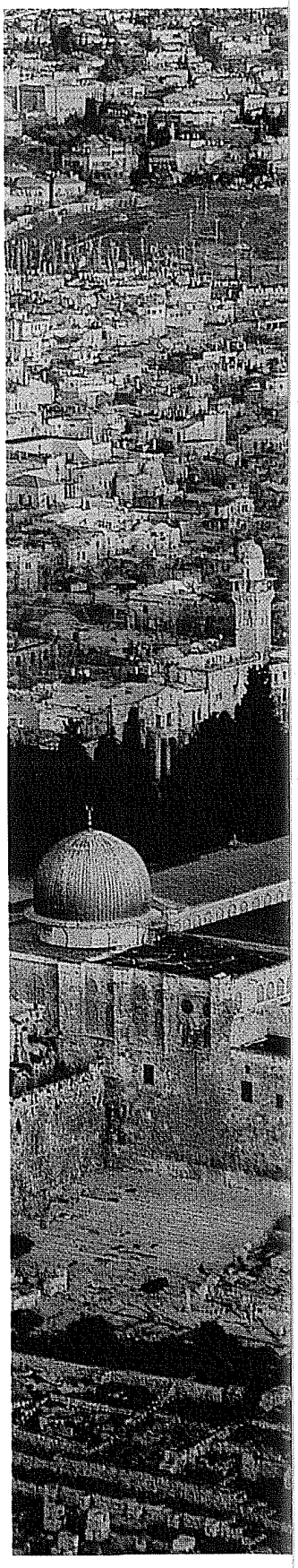

مصداقاً لقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة: ٧٨-٧٩.

- حصيلة إفسادهم الأول.. طردهم من رحمة الله.. وسلط الله عليهم من سباهم ودمرهم وشردهم بزعامة «تيطس الروماني».. ونبوخذ نصر الأشوري العراقي.

- ثم قضت مشيئة الله أن يعودوا ثانية إلى الديار الفلسطينية وأن يمدهم العالم بالأموال والسلاح والتقنية والكوادر البشرية المدربة فجاؤوا إلى فلسطين مهاجرين من جميع أنحاء العالم مستوطنين إلى حين، ومكنتهم التقنية ودول العالم المتقدمة من أن يكونوا أكثر نفيراً في الحروب بعد أن امتلكوا سائر أنواع أسلحة الدمار الشامل مع تحريم اقتنائها على غيرهم.

- وصول اليهود إلى مراكز اتخاذ القرار في دول مجلس الأمن وتحكمهم في الاقتصاد الأميركي والعالمي ساعدهم على هذا التفوق في التسلح والتنقية العسكرية.

- ومع هذا التفوق في التقنية والتسلح فمصيرهم معروف في فلسطين وهذا المصير يعرفه رهبانهم وأحبارهم مع كونهم يكتبون خرافاتهم التوراتية بأيديهم.

فالهجرات اليهودية - والتي نشطت بعد سقوط الاتحاد السوفييتي - وتوطينهم في مستوطنات أقاموها على مصادرة الأراضي واقتلاع سكانها وهدم بيوتهم وتكسير عظام أطفالهم بالبغي والعدوان هي أول علامات زوالهم وهلاكهم.

بل إنني أكاد أجزم بأنهم في الربع الأخير في زمن حياتهم كدولة... قياساً على أن وجودهم في فلسطين مع فترة انقسامهم لم يتعد في التاريخ السبعين عاماً.

ومن الدلائل العقلية على حتمية زوالهم وهلاكهم... مع اقتراب هذا الزوال والهلاك ما يلي:

- ظهور الانتفاضة الفلسطينية... وإن كانت اتفاقات أوسلو والخليل وواي ريفر قد أخمدتها... لكنها لم تسطع إطفاءها... وستظهر إلى الوجود مع حتمية نقض اليهود للعهود الاتفاقات الدولية مصداقاً لقوله تعالى: (كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة:١٠٠.

فنقض العهود وعدم الالتزام بالمواثيق الدولية صفة ملازمة لكل يهودي منذ وجودهم وإلى يوم الدين.

- ظهور الصحوة الإسلامية في سائر أرجاء بلاد المسلمين، وليس أدل على ظهور هذه الصحوة من تزايد عدد المساجد والإقبال المنقطع النظير على أداء الصلوات والعبادات من الشبان المسلمين... وهم عدة الإسلام وقوته.

- ظهور التقنية في بلاد المسلمين مثل باكستان جعل من احتكار هذه التقنية على إسرائيل وحلفائها أمراً مستحيلاً فالنادي الذري يرشح خمسة عشر بلداً لإمكانية اقتنائها منها سبعة بلدان إسلامية.

بل إن تدمير المفاعلات النووية الباكستانية وترسانتها النووية كان مقرراً قبل يوم واحد فقط من استئناف باكستان لترسانتها النووية وصواريخها الموجهة... فالله غالب على أمره، فأحبط محاولة الهند بالتعاون مع إسرائيل... وتم اكتشاف الطائرات الإسرائيلية المحملة بالصواعق الذرية من أجهزة الدفاع الباكستانية... ما حدا باستنفار ترسانتها الذرية والصاروخية فمنعت العدوان الهندي الإسرائيلي.

- انكماش التأييد العالمي لإسرائيل وبخاصة دول الاتحاد الأوروبي، ودول آسيا وأفريقياً ولم يبق بجانبها سوى التأييد الأمريكي والبريطاني.

- العدوان الإسرائيلي المستمر على جنوب لبنان ومظاهر الظلم والطغيان الذي تمارسه سلطات الاحتلال على الفلسطينيين من هدم البيوت ومصادرة الأراضي وتكسير عظام الأطفال وزجهم في دياجير السجون والاحتلال... كل ذلك أورث قناعة لدى العالم بأن إسرائيل هي دولة الظلم والعدوان... وأنها تمارس التمييز العنصري للفلسطينيين.

- صلف إسرائيل بتحدي المجتمع الدولي وعدم تطبيق الشرعية الدولية لقرارات مجلس الأمن... والتنصل من الاتفاقات الدولية في مدريد وأوسلو واتفاقية الخليل ووادي عربة، وواي ريفر، أورث قناعة لدى العالم أن إسرائيل لا تريد السلام... وأنها تريد الأرض والأمن والنفط والاقتصاد بتقنية أميركية وحقد صهيوني لتدمير العالم بهذه التقنية وهذا الحقد.

- الانقسام داخل المجتمع الإسرائيلي... فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تضم أكثر من سبعين قومية... بأصول ولهجات وألوان وتاريخ وثقافات مختلفة، ومثل هذا التباين ظهر واضحاً في القيادات السياسية... فالأحزاب السياسية مثلت أكثر من ثلاثين تناقضاً في الاعتقاد والاتجاهات والأفكار والخطط والتعامل مع الأحداث... هذا التناقض سيقوّض دولة الباطل ويتسارع يتناسب مع عدوانها وأطماعها مصداقاً لقوله تعالى: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) المائدة:٦٤.

وفي سنة واحدة أشعلوا الفتن والحروب في سائر أرجاء العالم وبخاصة العالمين العربي والإسلامي... بين إيران وأفغانستان، وتركيا وسوريا، بين أريتريا والحبشة، بين اريتريا واليمن، بين الجزائر والمغرب، بين

مصر والسودان، بين الهند وباكستان، بين كوريا الشمالية والجنوبية... إلخ... يشعلون الحروب ويثيرون الفتن... فيطفئها الله، والله من ورائهم محيط.

ثانياً: حكمة الإسراء والمعراج:

١ ـ ارتباط مكانة القدس الشريف والمسجد الأقصى من حيث القداسة والتعظيم عند سائر المسلمين بالمرتبة الثالثة بعد الحرم المكي بمكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة.

وبهذا الارتباط انتقلت هذه القداسة إلى الأبد إلى سائر المسلمين، لصيانتها من رجس اليهود... وجعل هذه الصيانة أمانة في أعناق سائر أمم المسلمين.

وفي هذا الارتباط:

أ ـ تذكير لسائر المسلمين بما حل بالقدس والأقصى أيام الحملات الصليبية وكيف تم لهم تحريرها.

ب ـ تحرير القدس والأقصى واجب مقدس يقع على عاتق سائر دول المسلمين ـ بالاعتصام بحبل الله وسنة رسوله.

٢ ـ إمامة الرسول بأنبياء الله جميعهم تعني انتقال الخلافة في هذه الأرض للمسلمين بزعامة نبيهم محمد ﷺ، وانتهاء عصر خلافة بني إسرائيل وإلى الأبد... فقد جاء في صحيح مسلم في حديث طويل أن النبي محمداً ﷺ قد أم جميع الأنبياء بصلاة جامعة في بيت المقدس... وفي هذا إشارة واضحة إلى أن محمداً والذين معه هم خلفاء الأرض إلى يوم الدين مصداقاً لقوله تعالى:(... وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) الأنعام:١٦٥.

وقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) النور:٥٥.

أ ـ تحرير القدس الشريف والأقصى وسائر أراضي المسلمين المحتلة لا يكون إلا بالعودة إلى دين الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فتمسك المسلمين بدينهم هو ضمان قوتهم وسر انتصاراتهم... مصداقاً لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣، فاجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقهم هو بداية التحرير لسائر بلاد المسلمين.

ب ـ النصر من عند الله.. وإن كان اليهود والغرب أكثر تقنية في الحروب الحديثة فقد كان من قبلهم الفرس والروم أقوى وأوسع ملكاً.. وانهارت الأمبراطوريات أمام جحافل الحق والهداية.

قال تعالى: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) آل عمران:١٦٠.

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد:٧.

ج ـ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة... وما حصل عليه العرب والمسلمون من أراض محتلة كانت على حساب كرامتهم وشرفهم وحضارتهم وكانت بشروط إسرائيلية مذلة ومنزوعة السلاح... مع تطبيع بفساد اليهود وإفسادهم.

قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال:٦٠.

د ـ حتمية زوال الأنظمة العالمية ـ ومنها النظام العالمي الجديد ـ وبالسرعة نفسها والتسارع الذي سقط به الاتحاد السوفييتي دون أن تسعفه العولمة والتقنية، وسيشهد العقد الأول أو الثاني من الألفية الثالثة سقوط هذه الأنظمة وهلاك اليهود... ذلك أن الله لا يحب المفسدين.

قال تعالى: (ولا تبغي الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) القصص:٧٧.

وقوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) آل عمران:١٢.

ثالثاً: الآيات الكبرى في سورة النجم:

الإسراء والمعراج رحلة ربانية كرَّم الله بها نبيه محمداً ﷺ فلا تخضع في وقائعها وأحداثها وحيثياتها إلى القوانين الطبيعية، بل إن هذه الرحلة اخترقت قوانين الكون والتي هي أصلاً من صُنع خالق الكون سبحانه وتعالى، فكانت الآيات الكبرى التي كرَّم الله بها محمداً دون غيره من سائر الأنبياء وسائر خلقه... لتبقى هذه الحادثة بآياتها الكبرى حادثة فريدة وخاصة بخاتم الأنبياء والمرسلين ولتبقى خالدة بخلود القرآن الكريم الذي وصفها بسورة النجم في قوله تعالى: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى). النجم:١ـ١٨.

ومن هذه الآيات الكبرى التي تضمنتها هذه السورة الكريمة وفسرتها أحاديث نبوية شريفة ما يلي:

١ ـ إسراء الرسول من مكة إلى بيت المقدس والمسجد الأقصى، كان بامتطائه «البراق» وهو كائن من خلق الله

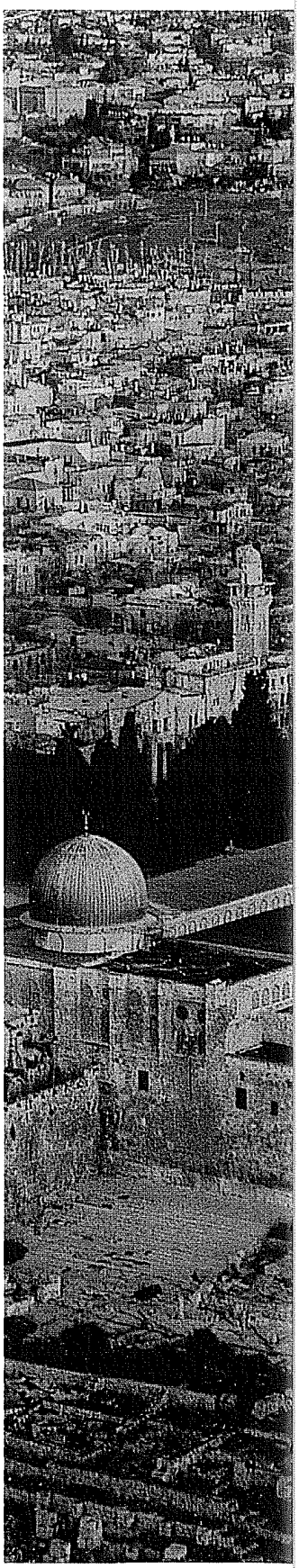

يضع خطوه عند أقصى طرفه... وكأنه يمشي بسرعة الضوء، ولعل كلمة «بارق» يشير اشتقاقها إلى البرق... وقد وصفتها الأحاديث الصحيحة بأنه دابة عجيبة دون الحصان وأكبر من الحمار... ربطها الرسول عند الجدار الغربي من المسجد الأقصى... وهي على العموم ليست من دواب هذه الأرض... وبعض المفسرين والفقهاء يرون أنها الدابة التي ستخرج في أخر الزمان لتطبع على جبين كل واحد من الناس «كلمة مؤمن» للمؤمن وكلمة «كافر» للكافر، وظهورها من العلامات الكبرى لقيام الساعة - والله أعلم -.

٢ - إمامة الرسول بأنبياء الله تدل على انتقال الخلافة في الأرض إلى المسلمين بزعامة محمد ﷺ.

٣ - معراج الرسول إلى السموات العلا كان بصحبة شديد القوى «الوحي جبريل عليه السلام»، وهو من ملائكة الله المقربين لله تعالى.

٤ - وعند وصوله ﷺ إلى سدرة المنتهى، رأى من آيات ربه الكبرى، فتجلت الأنوار الربانية إلى بصيرته ﷺ، والتي لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر ببال بشر... وهذه الأنوار لا توصف ولا تسمع ولا تُرى بالمقاييس الحسية... (ليس كمثله شيء...) وبأنوار التجلي:

أ - رأى الجنة بنعيمها عند سدرة المنتهى...

ب - رأى أصنافاً من أصحاب النار في شقائهم الذي لا يوصف منهم أصحاب الموبقات السبع، وصنفان آخران من أهل النار - لم يرهما في زمانه - نساء كاسيات عاريات، ورجال يضربون الناس بسياط كأذناب البقر... كما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة.

ج - استقبال الأنبياء له في كل سماء... في السموات السبع ومن هؤلاء الأنبياء... عيسى وموسى ويوسف وإبراهيم وإدريس ويحيى... وهارون عليهم السلام، وذلك استناداً إلى حديث طويل رواه أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ وأخرجه مسلم والبخاري.

د - ثم كانت أنوار التجلي الرباني لبصيرة نبيه محمد ﷺ فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم فرضت الصلوات على المسلمين بعد توسلات محمد لربه أن يخففها على المسلمين فكانت الصلوات الخمس في أوقاتها وأحكامها وعدد ركعاتها كما هي الآن.

وتذكر لنا كتب الحديث أن هذه التوسلات كانت بناء على نصيحة النبي موسى من خلال تجربته مع بني إسرائيل، فقد كانت خمسين صلاة وخففت إلى خمس صلوات مع كرم الله بأن يكون أجر قيام الخمس صلوات كأجر الخمسين صلاة رحمة من رب العالمين للمسلمين المؤمنين - الذين هم على صلواتهم يحافظون.

٥ - إنها رحلة ربانية لا تخضع للمقاييس الحسية والمادية أو العقلية - التي هي بحدود القوانين الطبيعية، إنها رحلة خالدة وخارقة لأنظمة الطبيعة واختراق هذه الأنظمة كان من خالقها وبارئها وحده لا إله إلا هو الحي القيوم.

٦ - أوردت كتب الأحاديث الصحيحة الكثير من الشواهد الحسية التي صادفها الرسول برحلته رداً على مزاعم اليهود فكانت الآيات الكبرى بوصف القوافل وبيت المقدس مطابقة للحقائق الحسية الواقعية... فكيف بالحقائق الربانية.

وقد غضب اليهود وأنكروا هذه الرحلة بعد يقينهم أن الخلافة في هذه الأرض انتقلت إلى المسلمين بالرسالة التي نزلت على محمد ﷺ، فبدلوا التوراة وكتبوها بأيديهم لتتفق مع أهوائهم وأشار القرآن الكريم إلى كفرهم وطغيانهم بقوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) البقرة:٨٠.

وقوله تعالى: (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) البقرة:٧٥.

وأقسم ان أحبارهم ورهبانهم يعلمون علم اليقين بصدق رسالة محمد ويعلمون علم اليقين بفساد بني إسرائيل وطغيانهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير الحق... ويعلمون علم اليقين بمصيرهم وهلاكهم - وعلى أرض فلسطين بالذات - إنهم يستهزؤون ويكابرون ويفاخرون باقتنائهم أسلحة الدمار الشامل دون غيرهم... متناسين أن رحلة الإسراء والمعراج خرقت التقنيات والفضائيات وعطلت سفن الفضاء... وجمدت الصواريخ الموجهة، ومتناسين أن ما أوتوا من علم ما هو إلا قليل... وحتى هذا القليل من العلم يعلمه الله لمن يشاء من عباده... وقد يفتح الله على المسلمين بإيمانهم ما استعصى عليهم من حصون التقنية والمستوطنات والطائرات، وكما دمرت حصونهم وقلاعهم في خيبر وخط بارليف... سيتم تدمير مستوطناتهم وحصونهم وتدك على رؤوسهم، مصداقاً لقوله تعالى: (فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) الإسراء:٧. ■

المراجع:

- القرآن الكريم... والسنة النبوية الواردة بالصحيحين «البخاري ومسلم».
- السيرة النبوية الشريفة - الأستاذ محمد الغزالي - رحمه الله.
- المنقذ من الضلال - الإمام الغزالي.
- أصول الدين الإسلامي - الأستاذ الدكتور قحطان الدوري - جامعة آل البيت.

بقلم : أحمد عبدالعظيم محمد

ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد

يعتبر مدخل العلاقات الإنسانية في الإدارة من أحدث ما وصل إليه الفكر الإداري المعاصر، ووفقاً لهذا المدخل ينظر إلى العنصر الإنساني على أنه أهم عناصر العملية الإدارية، حيث أنه هو الذي يحدد الأهداف وهو الذي يقوم بتنفيذها، وهو الذي يستطيع التأثير في كل العناصر الأخرى.

ومن هذا المنطلق، تغيرت النظرة إلى إدارة الأفراد فلم تعد إدارة فرعية تابعة، وإنما أصبحت إدارة رئيسة مستقلة لها هدف حيوي هو تكوين قوة عمل مستقرة وفعالة وقادرة على تحقيق الأهداف المطلوبة.. وعلى ذلك، يمكن النظر إلى إدارة الأفراد على أنها المسؤولة عن «النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات التنظيم من القوى العاملة وتوفيرها بالأعداد والكفاءات المحددة، وتنسيق الاستفادة من هذه الثروة البشرية بأعلى كفاءة ممكنة»(١)

وبناء على هذا التعريف، فإن وظائف الأفراد تشمل:

- تحديد الاحتياجات.
- وضع سياسة الأجور والحوافز.
- التدريب.
- تهيئة مناخ العمل المناسب، وتوفير العلاقات الإنسانية السليمة.
- الجزاءات.

ومن اللافت للنظر أن مدخل العلاقات الإنسانية في الإدارة كان هو المدخل الذي أخذ به الفكر الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً، ليس في إدارة الأفراد فحسب، بل في المجالات الأخرى كافة.

والمتأمل لحديث الرسول - ﷺ -: «إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس، حببهم إلى الخير وحبب الخير إليهم، إنهم الآمنون من عذاب يوم القيامة» رواه أبو الشيخ عن ابن عباس، يجد فيه دعوة إنسانية إلى القائمين على أمور الناس بالتزام منهج الخير ومنهج السلوك الإنساني.

قاعدة الإسلام في منح الحوافز والمكافآت أن تعطى لمن يستحقها متجردة من الهوى والعلاقات الشخصية

ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا أيضاً في حديث آخر فيقول: «من ولاه الله من أمر المسلمين شيئاً فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذي.

بل إن القرآن الكريم يأمر كل القائمين على الأمور العامة في المجتمع الإسلامي بالتزام المنهج الأخلاقي، يقول تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة:٨.

وإذا كان اهتمام الفكر الإسلامي بالمدخل الإنساني في الإدارة قبل أن يعرفه العالم بعشرات القرون من الأشياء التي تثير العجب، فإنه من ما يثير الدهشة أكثر أن نجد هذا الفكر وقد اهتم بجميع وظائف إدارة شؤون الأفراد، ووضع لها قواعد وأسساً تضمن لها المساهمة الفعلية في تحقيق الأهداف... ولنرى ذلك الآن:

أولاً: تحديد الاحتياجات والتعيين:

يبدأ دور إدارة الأفراد بتحديد الاحتياجات والمواصفات اللازمة لكل وظيفة وهو ما يعرف الآن باسم «توصيف الوظائف»:

ونظرة الإسلام للوظيفة العامة تقوم على أنها خدمة عامة تجلب من المسؤولية أكثر مما تحمل من الغنائم، والسنة النبوية تضع بعض القواعد العامة في مفهوم الوظيفة نذكر منها:

١ - الوظيفة خدمة عامة تستوجب الحساب أمام الله والناس.

٢ - الوظيفة تتضمن الالتزام بقضاء مصالح الناس والسهر على خدمتهم.

٣ - الوظيفة وإن كانت تجلب شيئاً من السلطة إلا أنها مسؤولية ضخمة تتطلب الصبر وقوة الاحتمال وصحوة الضمير.

٤ ـ الوظيفة في المنهج الإسلامي لمن يستحقها وليس لمن يطلبها.

روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل، وقال الأخر مثل ذلك.

فقال عليه الصلاة والسلام: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً يسأله أو أحداً حرص عليه» رواه مسلم، لكن هذا المفهوم لا ينفي أن هناك من رشحوا أنفسهم لوظائف كانوا أحق بها فنالوها، ومن ذلك أن نبي الله يوسف رشح نفسه لشؤون المال، وقال للملك: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) يوسف:٥٥. وكذلك رشح خالد بن الوليد نفسه لقيادة جيش المسلمين في موقعة اليرموك لأنه رأى في نفسه القدرة على تحقيق النصر للمسلمين.

ووفقاً للمفهوم الإسلام، فإن للوظيفة شروطاً عامة يشترط توافرها في جميع شاغلي الوظائف، وشروطاً خاصة بكل وظيفة.

أما الشروط العامة فقد حددها الإسلام في مفهومي القوة والأمانة، إذ أنهما شرطان أساسيان في جميع الوظائف.

يقول ا لقرآن الكريم على لسان ابنة شعيب، حين رشحت موسى عليه السلام للعمل عند والدها: (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) القصص:٢٦.

ومن المأثورات في التاريخ الإسلامي أن عمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ دخلوا مكان الصدقة فظل عثمان يكتب في الظل، وبجواره علي يملي عليه ما يقول عمر الذي ظل وافقاً في الشمس في يوم شديد الحر وهو يتفقد إبل الصدقة، فقال علي لعثمان: أما سمعت قولة ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل (إن خير من استأجرت القوي الأمين)، وأشار إلى عمر وقال: (هذا هو القوي الأمين).

أما الشروط الخاصة فهي تختلف من وظيفة لأخرى، فالوظائف المالية تتطلب دراية وإلماماً بالشؤون المالية، والوظائف العسكرية تتطلب الشجاعة والإلمام بفنون الحرب، ووظائف القضاء تتطلب العدالة والتفقه في الأمور الشرعية والقانونية.

وقد أوضح ذلك القرآن الكريم، فحين طلب عزيز مصر من يوسف عليه السلام أن يطلب ما يشاء من الوظائف قال يوسف: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم).

وهنا حدد صلاحيته لتولي وظيفة وزير الخزانة متمثلة في العلم بإدارة الأموال والقدرة على الحفاظ عليها، كما أن هذه الشروط حددها موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يعين له مساعداً في المهمة التي كلف بها، وهي دعوة قوم فرعون إلى الإيمان فقال: (رب إني أخاف أن يكذبون. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون) الشعراء:١٢-١٣، وهنا يقدم سيدنا موسى الشروط الواجب توافرها في مساعده وهي: الفصاحة وسعة الصدر وقوة التحمل.

ولابد أن نوضح هنا أن وضع شروط خاصة لكل وظيفة لا يعني أن من يصلح لوظيفة لايصلح لغيرها، فمن الناس من يصلح لشغل وظائف متعددة إلا أن الإنسان عادة يكون أصلح لوظيفة أكثر من غيرها، وهذا ما دعا إلى الأخذ بمبدأ التخصص الوظيفي.

القرآن الكريم يأمر كل القائمين على الأمور العامة في المجتمع الإسلامي بالتزام المنهج الأخلاقي

الاختيار والتوجيه

بعد أن تقوم إدارة الأفراد بتحديد المواصفات المطلوبة للوظائف، تأتي مرحلة الاختيار والتوجيه، والهدف من الاختيار هو إيجاد التوافق بين مستلزمات الأعمال وخصائص الأفراد، باختيار أفضل المرشحين، أما التوجيه فيقصد به إرشاد الفرد إلى المهنة أو الوظيفة التي يصلح لها أكثر من غيرها لتناسبها مع قدراته وميوله ورغباته وظروفه الاجتماعية.

وحسن الاختيار من أهم الوظائف التي يتوقف عليها نجاح إدارة الأفراد.

قال عليه الصلاة والسلام: «وإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة... قالوا: «وما إضاعتها يا رسول الله؟».

قال: «وإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: لأبي ذر حينما طلب منه الولاية: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه لها» رواه مسلم.

لهذا كان منهج الإسلام في الاختيار يقوم على اختيار أصلح من وجد.

قال عليه الصلاة والسلام: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله» رواه أبو داود.

ومبدأ الكفاية هذا طبقه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حتى على نفسه، إذ قال: «لو علمت أن أحداً أقوى مني على هذا الأمر لكان ضرب العنق أحب إليَّ من هذه الولاية».

قرار التعيين

بعد إتمام مرحلة الاختيار يتم إصدار قرار التعيين، وقرار التعيين يحدد اختصاصات ومسؤوليات القائم بالوظيفة، وقد كان قرار التعيين في الإسلام يعرف باسم

«العهد» ويحتوي على اسم العامل وسلطاته وواجباته، وكان في أول الأمر يحمل خاتم الخليفة، ويشهد عليه عدد من أهل الصفوة، وكان هذا العهد لا يكتمل إلا بإعلانه على جمهور المسلمين في المسجد حتى يعرف كل مواطن حقيقة سلطات الوالي ومسؤلياته.

ومن المبادئ الأساسية التي وضعها الإسلام في هذا الشأن ما عُرف حديثاً باسم «إقرار الذمة المالية»، فقد كان كل عامل من عمال المسلمين يقدم عند تعيينه قائمة بكل ما يملك أو يقتني من عقار وأموال، ثم يحاسب بعد ذلك على أي زيادة غير عادية في ممتلكاته وأمواله.

ومن أمثلة قرارات التعيين المشهورة في التاريخ الإسلامي قرار سيدنا عمر بن الخطاب بتولي أبي موسى الأشعري القضاء، وقد جاء فيه: «إن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إلى من أدلى إليك، وأنفذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع حق لا نفاذ فيه، آخ بين الناس حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك، البينة على من ادَّعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم ثم راجعت فيه نفسك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

ثانياً: الأجور والحوافز:

الأجر : هو المقابل الذي يتقاضاه الموظف نظيرالعمل الذي يقوم به، ويرتبط الأجر بمعدلات الأداء الموضوعة، ويعرف معدل الأداء بأنه متوسط حجم العمل الذي يقوم به الشخص العادي في وقت معين، فإذا وصل الموظف إلى هذا المعدل الموضوع فإنه يستحق أجراً أما إذا زاد عن ذلك فإنه يستحق حافزاً إضافياً.

والمنهج الإسلامي يجعل الأجر حقاً للعامل، ويفرض على صاحب العمل أن يدفعه له، يقول تعالى: (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) الأنفال:١٩.

ويقول الرسول ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يستعملن أجيراً حتى يعلمه أجره» في رواية عبدالرزاق عن أبي سعيد الخدري «من استأجر أجيراً فليسم له أجرته»، ويقول ﷺ : «اعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» رواه ابن ماجه.

والإسلام يشترط الأجر المناسب للعامل، وهو ما يكفي حاجته وحاجة من يعول، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحدد الأجر بما يتناسب مع أعباء الوظيفة وحجم العمل... وأضاف أبو بكر - رضي الله عنه - مبدأ مهماً حين تولى الخلافة فقد فرض للعامل ما يشبه «إعانة غلاء المعيشة»، إذ إنه راعى الأعباء العائلية، فكان الأعزب يعطي نصيباً واحداً، والمتزوج يعطى نصيبين نظير إعالته زوجته.. أما عمر - رضي الله عنه - فبعد إنشاء الدواوين فرض لكل مولود عطاء قدره مائة درهم، وكلما نما المولود زاد عطاؤه تأكيداً لمبدأ الكفاية، وهو حق لكل موظف في أن يكون له من الأجر ما يستغني به عن التماس أي مادة أخرى تصرفه عن العمل ومواصلة الكفاح.

الحوافز : تتعلق الحوافز بالقوى المادية والمعنوية التي تؤثر في الفرد فتدفعه إلى العمل بأقصى ما لديه من طاقة، وهي قد تكون في شكل مادي، وقد تكون في أشكال معنوية، والمنهج الإسلامي حين يقرر الحوافز إنما يحاول دفع المجد إلى مزيد من العمل والإنتاج، ودفع الآخرين إلى تقليد هذا المجد حتى ينالوا مثله التكريم.

يقول فضيلة الشيخ الشعراوي - رحمه الله - في خواطره حول قوله تعالى: (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) أنه عندما يجازيه بالحسنى فمعنى ذلك أنه سيعطيه مكافآت، لكن المكافآت لن يعرفها كل إنسان، لذلك يضيف «وسنقول له من أمرنا يسراً)، إن تكريم المؤمن يعطي المثل لمن في طبيعته حب الثناء فيتساءل ولماذا تم تكريم هذا الإنسان؟ ويعرف الإجابة من سلوك الذي تم تكريمه، فيقلده حتى ينال التكريم».

وقاعدة الإسلام في منح الحوافز والمكافآت أن تعطى لمن يستحقها متجردة من الهوى والعلاقات الشخصية، ويؤكد فضيلة الشيخ الشعراوي هذه الحقيقة فيقول:

«ولذلك نجد العمل حيث يوجد التكريم والعقوبة وتوجد المكافأة التشجيعية شرط أن توضع في موضعها، فلا يجب أن تجعل مكافأة تشجيعية لأن الذين يعلمون تحت أمرك نجحوا في إرضاء هواك، ولكن لتضع المكافأة التشجيعية جزاءً لمن نجح في تنفيذ المنهج الحق، وحين يعلم الناس أنه لا يجازى بالخير ولا يكرم بالقول إلا من فعل فعلاً حقيقياً فالكل يندفع إلى الفعل الحقيقي، ولكن عندما يجد الناس أن أحداً لا ينال المكافأة إلا بالتزلف وبالنفاق، وبالأشياء غير المشروعة فسيفعلون الأشياء غير المشروعة، وعندما يفعلون ذلك تهبط الكوارث على المجتمع»(٢).

بقيت من وظائف إدارة الأفراد التي أشرنا إليها في بداية الموضوع مهام ثلاث هي:

- التدريب.
- توفير مناخ العمل المناسب والعلاقات الإنسانية السليمة.
- الجزاءات.

وسنحاول الحديث عن هذه المهام في لقاء قادم بمشيئة الله حتى تكتمل ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد... والله ولي التوفيق. ■

مدخل العلاقات الإنسانية في الإدارة كان هو المدخل الذي أخذ به الفكر الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً

الهوامش :

١ - انظر د.علي السلمي - إدارة الأفراد والكفاية الإنتاجية ص ١٧.

٢ - انظر جريدة اللواء الإسلامي - العدد ١٧٣ - ٢٦شعبان ١٤٠٥هـ.

الزمان والمكان والفعل الشخصي، وما تفويض القضاة - في القوانين الوضعية المعاصرة - في اختياعقوبة من مجموعة عقوبات على فعل ما، إلا صورة من صور التعزير.

ومن أنواع التعزير التي ذكرها العلماء: القتل في الجرائم الخطيرة كالتجسس وترويج المخدرات والدعوة إلى الانحلال والفساد الأخلاقي الذي يهدد كيان الأمة وشخصيتها.

ومن ذلك الجلد، والإبعاد عن المدينة التي وقعت فيها الجريمة، وذلك حتى ينساها الناس، ومن ذلك التوبيخ، والعزل من الوظيفة، والحرمان من بعض الحقوق كالسفر والتوظيف وأداء الشهادة أمام القضاء.

ومن ذلك: شهر أمر الجاني أمام الناس ليحذروه، وغالباً ما يكون هذا في التصرفات التي تُخلُّ بالثقة والأمانة، كما هو معمول به اليوم في القوانين الوضعية، وذلك من خلال نشر مضامين بعض الأحكام في الصحف ونحوها.

ومن التعزير: الغرامة المالية، التي أجازها عدد من الفقهاء منهم أبو يوسف وابن تيمية وآخرون.

أنواع العقوبة الوضعية المعاصرة:

تنقسم العقوبة في القوانين الوضعية المعاصرة إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: عقوبات أصلية:

وهي تعتمد على السجن الذي أضحى العقوبة شبه الوحيدة في كثير من بلدان العالم، وقد يصاحبه حكم الأشغال الشاقة بنوعيها: المؤبدة والمؤقتة.

كما أن من العقوبات الأصلية الإعدام الذي هجرته كثير من البلدان بحجة قسوة هذه العقوبة، وفضلاً عن هذا أو ذاك فهناك عقوبة الغرامات المالية التي تفرض على الجاني في بعض الحالات.

ولا حرج في القانون الوضعي في الحكم بالسجن على الجرائم الفظيعة كالقتل والاغتصاب والإرهاب ونحوه، مما يعتبره الإسلام جرائم خطيرة الآثار يهزُّ كيان المجتمع وتفقده الأمن والاستقرار.

ثانياً: عقوبات تبعية:

وهي جزاءات ثانوية أيضاً، مثالها مصادرة الممتلكات أو بعضها، ومراقبة الشرطة للجاني، ومراجعته لها في فترات يحددها القاضي.

دواعي العقوبة بين الشريعة والقانون

تنطلق فكرة العقوبة في الإسلام من كونها رداً إصلاحياً على تصرفات أخلّت بالمقاصد الشرعية الخمسة وهي: حفظ النفس، والعقل، والنسل، والدين، والمال.

ويعتبر كل إخلال بواحد من هذه المقاصد عدواناً على حقوق الله تعالى: (الذي يسمى اليوم الحق العام أو حق المجتمع) أو على حقوق الأفراد.

ويختلف هذا العدوان من حيث الشدة والخفة في وقوعه على موضوع المصلحة، فالعدوان على الفرد - مثلاً قد يكون بالقتل، أو بالجرح، أو بالضرب، أو بالشتم، ومعلوم أن هذه التصرفات ليست سواءً في العقوبة والمؤاخذة. ويُقال مثل هذا في كل اعتداء على بقية المقاصد الخمسة: العرض، المال، العقل... لذلك قسم الفقهاء الجرائم إلى ما يوجب الحد، وما يوجب القصاص، وما يوجب التعزير.

وأمر آخر هو أن الشريعة الإسلامية لا تتغيّر نظرتها إلى جرائم الحدود والقصاص وجرائم التعزير المتعلقة بأصول الدين والأخلاق، لأن أساس التجريم فيها مستند إلى فعل ما نهى الله تعالى عنه أو ترك ما أمر به، وهو مستقبح في كل زمان ومكان لإخلاله بالمقاصد الشرعية الخمسة.

أما القوانين الوضعية: فلا تقيم وزناً كبيراً لبعض هذه المقاصد الخمسة، ولا تنظر نظرة ثابتة ودائمة إلى الجرائم الخطيرة المتصلة بها، بل تتبدل نظرتها إلى فعل ما فيصبح مشروعاً بعد أن كان ممنوعاً معاقباً عليه، وربما تغيرت النظرة إلى موضوع الجريمة بالحذف والإضافة والتخفيف والتشديد كما هو حاصل في كثير من القوانين.

مثال ذلك: إن بعض القوانين - وبخاصة الأوروبية والأمريكية - لا تعتبر زنى غير القاصرين جريمة إذا تم بالتراضي، وكان هذا من قبل من الجرائم المعاقب عليها، ومثل ذلك الشذوذ الجنسي، والردة عن الدين، وغيرها من الأفعال التي سُمح بها تحت دعوى الحرية الشخصية واحترام الإرادة الخاصة.

والأصل في دواعي العقوبة بين الشريعة والقانون: أن القانون الجزائي في الإسلام مرتبط بحفظ الأخلاق الفردية والاجتماعية، بينما هي في القانون الوضعي مفصولة عنه، لأن أهدافه تنحصر في الحقوق دون الأخلاق، وهي تعالج الجريمة والمجرمين دون مجاوزتهما إلى قضايا أخرى، وذلك بسبب انتشار فكرة فصل الدين عن الدولة.

وليس من العجيب بعد تلك المقدمات أن تكون النتائج مزيداً من الجرائم والمفاسد والأزمات في البلدان التي لا تقيم وزناً لشعائر الدين وقيم الأخلاق، بل إن الإحصائيات تشهد بأن الجرائم تزداد بطريقة مخيفة في البلدان التي تدَّعي مزيداً من الرقي والمدنية والحرية الشخصية...

لذا تتعالى صيحات الفلاسفة والمفكرين ورجال الإصلاح مطالبة وسائل الإعلام ومناهج التربية والتعليم ورجال القانون بتحمل مسؤولياتهم، وسنّ التشريعات الكفيلة بالحد من هذا التدهور الخطير الذي تشهده مجتمعات اليوم على كل الأصعدة... وصدق الله العظيم القائل: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) طه:١٢٤. ■

المراجع:

١ - الأحكام السلطانية للماوردي.

٢ - بداية المجتهد لابن رشد.

٣ - تبصرة الحكام لابن فرحون.

٤ - التشريع الجنائي لعبدالقادر عودة.

٥ - دراسات معمقة في الفقه الجنائي المقارن د.عبدالوهاب حومد.

٦ - العقوبة لأبي زهرة.

٧ - القاموس المحيط للفيروزآبادي.

٨ - المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٩ - المغني لابن قدامة.

١٠ - الموسوعة البريطانية الجزء ١٤.

١١ - موسوعة غرائب العالم لإبراهيم شرف الدين.

١٢ - الموسوعة الشرطية القانونية للعقيد الدكتور قدري الشهاوي.

بقلم : غازي التوبة

القياس الأصولي والقياس المنطقي

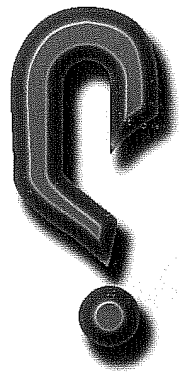

أيهما أكثر صواباً

عرّف الفقه الإسلامي القياس الأصولي الذي يقوم على أربعة أركان هي: الأصل والفرع وحكم الأصل وعلّة الحكم، وقد عرّفه الأصوليون فقالوا: هو إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة الحكم، ويمكن أن نمثّل على القياس الأصولي بالمثال التالي: شرب الخمر واقعة ثبت بالنص حكمها، وهو التحريم الذي ورد في قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) المائدة:٩٠، لعلة هي الإسكار، فكل نبيذ توجد فيه هذه العلة يسوّى بالخمر في حكمه ويحرم شربه.

وقد اعتبر القياس الأصولي في مرحلة لاحقة مصدراً من مصادر التشريع، وكان الشافعي أبرز العلماء الذين قننوا القياس الأصولي، وقد كان هذا القياس مثار شغب في الماضي والحاضر، ومن أبرز الذين شغبوا عليه في الماضي: الغزالي وابن حزم، وفي الحاضر: الدكتور محمد عابد الجابري، وقد كان هذا الشغب لصالح قياس آخر هو القياس المنطقي الذي ينسب إلى أرسطو المعلم الأول، فقد اعتبر الغزالي في كتاب «المستصفى» أن المنطق مقدمة العلوم كلها ومن لا يتقن المنطق فلا ثقة بعلومه، وكان ابن حزم قد سبق الغزالي في الدعوة إلى استخدام المنطق في كتاب «التقريب لحدود المنطق»، وكان قد رفض القياس الأصولي لأنه يقوم على التعليل، وهذا الموقف استمرار لموقفه الظاهري الذي يقوم على أن أقوال الله تعالى وأوامره غير قابلة للتعليل ولا حكمة فيها، وقد نحا علماء آخرون منحى آخر فقالوا بخلاف ما قاله ابن حزم، وجزموا بالحكمة في أقوال الله تعالى وأوامره ونواهيه وشرائعه، واستشهدوا على وجهة نظرهم ببعض الآيات التي ورد فيها مثل هذا التعليل كقوله تعالى في بعث الرسل: (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون لناس على الله حجة بعد الرسل) النساء:١٦٥، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، وكقوله تعالى في أصل الخلقة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦، (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) الملك:٣، وقد ذهب ابن القيم إلى صعوبة إحصاء الآيات والأحاديث التي ورد فيها تعليل الأحكام لكثرتها، وقد أخذ هذا الاتجاه مداه على يد الشاطبي في علم المقاصد حيث قنّن قواعده وفنونه في كتاب «الموافقات».

وهناك عدد كبير من العلماء فنّدوا منطق أرسطو واعتبروه لا يضيف علماً، كما فندوا القياس المنطقي المنبثق عنه، ومن أبرزهم ابن تيمية في عدة كتب منها: «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان»، وسار على منواله تلميذه ابن القيم، ومن المفيد في هذه المرحلة التي مازالت فيها أصوات تدعو لاعتماد القياس المنطقي وتوهن من شأن القياس الأصولي، ومن ضمنهم الدكتور محمد عابد الجابري، من المفيد إجراء الموازنة بين القياسين: الأصولي والمنطقي من أجل تقرير أيهما أكثر إفادة للعلم، وأيهما ساندته العلوم الحديثة.

وقبل الولوج بالموازنة بين القياسين: الأصولي والمنطقي، سأوضح بعض القواعد التي قام عليها القياس المنطقي اعتماداً على كتاب «المستصفى» للغزالي، فقد بيّن فيه أن إدراك الأمور يبدأ من إدراك الذوات المفردة، ثم إدراك نسبة هذه المفردات بعضها إلى بعض بالنفي أو الإثبات، كما تنسب القدم إلى العالم بالنفي فتقول: ليس العالم قديماً، والأول: أي الذوات المفردة الذي يستحيل فيه التصديق والتكذيب، والضرب الأخير هو الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب، وقد سمى المنطقيون معرفة المفردات تصوراً، ومعرفة النسبة الخبرية بينهما تصديقاً، فقالوا: العلم إما تصور وإما تصديق، ثم بيّن أن المطلوب من المعرفة لا يُقتنص إلا بالحدّ، والمطلوب من العلم الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب لا يُقتنص إلا بالبرهان، وينتهي الغزالي إلى القول: «فالبرهان والحد هو الآلة التي تُقتنص بها سائر العلوم المطلوبة»، ووضح الغزالي حد الشيء فقال: هو حقيقته وذاته، وفي قول آخر: هو اللفظ المفسِّر له على وجه يمنع ويجمع، واعتبر أن برهان القياس المنطقي لابد له من مقدمتين: الأولى يجب أن تحتوي معنى كلياً ثم مقدمة وسطى ثم تأتي النتيجة كقولنا:

كل إنسان فان، سقراط إنسان، إذن سقراط فان

ويمكن أن توجّه الملاحظات التالية إلى القياس المنطقي ومنها: أنه لا ضرورة للقضية الكلية وأنه ما من قضية كلية وتجعل مقدمة في البرهان إلا والعلم بالنتيجة ممكن من دون وجودها، وأن ما ثبت للكل فقد ثبت لكل واحد من جزئياته، وإن المقدمة الوسطى لا ضرورة لوجودها أيضاً، فإن أنماطاً من التصديقات لا وجود فيها للحد الأوسط منها: البديهي، والمتواترات، والمجربات. كما أن المقدمتين لا ضرورة لوجودهما في علم نظري فالدليل قد يكون من مقدمة واحدة وقد يكون من مقدمتين وقد يكون من ثلاث مقدمات.

ويوجه النقد إلى حد المناطقة بأنه لا يصور المحدود، إنما هو تصوير للماهية، والماهية تابعة لما يتصوره الذهن وليست تابعة إلى الحقائق ذاتها في الخارج، وكل فرد يمكن أن يخترع ماهية في نفسه تغاير ما اخترعه الأخر، لذلك فإن الحد الأصولي أقرب إلى معرفة المحدود من حد المناطقة من جهة كونه يصور بالمشاهدة والمعاينة التي تؤدي إلى التمييز بينه وبين غيره، وهو في هذا أوجز وأجمع وأخصّ. وأما القول بأن التصديق لا ينال إلا بالقياس فهذه القضية غير صحيحة لعدم وجود دليل على صدقها، وأن مدار الاستدلال على مادة العلم لا على صورة القياس.

والخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها جواباً على السؤال الذي طرحناه كعنوان لهذا المقال وهو: أيهما أكثر صواباً: القياس الأصولي أم المنطقي؟ نجد أن الجواب على هذا السؤال مرتبط بسؤال آخر: هل العلم يأتي من القضية الجزئية أم القضية الكلية؟ الحقيقة إن العلم يأتي من القضية الجزئية، وفي المقدمة الكبرى التي ذكرناها في القياس المنطقي وهي «كل إنسان فان» فإن هذه المقدمة جاءت نتيجة للعلم بأن فلاناً مات، وبأن فلاناً الثاني مات، وبأن فلاناً الثالث مات، إلخ... وهكذا حتى تتكون لدينا القاعدة الكلية: «كل إنسان فان»، إذن العلم بدأ بالقضية الجزئية وانتهى بالكلية، وهو ما أيدته العلوم الحديثة فقد بدأت أوروبا تتخلى عن القياس المنطقي، وتضع أسساً تلتقي فيها مع الأسس التي يقوم عليها القياس الأصولي. ■

بقلم : أ. د. أحمد الحجي الكردي

ومرة ثانية ...
مع الاستنساخ والنعجة دولي

قبل سنتين أو أكثر برز على الساحة العلمية موضوع الاستنساخ الحيواني، وظهر ظهوراً مميزاً غطى على الكثير من الأحداث العلمية الأخرى، وقد أزكى بروزه على الساحة بشكل مفاجئ نجاح العلماء في استنساخ النعجة دولي بعد إخفاق محاولات كثيرة سبقت ذلك الحدث، وربما محاولات أخرى سوف تلحق بها أيضاً، وقد كثرت تعليقات العلماء من شتى الاختصاصات على هذا الحدث الجديد، وذلك بالنظر إلى خطورته على الحياة البشرية عامة، وأهميتها لها في الوقت ذاته، وكتب في ذلك الأطباء، وكتب فيه علماء الاجتماع، وعلماء القانون، وعلماء الدين، وغيرهم، وقد تباينت هذه الكتابات بين مؤيد ومعارض، ومتفائل ومتوجس خيفة، كل يدلي بدلوه ويقول قوله ويبدي وجهة نظره التي أداه اجتهاده إليها، وقد كنت فيمن شارك في الكتابة في هذا الموضوع في أكثر من مقال نشر في وقتها، وكان فيما انتهيت إليه من القول أن هذا الموضوع مهم جداً ويعود على الإنسانية - إذا نجح - بخير وفير، إلا أنه في الوقت نفسه خطير جداً ويمكن أن يعود على البشرية كلها بأفدح الأضرار، ولهذا فإن الحكم الشرعي فيه في نظري منوط بما يرجح فيه من الخير أو الشر، المنافع أو المضار، فإن رجحت منافعه على مضاره كان مشروعاً، وإن غلبت

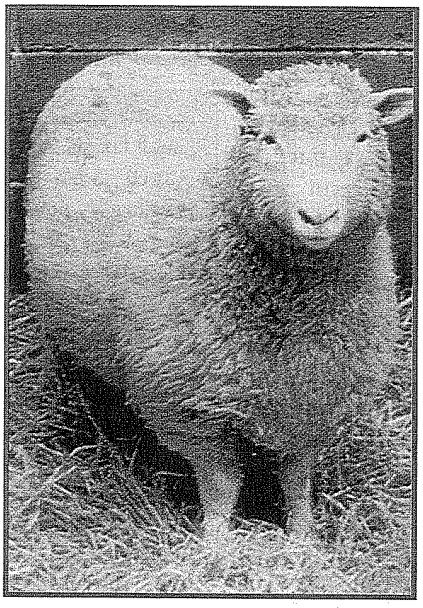

مضاره على منافعه كان ممنوعاً شرعاً ومحرّماً، ومدار معرفة ذلك كله على نتائج التجارب، وشهادة العدول من العلماء والمختصين، ذلك أن أكثر الأشياء في الدنيا دائرة بين النفع والضرر، والخير والشر، والحكم الشرعي فيها مبني على الغالب من أمريها، فما غلب خيره أجيز، وما غلب شره منع منه، حتى الخمرة التي هي أم الخبائث، قال الله تعالى فيها:

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) ٢١٩/ البقرة.

والعلماء والباحثون في الاستنساخ ما زالوا في أول الطريق، ولم يتضح لهم بعد - فضلاً عن أن يتضح لنا - ما في هذا الأمر من خير أو شر، أو فوائد أو مضار، بشكل قاطع أو بغلبة ظن، وفي كل يوم تأتينا التجارب والبحوث بجديد، وفي كل يوم يأتي نبأ ويظهر أمر كان خفيا، وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها/ ٧٤٨٦/ الصادر بتاريخ ١٩٩٩/٥/٢٨ تحت عنوان: (النعجة دولي تشيخ بسرعة كبيرة) نبأ مفاده: أن مظاهر الشيخوخة بدأت تظهر على النعجة دولي التي كانت أول ما استنسخ من الحيوان، أو في أول ما استنسخ منه، ولا ندري هل كل ما يستنسخ في المستقبل سيحمل هذه الصفات، أم أن ذلك في دولي كان نتيجة أخطاء علمية وقع فيها من عملوا على استنساخها، وأن ذلك أمر يمكن التغلب عليه في المستقبل بعد تقدم الدراسات والبحوث والتجارب؟

ما دام الأمر لم يبت فيه علميا بعد فلن يُبتّ فيه شرعاً أيضاً، وذلك لما بين الأمرين من ارتباط وثيق.

وإننا لمنتظرون، والأيام حبلى وستلد العجائب، والحكم الشرعي في هذا الموضوع العام والخطير في الوقت ذاته مرتبط بما تأتي به الأخبار الصحيحة والنتائج القاطعة. ■

بقلم : محمد عصام علوش

رسالة نقدية

الأفلام السينمائية العربية، والمسلسلات التلفازية العربية، والأغاني العربية هي في معظمها تتحدث عن الحب والهوى والغرام، عن الذكر والأنثى، وعن العشق واللوعة والهيام، إنك تجدها تبتدئ بلذة الوصال لتنتهي بمرارة الحرمان، تتكلم على جمال اللقاء وحلاوة الاجتماع وليالي الأنس، وجمال المحبوب، لتكون من قبلها قد أثارت أعصابنا، وألهبت مشاعرنا وعبأت انفعالاتنا بمشاهد البعد والفراق وعذاب النأي، وتباريح الهجر... إنها في معظمها قصة حب... وأي حب هذا؟ إنه حب الخيال المجنح، والطيوف الحالمة، والأماني والأوهام الخادعة، وهو في لحظة الوصال حب مريض وفي أيام الهجر حب مريض وعليل لا يمكن أن يعيش في عالم الواقع أو يكون له رصيد في دنيا الناس... إنه الحب الذي يؤدي إلى تعطيل مسيرة حياة صاحبه، وعلى فرض أن هذا الصاحب موجود.. إن هذه الأفلام والمسلسلات والأغاني لتوهم سامعيها ومشاهديها أن حب الذكر للأنثى والشبان للفتيات إنما هو النشاط الوحيد في هذا العالم ولا يوجد غيره أو سواه، وهي تريد أن تقنعنا أن الحياة بجملتها إنما هي قصة حب من هذا النوع وإذا ما انتهى هذا الحب أو وجدت العراقيل في وجهه انتهت الحياة وحق لأبطاله عندئذ أن يذرفوا الدموع أو أن يسجنوا أنفسهم في الغرفات، أو أن تصاب عقولهم بلوثة أو أن يفكروا في الانتحار... ولا أريد أن أناقش هنا جوانب أخرى تعرضها هذه الأفلام وتلك المسلسلات أو توصلها لأسماعنا هاتيك الأغنيات من خيانة زوجية أو استهتار بصاحب وصديق، أو عبث ولهو ومجون، أو تزوير لحقائق التاريخ وتراث الأمة وتشكيك بكل القيم والمثل أو لماذا كان هذا الموضوع بالذات غالباً عليها، ألأننا شعب عاطفي؟ أم لأننا نحتاج إلى العاطفة؟ أم لأن الموضوع الذي يدر عليها المكاسب العظيمة والأرباح الوفيرة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث؟ وما يهمها بعد ذلك أصلح الشباب أم فسدوا! استقاموا في حياتهم أم انحرفوا؟ ومن يدري لعل لها في كثير من البلدان الأخرى رسالة ومهمة وهي تمضي قدماً في تنفيذها.

ولعل معترضاً يقول: ولماذا لا تكون هكذا الحياة «قصة حب» ومن قال لك إن هذه المسلسلات لا ترصد واقعاً أو تحكي شيئاً حادثاً والمجتمعات مليئة بالمتناقضات ومنها ما يسر وما يحزن وفيها الحب والكراهية والوئام والحقد والوصال والخصام... وما قولك بقيس وليلى، وجميل وبثينه، وكثير وعزة، وعروة وعفراء، في تاريخنا القديم، ألا ندرسهم وندرسهم لطلابنا، ألا نفتخر بهم على أنهم مثال الحب العذري والطهر والعفاف في تراثنا؟! ثم أين أنت من الشعر الجاهلي؟ أين أنت من أولئك الشعراء الذين جعلوا الوقوف على أطلال المحبوبة نهجاً يسيرون عليه في قصائدهم، والتغزل بمحاسنها والتشبيب بجمالها طريقة يتبعونها في كل شعرهم، ألا تذكر قول زهير:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالمتثلم

وقول النابغة:

يا دار امية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول طرفة بن العبد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقول الأعشى:

ودِّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

أم أنك سوف تردد مع ابن قتيبة في شعره وشعرائه من أنهم كانوا يبتدئون قصائدهم بالوقوف على الأطلال ويشببون في بدايتها بمحاسن محبوباتهم وذلك ليجذبوا إليها أنظار مستمعيهم، ويلفتوا إليهم انتباه الحاضرين لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، وكل إنسان لابد أن يأخذ منه بنصيب كبير أو صغير... أو لعلك تردد الرأي الآخر من أنهم إنما يفعلون ذلك ليفتحوا نفوسهم ويفتقوا مواهبهم بالموضوع الذي هو أقرب إلى نفوسهم، أو أن ذلك لا يعدو عادة تعودوها وسار المتأخر على خطا المتقدم فيها.

لعل قائلاً يقول كل هذا ليثبت أن الحب موجود في كل زمان ومكان، وأنني أتجنى على الأفلام وما إليها في الإشارة بأصابع

الاتهام لها، ومع أننا لا نستقي أحكامنا وآراءنا من الشعراء الجاهليين «لأن أعذب الشعر أكذبه» - كما يقولون - ولنا من أحكام ديننا الحنيف وتعالمينا الإسلامية ما ينير لنا الطريق ويهدينا إلى السبيل القويم إلا أنني أعود فأقول: نعم إن الحب موجود وفي كل زمان ومكان والشاعر الجاهلي عندما كان يبتدئ قصائده بالغزل والوقوف على آثار المحبوبة، ربما كان يتحدث عن حب حقيقي أو حادثة واقعة، ولكنه حب الرجال الذين كانوا يعتقدون أن الحب إنما هو نشاط إنساني، ولكنه واحد من نشاطات متعددة، ولا يعني الفشل فيه توقف الحياة عن مسارها إنه الحب الذي لا يعني بابتعاد المحبوبة فيه وهجرها ظلام الكون وهبوب العواصف والرياح، إنه الحب الذي لا يفكر صاحبه بالانتحار أو الانزواء في منعزل عن الناس والمجتمع والحياة... إنه الحب الذي لا يأخذ أكثر من مساحته التي يجب أن يكون عليها ولا أقل... نعم كان الشاعر الجاهلي يبتدئ قصيدته بالوقوف على أطلال المحبوبة، نعم كان يتغزل بمحاسنها ولكنها عندما تهجره أو ترحل مع أهلها كان يتعالى ويتسامى ويتابع نشاطاته كرجل وإنسان... كان يعمل وكان يرتحل، وكان يمدح ويفخر ويهجو ويسافر ليتكسب بل كان يحارب ويكون أشد ما يكون... إن حبه حب العزة والتعالي لا حب الذل والدنية والمهانة وتعال معي لتراه في معظم قصائده أيضاً وبعد أن يقف على الأطلال ويتغزل يقول:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

أو يقول:

دعْ ذا وعدِّ القول في هرم

خير البُداة وسيِّد الحَضرِ

بل لعل وقوفه على الأطلال قبلها لا يعدو كونه خصلة من خصال الوفاء لمن أحب لا أكثر ولا أقل... نعم إن الحب موجود ولكنه حب متعدد ومتنوع، فهناك حب الله عز وجل وحب رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وآله وأصحابه، وهناك حب الوالدين والأخوة والأبناء والأهل، وهناك حب الوطن وحب العمل وحب الطبيعة التي خلقها الله تعالى هناك حب المبادئ والمثل العليا... هناك حب وحب كثير ولكنه ليس من النوع الذي تفطن له أفلامنا ومسلسلاتنا. ■

قضايا فكرية

بقلم : عمر الرماش

أزمة الفكر العربي المعاصر

يعاني الفكر العربي المعاصر أزمة وانتكاسة خطيرتين في الوقت الراهن على جميع المستويات وخصوصاً على مستوى الأطاريح الفكرية النظرية التي يتبناها ثم على مستوى التطبيقات العملية التي يمارسها، وتعود أسباب انتكاسة الفكر العربي في العصر الحديث إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في جعل المفكرين والمثقفين العرب يعيشون مظاهر التخلف والتردي والانحطاط والتيه والضلال، وهكذا تحفل البلاد العربية والإسلامية بمجموعة كبيرة من الاتجاهات والمدارس الفكرية والثقافية والأحزاب السياسية والنقابات العمالية والطلابية... ما كرس المزيد من التفرق والتمزق والتشتت في صفوف الأمة وبالتالي التخلف العام في جميع مجالات الحياة والتأخر عن اللحاق بركب الحضارة المتقدمة والضعف في مواجهة التحديات الخطيرة التي تعيق النهضة العربية والإسلامية.

مظاهر أزمة الفكر العربي المعاصر:

إن مظاهر وتجليات الأزمة والانتكاسة التي يعيشها الفكر العربي المعاصر تتعدد وتتنوع باختلاف الدول العربية والإسلامية، ويمكن أن نبرز أهم مظاهر الأزمة الفكرية في النقاط التالية:

الانسلاخ عن الهوية: إن من أبرز مظاهر الأزمة الفكرية التي يعيشها المفكرون والمثقفون العرب في الوقت الحاضر هي الانسلاخ عن الهوية العربية والإسلامية والتنكر للأصول والمقومات الحضارية التي تنبني عليها الأمة مثل الدين واللغة والتراث والتاريخ والثقافة والحضارة والعادات والتقاليد الأصيلة، إن مجموعة كبيرة من

بقلم : محمد عصام علوش

رسالة نقدية

الأفلام السينمائية العربية، والمسلسلات التلفازية العربية، والأغاني العربية هي في معظمها تتحدث عن الحب والهوى والغرام، عن الذكر والأنثى، وعن العشق واللوعة والهيام، إنك تجدها تبتدئ بلذة الوصال لتنتهي بمرارة الحرمان، تتكلم على جمال اللقاء وحلاوة الاجتماع وليالي الأنس، وجمال المحبوب، لتكون من قبلها قد أثارت أعصابنا، وألهبت مشاعرنا وعبأت انفعالاتنا بمشاهد البعد والفراق وعذاب النأي، وتباريح الهجر... إنها في معظمها قصة حب... وأي حب هذا؟ إنه حب الخيال المجنح، والطيوف الحالمة، والأماني والأوهام الخادعة، وهو في لحظة الوصال حب مريض وفي أيام الهجر حب مريض وعليل لا يمكن أن يعيش في عالم الواقع أو يكون له رصيد في دنيا الناس... إنه الحب الذي يؤدي إلى تعطيل مسيرة حياة صاحبه، وعلى فرض أن هذا الصاحب موجود.. إن هذه الأفلام والمسلسلات والأغاني لتوهم سامعيها ومشاهديها أن حب الذكر للأنثى والشبان للفتيات إنما هو النشاط الوحيد في هذا العالم ولا يوجد غيره أو سواه، وهي تريد أن تقنعنا أن الحياة بجملتها إنما هي قصة حب من هذا النوع وإذا ما انتهى هذا الحب أو وجدت العراقيل في وجهه انتهت الحياة وحق لأبطاله عندئذ أن يذرفوا الدموع أو أن يسجنوا أنفسهم في الغرفات، أو أن تصاب عقولهم بلوثة أو أن يفكروا في الانتحار... ولا أريد أن أناقش هنا جوانب أخرى تعرضها هذه الأفلام وتلك المسلسلات أو توصلها لأسماعنا هاتيك الأغنيات من خيانة زوجية أو استهتار بصاحب وصديق، أو عبث ولهو ومجون، أو تزوير لحقائق التاريخ وتراث الأمة وتشكيك بكل القيم والمثل أو لماذا كان هذا الموضوع بالذات غالباً عليها، ألأننا شعب عاطفي؟ أم لأننا نحتاج إلى العاطفة؟ أم لأن الموضوع الذي يدر عليها المكاسب العظيمة والأرباح الوفيرة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث؟ وما يهمها بعد ذلك أصلح الشباب أم فسدوا! استقاموا في حياتهم أم انحرفوا؟ ومن يدري لعل لها في كثير من البلدان الأخرى رسالة ومهمة وهي تمضي قدماً في تنفيذها.

ولعل معترضاً يقول: ولماذا لا تكون هكذا الحياة «قصة حب» ومن قال لك إن هذه المسلسلات لا ترصد واقعاً أو تحكي شيئاً حادثاً والمجتمعات مليئة بالمتناقضات ومنها ما يسر وما يحزن وفيها الحب والكراهية والوئام والحقد والوصال والخصام... وما قولك بقيس وليلى، وجميل وبثينه، وكثير وعزة، وعروة وعفراء، في تاريخنا القديم، ألا ندرسهم وندرسهم لطلابنا، ألا نفتخر بهم على أنهم مثال الحب العذري والطهر والعفاف في تراثنا؟! ثم أين أنت من الشعر الجاهلي؟ أين أنت من أولئك الشعراء الذين جعلوا الوقوف على أطلال المحبوبة نهجاً يسيرون عليه في قصائدهم، والتغزل بمحاسنها والتشبيب بجمالها طريقة يتبعونها في كل شعرهم، ألا تذكر قول زهير:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالمتثلم

وقول النابغة:

يا دار امية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول طرفة بن العبد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقول الأعشى:

ودِّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

أم أنك سوف تردد مع ابن قتيبة في شعره وشعرائه من أنهم كانوا يبتدئون قصائدهم بالوقوف على الأطلال ويشببون في بدايتها بمحاسن محبوباتهم وذلك ليجذبوا إليها أنظار مستمعيهم، ويلفتوا إليهم انتباه الحاضرين لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، وكل إنسان لابد أن يأخذ منه بنصيب كبير أو صغير... أو لعلك تردد الرأي الآخر من أنهم إنما يفعلون ذلك ليفتحوا نفوسهم ويفتقوا مواهبهم بالموضوع الذي هو أقرب إلى نفوسهم، أو أن ذلك لا يعدو عادة تعودوها وسار المتأخر على خطا المتقدم فيها.

لعل قائلاً يقول كل هذا ليثبت أن الحب موجود في كل زمان ومكان، وأنني أتجنى على الأفلام وما إليها في الإشارة بأصابع

الاتهام لها، ومع أننا لا نستقي أحكامنا وآراءنا من الشعراء الجاهليين «لأن أعذب الشعر أكذبه» - كما يقولون - ولنا من أحكام ديننا الحنيف وتعالمينا الإسلامية ما ينير لنا الطريق ويهدينا إلى السبيل القويم إلا أنني أعود فأقول: نعم إن الحب موجود وفي كل زمان ومكان والشاعر الجاهلي عندما كان يبتدئ قصائده بالغزل والوقوف على آثار المحبوبة، ربما كان يتحدث عن حب حقيقي أو حادثة واقعة، ولكنه حب الرجال الذين كانوا يعتقدون أن الحب إنما هو نشاط إنساني، ولكنه واحد من نشاطات متعددة، ولا يعني الفشل فيه توقف الحياة عن مسارها إنه الحب الذي لا يعني بابتعاد المحبوبة فيه وهجرها ظلام الكون وهبوب العواصف والرياح، إنه الحب الذي لا يفكر صاحبه بالانتحار أو الانزواء في منعزل عن الناس والمجتمع والحياة... إنه الحب الذي لا يأخذ أكثر من مساحته التي يجب أن يكون عليها ولا أقل... نعم كان الشاعر الجاهلي يبتدئ قصيدته بالوقوف على أطلال المحبوبة، نعم كان يتغزل بمحاسنها ولكنها عندما تهجره أو ترحل مع أهلها كان يتعالى ويتسامى ويتابع نشاطاته كرجل وإنسان... كان يعمل وكان يرتحل، وكان يمدح ويفخر ويهجو ويسافر ليتكسب بل كان يحارب ويكون أشد ما يكون... إن حبه حب العزة والتعالي لا حب الذل والدنية والمهانة وتعال معي لتراه في معظم قصائده أيضاً وبعد أن يقف على الأطلال ويتغزل يقول:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

أو يقول:

دعْ ذا وعدِّ القول في هرم

خير البُداة وسيِّد الحَضرِ

بل لعل وقوفه على الأطلال قبلها لا يعدو كونه خصلة من خصال الوفاء لمن أحب لا أكثر ولا أقل... نعم إن الحب موجود ولكنه حب متعدد ومتنوع، فهناك حب الله عز وجل وحب رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وآله وأصحابه، وهناك حب الوالدين والأخوة والأبناء والأهل، وهناك حب الوطن وحب العمل وحب الطبيعة التي خلقها الله تعالى هناك حب المبادئ والمثل العليا... هناك حب وحب كثير ولكنه ليس من النوع الذي تفطن له أفلامنا ومسلسلاتنا. ■

قضايا فكرية

بقلم : عمر الرماش

أزمة الفكر العربي المعاصر

يعاني الفكر العربي المعاصر أزمة وانتكاسة خطيرتين في الوقت الراهن على جميع المستويات وخصوصاً على مستوى الأطاريح الفكرية النظرية التي يتبناها ثم على مستوى التطبيقات العملية التي يمارسها، وتعود أسباب انتكاسة الفكر العربي في العصر الحديث إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في جعل المفكرين والمثقفين العرب يعيشون مظاهر التخلف والتردي والانحطاط والتيه والضلال، وهكذا تحفل البلاد العربية والإسلامية بمجموعة كبيرة من الاتجاهات والمدارس الفكرية والثقافية والأحزاب السياسية والنقابات العمالية والطلابية... ما كرس المزيد من التفرق والتمزق والتشتت في صفوف الأمة وبالتالي التخلف العام في جميع مجالات الحياة والتأخر عن اللحاق بركب الحضارة المتقدمة والضعف في مواجهة التحديات الخطيرة التي تعيق النهضة العربية والإسلامية.

مظاهر أزمة الفكر العربي المعاصر:

إن مظاهر وتجليات الأزمة والانتكاسة التي يعيشها الفكر العربي المعاصر تتعدد وتتنوع باختلاف الدول العربية والإسلامية، ويمكن أن نبرز أهم مظاهر الأزمة الفكرية في النقاط التالية:

الانسلاخ عن الهوية: إن من أبرز مظاهر الأزمة الفكرية التي يعيشها المفكرون والمثقفون العرب في الوقت الحاضر هي الانسلاخ عن الهوية العربية والإسلامية والتنكر للأصول والمقومات الحضارية التي تنبني عليها الأمة مثل الدين واللغة والتراث والتاريخ والثقافة والحضارة والعادات والتقاليد الأصيلة، إن مجموعة كبيرة من

المفكرين والمثقفين العرب لا يخفون انسلاخهم عن الهوية الدينية والعقدية والثقافية والتربوية ويجهرون باغترابهم وتنكرهم لأصولهم التاريخية والحضارية، وهكذا يدعون إلى نبذ الدين والتراث واللغة العربية الفصحى والتقليل من قيمتها باعتبارها لغة القرآن الكريم ووعاء الفكر والثقافة الإسلاميين ثم يدعون إلى نشر اللهجات العامية والمحلية.

التبعية العمياء للغرب: إن من بين الأزمات الخطيرة التي يتخبط فيها الفكر العربي الحديث هي عدم الاستقلالية والتبعية العمياء للفكر الغربي وللثقافة التغريبية حيث نجد معظم المفكرين والمثقفين العرب يتبنون التيارات الفكرية والفلسفية والسياسية والأيديولوجية والاقتصادية والاجتماعية للغرب كالرأسمالية والليبرالية والعلمانية والوجودية والعبثية وغيرها من المذاهب والمدارس المادية الإلحادية التي لا تعترف بالدين والأخلاق والمبادئ... وهكذا عمل الفكر العربي الحديث على استيراد بضائع فكرية جاهزة معلبة نبتت جذورها في بيئة غريبة ثم أراد استنباتها في بيئتنا التي تختلف تمام الاختلاف في خصائصها ومميزاتها حتى بلغ من غلو بعضهم في ذلك أن دعا لأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها وبإيجابياتها وسلبياتها.

الانسلاخ من الأخلاق: إن من بين مميزات الفكر العربي المعاصر هي الانحلال والتفسخ الأخلاقيين الناتجين عن فقدان الهوية الدينية الحضارية والذوبان في الحضارة الغربية المتفسخة والتبعية العمياء للفكر الغربي المادي العلماني وهكذا عمل الفكر العربي الحداثي على نبذ القيم الأخلاقية ونشر ثقافات الخلاعة والمجون والفجور والفساد، ولا عجب أن نجد مجموعة كبيرة من المفكرين والمثقفين العرب يتفلتون من الأخلاق والفضائل الكريمة وينغمسون في الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها ويدمنون على الخمور والمخدرات والقمار والميسر و....

القدوة السيئة: إن الانحلال الأخلاقي والانسلاخ من الهوية الإسلامية والتبعية العمياء للغرب التي تميز المفكرين والمثقفين العرب تجعلهم يمثلون قدوة سيئة للشباب وخصوصاً التلاميذ والطلبة وطلاب العلم والمعرفة ما يكرس أزمة حقيقية في المجتمعات العربية والإسلامية تتجلى في التخلف الفكري والسياسي ما ينعكس سلباً على باقي مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

محاربة الإسلام وأهله: إن من بين الخصائص الأساسية التي تطبع الفكر العربي المعاصر هي محاربته للإسلام وأهله، وتتمثل في الطعن والتشكيك والتحريف لمقومات الحضارة الإسلامية كالدين والعقيدة والشريعة والمسلمات والثوابت والأصول الشرعية والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ثم الهجوم على الصحوة الإسلامية وروادها وإثارة الضغائن والفتن بين الحركات الإسلامية وتشويه سمعتها ونعتها بأقبح الأوصاف والمسميات الغربية كالأصولية والرجعية والظلامية والتطرف وخصوصاً عبر وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة وذلك من أجل تحقيق الفكر العربي الحديث لأغراضه وأهدافه السياسية والمصلحية الضيقة ضارباً عرض الحائط بالمقدسات والمصالح العليا للأمة العربية والإسلامية.

الاستبداد والتسلط: إن رموز الأحزاب السياسية ومفكريها يتشدقون بمصطلحات الديمقراطية، والحرية وحقوق الإنسان أثناء خطاباتهم وندواتهم ومؤتمراتهم وفي مقالاتهم وكتاباتهم الصحفية لكن عندما يتعلق الأمر بدعاة الإسلام والحركات الإسلامية فإنهم يمارسون عليهم كل أنواع التسلط والاستبداد ويصفون المفكرين والمثقفين المخلصين لدينهم وأوطانهم وأمتهم بشتى أنواع الأوصاف والألقاب كالأصوليين المتطرفين الذين يشكلون خطراً كبيراً على الحرية والديمقراطية، والدليل على ذلك هي التجارب المتكررة في معظم البلاد العربية والإسلامية التي أثبتت تفوق المشروع الحضاري الإسلامي لكنها ووجهت بكل أشكال العنف والقمع والاستبداد من طرف الأحزاب السياسية الليبرالية والعلمانية ومفكريها.

الفكر العربي المعاصر وانعكاساته السلبية على الأمة

إن التأثيرات والانعكاسات السلبية للفكر العربي المعاصر على الأمة العربية والإسلامية كثيرة ومتعددة وتتمثل في تفشي مظاهر الفرقة والتشتت والتمزق، ولا أدل على ذلك من تعدد الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والمنظمات النقابية والحقوقية والتي تتميز علاقاتها بالتوتر والصراع والتطاحن من أجل تحقيق المكاسب والأطماع السياسية والمادية والمعنوية والاجتماعية بشتى الطرق والوسائل حتى ولو كانت غير شرعية أو قانونية أو أخلاقية انطلاقاً من تبريرها الواهي الذي يقول إن الغاية تبرر الوسيلة، هكذا وبفعل شيوع مظاهر الفرقة والشتات تعيش الأمة العربية والإسلامية الفوضى والاضطراب وعدم الأمن ما يهددها باندلاع الحروب والفتن والصراعات العسكرية، كما أن الفكر العربي المعاصر بفعل تبنيه للمذاهب المادية الإلحادية الغربية والشرقية أثر بشكل سلبي وخطير على الشباب وخصوصاً التلاميذ والطلبة ما جعلهم يعيشون التيه الفكري والانحراف العقدي والفراغ الروحي والضلال والزيغ ثم الانحراف الأخلاقي والسلوكي كتعاطي الخمور والمخدرات، بالإضافة إلى أن الفكر العربي الحداثي مكن للعلمانية التي تدعو إلى فصل الدين عن الحياة وخصوصاً فصل الدين عن الدولة، كما أنه مكّن للثقافة الغربية في بلاد العروبة والإسلام بالنيابة عن المفكرين والمثقفين والفلاسفة الغربيين ما جعل الثقافة العربية والإسلامية مهددة في عقر ديارها بالاندثار والفناء وخصوصاً التراث والفكر الإسلاميين.

ومن الانعكاسات السلبية الخطيرة للفكر العربي الحداثي هو ما يعرف بقضية تطبيع العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية... مع اليهود والصهاينة الذين احتلوا الأراضي العربية وعاثوا فيها الفساد وبالأخص فلسطين وعاصمتها القدس الشريف، وهو ما يعني أن رواد الفكر العربي الحديث يعترفون بشرعية الكيان الصهيوني في قلب الأمة وخصوصاً فلسطين ولا يعنيهم ما يقوم به من انتهاك الحقوق والاستحواذ على الأراضي وبناء المستوطنات وقمع واعتقال المناضلين المخلصين لدينهم ووطنهم وأمتهم. ■

بقلم : محمد نور سويد

كيف تتجدد المعاني القرآنية 2/2

المعاني اللغوية للكلمة القرآنية جميعها مطلوبة التأمل فيها على العقل إلا أن يتدبر في استنباط المعاني وإظهارها حسب السياق القرآني وذلك لاستنهاض العقول والهمم في استحداث المعاني المتجددة للقرآن الكريم.

وقد نشرنا في العدد الماضي الحلقة الأولى من هذا البحث، وفي هذا العدد ننشر الحلقة الثانية والأخيرة.

نضرب فيما يلي بعض الأمثلة العملية لتجلية الفكرة، إذ التطبيق العملي ونجاحه دليل على صحة الفكرة، والعكس بالعكس:

مثال ١: إذا استخدمنا معاني قوله تعالى في وصف نفسه «الظاهر والباطن» سورة الحديد ٣، فيما ورد من الصفات فإننا نجد مصداق التخييل في معاني البديع للتفسير.

فـ (يد الله فوق أيدهم) سورة الفتح ١٠، الظاهر فيها الجارحة وتعني الوجود والقرب من الإنسان، والباطن منها أنها ليست بجارحة في حق الله تعالى.

وإنما تمثل حال القادر المقتدر أنه شهد البيعة شهادة من وضع يده على تلك البيعة وضعاً حسياً بحيث لا يزول معناها بأي من معاني الشك والريب.

فالظاهر والباطن مطلوبان في التقرير والإثبات والإيمان بهما، وبذلك يزول الاختلاف في الآراء، ليصبح المعنيان «الظاهر الباطن» قاعدة للفهم، وبذلك يتحقق مذهب الإثبات بـ «الظاهر» ويتحقق مذهب التأويل بـ «الباطن» ضمن (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشورى ١١.

فمن نفى «الظاهر» فقد أخطأ، ومن نفى «الباطن» فقد أخطأ، ومن جمع بينهما فقد حصل له التوفيق، وهذا من فضل الله يؤتيه من يشاء.

ودليله: أن ذات الله تعالى لا يعرفها إلا الله تعالى، فعلمنا الله سبحانه أوصافه الجليلة في كتابه الكريم المعجز.

فالقرآن كلام الله تعالى، لا نعرف كنه كلامه سبحانه في ذاته سبحانه (وهو الباطن)، وإنما ندرك معانيه من خلال اللغة وهو «الظاهر»، وكذلك في كل الصفات نتبع المنهج نفسه وبالتالي نفهم الخطاب القرآني فهماً مفتوحاً لا نستبعد فيه المعاني اللغوية وحتى في أخطر المواضع وأدقها.

مثال ٢: لقد علم الله تعالى من خلقه للإنسان أنه يعظم ويقدس الملوك، فأقام سبحانه نفسه الملك الحقيقي للوجود، وأزال تقديس الطواغيت من النفوس حتى تنفرد له الألوهية، ويختارها الإنسان، بعد أن انفرد سبحانه بالربوبية «الربوبية هي علاقة الله تعالى بخلقه، فهو الخالق الرازق المحيي المميت وهي علاقة جبر» رغم أنف الناس جميعاً، وأقر بها أغلب الناس، وينتج عن الإقرار بالربوبية لله تعالى، الإقرار بألوهيته سبحانه «الألوهية هي علاقة العبد بالله تعالى، وهي عبادته سبحانه وهي علاقة كسب للاختيار»، لهذا فإن المؤمنين الموحدين أقروا لله تعالى بالألوهية وأنه المستحق للعبادة والاستعانة، وأنه سبحانه له الأمر كله، يحكم ولا معقب لحكمه، وأنه الذي شرع للبشر الأحكام فلا يتعدونها، فالربوبية لها حكم «الظاهر» لأن الجميع مقر بأن الله تعالى هو الخالق، الموجد، القادر، وهو رب الناس ورب العالمين، والألوهية لها حكم (الباطن) لأنها خفيت عن الكافرين، وأحياناً يجحدونها مع علمهم بها (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) سورة النمل ١٤.

أما المؤمنون فآمنوا بألوهية الله تعالى، لأن من كان هو الرب الحق فهو الإله الحق.

مثال ٣: جاء أعرابي إلى الرسول ﷺ فقال يا رسول الله: أقبعيد ربنا فنناديه أم قريب فنناجيه؟ فنزل قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) سورة البقرة ١٨٦.

ونلاحظ أن الجواب (قريب) ولكن هذا القرب يشعر به ويلمسه من استجاب لله وآمن به: (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا

دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) سورة الأنفال ٢٤، ونلاحظ في كلتا الآيتين موضوع الاستجابة، وأن الله قريب، وأنه يحول بين المرء وقلبه. فمن تحقق بالاستجابة لله تعالى نال حال القرب منه سبحانه. وهذا يعرفه أهل درجة الإحسان وهي: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». رواه مسلم

«فالظاهر» يعلمه كل مسلم بأن الله تعالى يرانا ويعلم بنا، و«الباطن» يعلمه أهل الخشية، وأهل القرب، وأهل الاستجابة السريعة لأمر الله تعالى، وأهل الإحسان الذين يعبدون الله كأنهم يرونه.

ونلاحظ في الحديث الشريف نفسه ظاهراً وباطناً، فالظاهر «أن تعبد الله»، والباطن فيه كاف التشبيه «كأنك تراه»، لأنه يستحيل على المرء أن يرى الله تعالى في الدنيا، لذلك جاءت كاف التشبيه لتدل على الخفاء والباطن.

مثال ٤: و«الظاهر الباطن» مسلك المؤمنين الموحدين من أهل السنة والجماعة من أهل الله الذين استطاعوا أن يفهموا ذلك، ومن عمي عن ذلك وقف مع «الظاهر» فقط ووقع في التشبيه والتجسيم، ومن وقف مع (الباطن) وقع في التأويل في كل شيء حتى ينحرف إلى إبطال التكليف الشرعي عن طريق ما يسمى «بالتفسير الباطني» ومن جمع بينهما «الظاهر الباطن» فقد وفق لأنه جمع بين (ليس كمثله شيء) وبين (وهو السميع البصير)، فأصبح لديه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فلم يترك شيئاً من القرآن وهذا منهج الصواب والله أعلم.

الأضداد اللغوية في تجديد المعاني القرآنية:

هناك كلمات في اللغة لها أضداد، نلاحظ المفسرين يثبتون إحداهما وينفون الأخرى، والذي يراه كاتب هذه السطور، أن استبعاد المعنى الآخر بعيد عن الصواب، ودليله ما يلي:

١ ـ لو كان كما يقولون، لما اختار سبحانه تلك الكلمة من الأضداد، ولبين بالكلمة الصريحة، وأوضحها في بيان جلي، فلما جاءت الكلمة من الأضداد، علمنا أن كلام الحكيم الخبير له مقصد في ذلك.

٢ ـ لو كان الأمر محدداً بأحد المعاني المتضادة لذهب الجمال الإعجازي في القرآن، ولكان يمكن معارضته بالمعنى المحدد الذي يلتزمه المفسرون.

٣ ـ في حالة تفسير القرآن بأحد المعاني المتضادة، لم يعد التدبر والتأمل في القرآن كثير فائدة. وهذا يعارض قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) سورة النساء ٨٢ وقوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) سورة محمد ٢٤. فالتدبر مطلوب، وهذا مجمع عليه، فكيف يمكن التفكر بمعنى واحد؟

٤ ـ إن القرآن حمال أوجه كما قال الإمام علي كرم الله وجه، فإذا حدد معنى واحداً فتذهب خاصية الأوجه التي هي صفة القرآن الكريم.

٥ ـ إن القرآن كتاب الله المعجز الخالد إلى يوم القيامة، يرفد كل عصر، ويعالج كل قضية إنسانية، وكل العلاقات البشرية، فإذا فرض أحد المعاني فإنه تذهب تلك الخاصية الخالدة، لأنه يصعب ـ أحياناً ـ تطبيق أحد المعاني في كل الظروف والأزمان، وفي كل البلاد والأماكن، والتي نزل القرآن ليعالجها، فهو للناس كافة، وهؤلاء الناس مختلفون في العلوم والأمزجة والمشاكل، فكل بحاجة إلى أن ينهل من معين القرآن، فإذا فرض أحد المعاني في زمان أو مكان فقد لا يستقيم ذلك لزمان ومكان آخر.

٦ ـ إن كلام البشر لابد أن يحصل فيه نقص أو عيب أو تناقض أو اختلاف أو عدم مطابقة الواقع وهو قابل للخطأ والصحة، والحق والباطل، أما كلام الله تعالى فهو (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) سورة فصلت ٤٢.

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) سورة النساء ٨٢، فوصف القرآن (تنزيل من حكيم حميد) سورة فصلت ٤٢، وليس فيه اختلاف، وهو حق كله، فهو ممن يعلم الغيب وما تخفي النفوس، وما تفكر به العقول، فوظيفة العقل التفكر والتدبر، وأن يقوم بدور إبراز تلك المعاني لا إلغائها، وإظهار جمال الكلمات المتضادة لا إبطال إحداهما، لأننا علمنا أنها صدرت من حكيم دعانا للتأمل والتفكر فيما قال، وفيما أنزل، فلا أحد يستطيع أن يمنع من التدبر والتفكر في ذلك إلا بوحي ثابت متواتر الإثبات والدلالة.

العلاقة بين الخشوع في الصلاة واليقين هي علاقة طردية عكسية

أمثلة عملية:

كلمة «ظن» من الأضداد وهي لليقين والشك، يقول أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني في مقدم كتابه الأضداد.

«حملنا على تأليفه أنا وجدنا الأضداد في كلامهم، والمطلوب شيء كثير فأوضحنا ما حصر منه، إذا كان يجيئ في القرآن الظن: يقيناً وشكاً، والرجاء خوفاً وطمعاً، وهو مشهور في كلام العرب، وضد الشيء: خلافه وغيره، فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) (٤٥) الذين يظنون.. (٤٦) «سورة البقرة» مدح الشاكين في لقاء ربهم، وإنما أراد: الذين يستيقنون. وكذلك في صفة من أوتي كتابه بيمينه من أهل الجنة: (هاؤم اقرءوا كتابيه (١٩) إني ظننت إني ملاق حسابيه) (٢٠) «سورة الحاقة» إني ظننت ـ يريد إني أيقنت، ولو كان شاكاً لم يكن مؤمناً.

وأما قوله: (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) (٣٢) «سورة الجاثية» انتهى.

وعند كاتب هذه السطور أن الأمر غير ذلك، فكلمة اليقين والشك وردت في آيات أخرى صريحة، ولو كان المراد من الظن إحداهما لوردت كما ورد اليقين والشك (١). وهو كلام الحكيم، فإذاً يريد من إيراد الظن أمراً آخر نحتاج إلى الوصول إليه، فما هو يا ترى؟!

إن حال النفس البشرية تعيش دائماً حال الظن بمعناه المتضاد، أي

حال الشك واليقين، وفي لحظات عجيبة تنتقل النفس بينهما، فأما حال المؤمن فتستقر وتنتصر فيها حال اليقين، وأما نفس الكافر فتستقر فيها حال الشك.

فبالصلاة تزيد حال المؤمن يقيناً (أرحنا بها يا بلال) رواه أبوداود وأحمد.

و(إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) (٤٥) سورة العنكبوت فالصلاة تزيل الفحشاء والمنكر التي هي حال التردد في فعلها، وتزيل الشك في فعل الفحشاء والمنكر. لهذا جاء: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم..) سورة البقرة:٤٥-٤٦.

فهذا الشك في النفس يتحول إلى يقين عند المؤمن، لذلك فإن العلاقة بين الخشوع في الصلاة واليقين، هي علاقة طردية عكسية:

أي إذا زاد الخشوع زاد اليقين، وإذا زاد اليقين زاد الخشوع وبينهما العلاقة دورية: أي عند البعض الخشوع يسبب اليقين، وعند البعض الآخر اليقين يسبب الخشوع.

ومن هنا جاءت كلمة يظنون، ولم تأت كلمة يوقنون، مع العلم بأنه ورد وصف المؤمنين: (وبالآخرة هم يوقنون) (٤) «سورة البقرة». فكلمة «يظنون» تدل تحقيق معنيي الظن: الشك واليقين، لتفيد انتصار معنى اليقين على معنى الشك عند المؤمن، ولهذا يستحق الأجر والثواب من الله تعالى.

أما حال الكافر فينتصر معنى الشك عنده على اليقين، فيستحق عذاب الله تعالى، لهذا يظهر الكافر الجحود رغم اليقين الذي في قلبه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (١٤) «سورة النمل». وهذا أكبر دليل على أن معنى الظن مراد بضديه، لإظهار الحال الاعتقادية والقولية لكل من المؤمن والكافر، واستحقاق المؤمن الجنة ليقينه، واستحقاق الكافر النار لشكه وجحوده.

فنلاحظ أنه بقطع المفسر أن أحد المعاني مراد، ونفيه للآخر، حرم الفكر والعقل من الغوص في التأمل والتدبر في معاني الآيات، وبالقاعدة التي وضعناها تتجدد المعاني القرآنية، ويظهر إعجاز القرآن أكثر، وتتسارع العقول لتتبارى في الغوص في المعاني القرآنية، فتزداد حركة التفكير والاجتهاد، ضمن قواعده اللغوية والشرعية. ما يساعد على تقدم الأمة الإسلامية، لأنها عندها يمكن أن تقود العالم بعقل متفتح مستنير بكتاب الله تعالى، فتحل مشكلاتها ومشكلات الآخرين. أما الجمود على معنى واحد، فيؤدي إلى الجمود والتبلد، وهذا ليس من صفات من يقود، وإنما صفات من يقلد. وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

تجدد المعاني القرآنية باختلاف المعاني عند القبائل العربية التي نزل القرآن بها:

من المعروف أن اللغة العربية كانت لغة القبائل العربية: أهل الحجاز وتميم ونجد وغيرهم، والقرآن يخاطبهم جميعاً، فمترادفات الكلمة لها معانٍ عدة حسب كل قبيلة، ويكون لها معنى معروفاً بينهم، فمن الصعب قلب ذلك المعنى عندهم لمعنى آخر موجود في القبيلة الأخرى، وبالتالي عندما ترد الكلمة القرآنية ويكون لها معنى في كل قبيلة يكون ذلك إعجازاً قرآنياً، وتيسيراً على الناس في فهم القرآن وتطبيق أوامره، وإن كانت الكلمة القرآنية من الأمور التكليفية التشريعية فإنه يؤدي لحصول فارق بسيط في المعاني، جعله الله من التيسير على الأمة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (١٨٥) سورة البقرة، ويكون ذلك المعنى قريباً من جميع القبائل، لأن الخضوع أمر الله في التطبيق العملي هو غاية التشريع، حتى لو حصل خلاف في الفهم، لأن التلقي والتطبيق مطلبان شرعيان، وبذلك يتحقق الغوص في المعاني القرآنية، وتتماشى الكلمة القرآنية مع كل الأعراف البشرية فلا ترهق القبائل بتغيير عرفها الذي نشأت وترعرعت عليه، ولا تضطرب في استبدال ما تعلمته، وإنما تبادر إلى التطبيق العملي، وهو المراد الأعظم من التشريع، مثلما يحصل باختلاف الليل والنهار من بلد لآخر، فيؤدي لاختلاف مواعيد الصلاة، وساعات الصوم بين البلدان الإسلامية إلا أن الجميع يقيمون الصلاة والصيام.

ومثاله العملي: القرء من قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (٢٢٨) سورة البقرة..

إن الاختلاف في الفهم وبطريقة الاستنباط دليل الإعجاز لاستيعاد الحياة كاملة زماناً ومكاناً

قال أبو عبيدة (٢): القرء واحد القروء: الدخول في الحيض، وكذلك الخروج من الطهر، أقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: طهرت، وأقرأت النجوم إذا تحولت من موضع إلى موضع.

وقال ابن السكيت (٣): قال أبو سعيد: «القرء عند أهل الحجاز الطهر، وعند أهل العراق الحيض، وقال أبو عمر بن العلاء: إنما القروء الأوقات، فقد تكون وقتاً للطهر، ووقتاً للحيض». انتهى.

وقد أخذ الحنفية معنى الحيض للقرء وأثبتوه بطرق الإثبات، وأخذ الشافعية معنى الطهر وأثبتوه، ونلاحظ هنا أن الطلب الشرعي هو الالتزام بعدة الطلاق وهي ثلاثة قروء، سواً كان القرء حيضاً أم طهراً، وكونه طهراً أم حيضاً ترك إلى القبائل العربية وفهمها والمتعارف فيما بينها.

فاختيار القرآن لكلمة (قرء) اختيار مقصود، وذلك ليتماشى مع جميع الأفهام والعقول. وإنما للقرآن طلب أساسي جوهري، هو الالتزام به، وجعله المصدر الوحيد لتلقي التشريع.

ومن هنا سادت الشريعة الإسلامية بهذا العقل المتفتح المستنير، بعدم إلغاء أي معنى من معاني اللغة، وبذلك حفظ القرآن لغة العرب بإيراده مثل تلك الكلمات.

أما نتيجة الفرق بين ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار، فهو عدد من الأيام ليس من هدف التشريع الأصلية، وإنما هدف التشريع الأصلي هو تلقي التشريع أولاً من الله تعالى، صاحب ذلك الحق، والذي تعبد به المؤمنين، ثم يأتي في الدرجة الثانية فهم التشريع وفق النظام اللغوي لكل قبيلة إن لم يرد به سنة تبينه. مثل تطبيق ثلاثة قروء على أي معنى متعارف بين أهل اللغة. والله اعلم.

تجدد المعاني القرآنية باختلاف المدارس النحوية واختلاف التقديرات النحوية في كل مدرسة:

إن المدارس النحوية والاختلاف النحوي بين المدرسة الكوفية والبصرية والبغدادية له كبير الأثر في توجيه المعنى، حتى لو كان معنى الكلمة محدداً بمعنى واحد، وهذا رافد آخر لتكثير المعاني القرآنية، ومن هنا يظهر الذوق النحوي كأحد العوامل المؤثرة في جمال المعنى وبيانه وتجليته بوضوح.

والأيام والوقائع والتقدم العلمي والعملي هو محل صدق ذلك المعنى المستنبط أو ذاك، وبالتالي يرجع الخطأ في حال ثبوته إلى المفسر لا إلى القرآن، وهذه إحدى فوائد قبول تكثير المعاني القرآنية وعدم الجمود على أحدها. والله أعلم.

تجدد المعاني القرآنية بتعدد القراءات القرآنية:

ثبت عند أهل السنة والجماعة عشر قراءات متواترة وأربع مشهورة، والقراءات منها ما يكون بتغير الصوت والإمالة والتفخيم والترقيق والمد والوقف، ومنها ما يكون بتغير بنية الكلمة، ومنه ما يكون بتغير تشكيل الكلمة، فكل ذلك يثري القرآن بتجدد المعاني، كما تؤكد القراءات والحفاظ عليها أنها نوع من أنواع الإعجاز القرآني، إذ يستحيل الحفاظ على ذلك لأي كتاب آخر.

- مثال التغير في النطق:

كلمة (النبي) قرأها نافع (النبيء) مع المد.

- مثال بنية الكلمة:

قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..) (٦) سورة الحجرات.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا) ووافقهم الحسن والأعمش.

- مثال تشكيلة الكلمة:

قوله تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم..) (١١) سور الحجرات بكسر الميم، فقرأ يعقوب: (ولا تلمزوا) بضم الميم، ووافقه الحسن وهي قراءة شاذة.

ومن رجع إلى كتاب (الميسر في القراءات الأربع عشرة) (٤) سيجد أمثلة كثيرة.

نتائج البحث:

مما تقدم بيانه، نحب أن نوضح أنه ليس الهدف من هذه المقالة هو تكثير المعاني عن طريق الفوضى، وليس الهدف هو تضييع الحق بتكثير الآراء، وإنما الهدف منه هو إعمال آلة العقل واللغة في كتاب الله تعالى الذي أمرنا باستخدامهما فيه. ضمن الأطر الشرعية المعهودة. وذلك من أجل تفعيل دور القرآن القيادي في توجيه وسعادة الإنسان، وتبيان قدرة القرآن على حل مشكلات كل العصور، وأنه يلبي حاجة الإنسان زماناً ومكاناً. لأنه كلام من خلق الإنسان وخلق الزمان والمكان، وهو أعلم بما خلق وما احتياجاته.

وإن الاختلاف في الفهم وبطريقة الاستنباط دليل الإعجاز، وأنه كذلك لاستيعاد الحياة كاملة زماناً ومكاناً، وبالتالي من هنا تظهر صلاحية القرآن للبشر كافة، وهذا أحد مظاهر الإعجاز الدال على أنه كلام الله تعالى، وليس كلاماً بشرياً، لأن كلام البشر لا يستطيع أن يتجاوز الزمان والمكان، كما لا يستطيع أن يعطي لكلامه معان عدة صحيحة سليمة خالية من الطعن من قبل عقول البشر المتمايزة، ولهذا وجدنا أن العرب عجزت أن تأتي بآية من مثله. لأنها أيقنت أنها لا تستطيع، وإن هي أظهرت تجربتها فسرعان ما سيظهر الخزي والعار على صاحبها، لذلك خرست وسكتت، ولم تستطع القول سوى (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) (٢٤) «سورة المدثر»، سحر البيان، وسحر المعاني، وسحر العقول والأفهام، ومن مكابرتها قالت: (إن هذا إلا قول البشر)(٢٥) «سورة المدثر»، فكيف يكون: (سحر يؤثر) مع (قول البشر) ولو كان من (قول البشر) لما كان (سحر يؤثر) ولاستطاع البشر أن يأتوا بمثله، وبخاصة أنهم أصحاب المعلقات العشر، وأصحاب سوق عكاظ الأدبي اللغوي البياني، بل الأنكى من ذلك أن نجد كبراءهم كأبي جهل وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يأتون في الليل متنكرين ليسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يقرؤه في هدأة الليل، ويأتون في النهار ليحاربوا الرسول ﷺ! وهذا من عجائب التكبر والطغيان البشري، الذي لا يستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ!

إن كلام البشر لابد أن يحصل فيه نقص أو عيب أو تناقض وهو قابل للخطأ والصحة والحق والباطل

والنتيجة الثانية تقوم على سابقتها وهي ما كانت دلالته قطعية فالحق فيه لا يتعدد، وما كانت دلالته ظنية فالحق فيه متعدد، لأنه لم تكن الدعوة للتأمل وإعطاء الأجر والثواب من الله تعالى للمتأمل المجتهد إلا دليل وقوع تعدد الحق عند الله وعند رسوله ﷺ وحادثة: «لا يصلين العصر أحد إلا في بني قريظة» دليل أكيد على ذلك.

ولأن الله تعالى لما جعل في كلامه ظني الدلالة كان عن قصد الحكيم الخبير، وبالتالي تكون المعاني المجتهدة من قبل الأئمة الأعلام كلها مقصودة، وبالتالي فالحق فيها متعدد وليس بواحد.

وهذه النتيجة بحاجة إلى دراسة وتجلية أكثر، ومناقشة أوسع والله أعلم ■

الهوامش:

١ - قال تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا) النساء:١٥٧.

٢ - كتاب الأضداد للأصمعي مادة قرأ.

٣ - كتاب الأضداد لابن السكيت مادة قرأ.

٤ - إعداد محمد فهد خاروف ومراجعة الشيخ محمد كريم راجح، طبع دار ابن كثير ودار الكلم الطيب بدمشق.

بقلم : إدريس أوهنا

مع القرآن الكريم في مواقف حوارية

حوار الله مع الملائكة :

النص القرآني: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة:٣٠-٣٣.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: نستفيد من قول الملائكة عندما قرر الله تعالى خلق آدم: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أنه إذا كانت علاقة الملائكة الكرام بالله تعالى المنزّه عن كل نقص تقوم على أساس حرية التعبير، وحق إبداء الرأي، فمن باب أولى أن تقوم العلاقة بيننا نحن البشر سواء كأفراد أو كهيئات وجماعات، ونحن المتصفون بالنقص والقصور والخضوع للأهواء، على الأساس نفسه، فننبذ بذلك كل أشكال التعصب والإقصاء والانغلاق في علاقتنا مع الآخرين سواء الذين يتقاسمون معنا التوجهات نفسها أو الذين يخالفوننا في القناعات والتصورات.

ثانياً: يوحي قول الملائكة لله تعالى: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك) بأنه كان لديهم من شواهد الحال أو من تجارب سابقة في الأرض أو من إلهام البصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حياته على الأرض، وما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض وأنه سيسفك الدماء... ثم هم - بفطرة الملائكة البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق، وإلا السلام الشامل - يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، وهو وحده الغاية المطلقة للوجود، وهو وحده العلة الأولى للخلق... وهو متحقق بوجودهم، يسبحون بحمد الله ويقدسون له ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته.(١)

إلا أن منطقهم هذا، على ما يستند إليه من قرائن يتهافت أمام المنطق الرباني، والحكمة الإلهية من خلق آدم المتمثلة في عمارة الأرض وتسخيرها، ولذلك قال لهم الله تعالى: (إني أعلم ما لا تعلمون).

والعبرة المستقاة من ذلك أن على المحاور ألا يؤمن بإطلاقته ما يعتقده من أفكار وآراء مهما تكن القرائن التي قد تبدو دالة على صوابها، إذ مهما كان رأيي صائباً في اعتقادي الشخصي، فإنه يحتمل الخطأ، ومهما كان رأي غيري خطأ، في اعتقادي الشخصي أيضاً، فهو يحتمل الصواب، وكما جاء في القرآن الكريم - في موضع آخر - : (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) سبأ:٢٤.

ثالثاً: في حالة عجز المحاور عن إدراك أمر من الأمور، أو في حال وقوعه في خطأ من الأخطاء، فإن ما يفرجه الجو الصحي للحوار وكذا التواضع للحق والعلم، أن يعترف بعجزه، ويقر بمعبودية علمه: (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)، وهذا بطبيعة الحال يقتضي كبت الأهواء، واستحضار البعد العقدي والتعبدي والأخلاقي والمقاصدي في العملية الحوارية.

حوار الله مع إبليس :

النص القرآني :

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين. قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين. قال أنظرني إلى يوم يبعثون. قال إنك من المنظرين. قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين. قال أخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) الأعراف:١١-١٣.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: إذا كان الله تعالى لم يستنكف عن محاورة إبليس اللعين، فإن في ذلك درساً لنا حتى لا نغلق باب الحوار مع أي كان.

ثانياً: نستخلص من هذا النص الحواري البديع كذلك، إن هناك أموراً ومسائل لا تقبل الحوار والنقاش من حيث القيام بها أو عدم القيام بها، وهي الأمور القطعية الثبوت والدلالة... فالسجود مثلاً - في الآية (٨٥) - امتثالاً لأمر الله عز وجل به لا يناقش، ولا يدخل فيه اعتبار لـ«النار» أو «الطين» أو غيره من الاعتبارات، لأنه كما يقول الأصوليون: «لا اجتهاد مع ورود النص»، أما الحوار والنقاش بهدف

فهم روح وفلسفة التكاليف والأحكام ومقاصدها، فهذا أمر محمود، يفيد في ترسيخ القناعة، وإيضاح الفكرة، وتقوية الالتزام.

ثالثاً: نستفيد منه أيضاً أن التكبر من الأمراض الخطيرة التي تفسد العمليات الحوارية وتعصف بها، وتؤدي إلى نتائج سلبية.

حوار الله مع آدم وحواء :

النص القرآني :

(فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) الأعراف:٢٢-٢٥.

خلاصات واستنباطات:

أعلى ما نستفيده من هذا الحوار بين الله سبحانه وتعالى، وبين أبوينا آدم وحواء، تلك المراجعة الصريحة للذات، أو ما يعرف بالنقد الذاتي الذي قدمه آدم وحواء اعترافاً بخطئهما: (قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا)، وهو ما يحتاجه المسلمون اليوم، جماعات وأفراد، في حواراتهم حتى تكون هذه الحوارات نافعة وهادفة تدفع بعجلة المشروع الحضاري إلى الأمام.

الحوار الداخلي :

«نموذج حوار إبراهيم مع نفسه»:

النص القرآني:

(وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جَنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب ا لآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين). الأنعام:٧٥-٧٩.

خلاصات واستنباطات:

نستخلص من هذا النص أن الحوار تجاوب وتواصل مع النفس قبل أن يكون تجاوباً وتواصلاً مع الآخر، إذ نجده يبدأ في حديث الإنسان مع ذاته، في حركة الفكر في الداخل، حيث يدور الجدل بين احتمال واحتمال، وفكرة وفكرة، وظاهرة ودلالة، في نطاق السلب هنا والإيجاب هناك، وذلك هو دوره في صنع العقيدة في الشخص المنتمي، وربما يتحرك الحوار في الداخل في عملية الالتزام والاستقامة في الخط والواقع، عندما يدور التجاذب بين منطق العقل، ومنطق العاطفة ونقاط الضعف، ونقاط القوة، وذلك هو دوره في تركيز الشخصية الملتزمة المستقيمة، وفي كلتا الدائرين تكون المهمة الحوارية، الوصول إلى وحدة الإنسان في التزاماته الذاتية فلا يبقى في الازدواجية التي تجعل منه إنساناً يتحرك بين الشيء ونقيضه في عملية اهتزاز فكري، وحسي، وعاطفي، لأن التعددية المتحركة في الذات لا تمنح الإنسان الطمأنينة والاستقرار.(٢)

فالمراجعة الذاتية باعتبارها قيمة تشكل قانوناً في التطور، توجب على الفرد المسلم الدخول في عملية حوارية مع نفسه، يراجعها، يحاسبها، يجاهدها، ينتقدها، يطهّرها، يقوّم مواقفها إلخ...، وإن غياب أو تغييب هذه المراجعة الذاتية أو هذا النقد الذاتي يعتبر من وجهة نظر الشرع منهجاً إبليسياً: (لاتلوموني ولوموا أنفسكم)، حين كان خطاب آدم عليه السلام وزوجه حواء خطاباً نقدياً يعبر بحق عن خلق رفيع: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف:٢٣.

وحاجتنا إلى الحوار مع النفس أو إلى التفكير الداخلي الذي يشكل المناعة والحصانة الذاتية تزداد في ظل الواقع المعيش الذي يعرف انفجاراً إعلامياً ومعلوماتياً رهيباً، وهجوماً فكرياً وثقافياً خطيراً، بوسائل وتقنيات جد متطورة وجذابة تستغلها العولمة الثقافية لتدمير الكيان العربي والإسلامي.

حوار إبراهيم مع أبيه

النص القرآني:

(واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً. يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً. يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهرجني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً. وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا) مريم:٤١-٤٨.

خلاصات واستنباطات:

في زمن ارتفعت فيه نسبة العقوق، وانتفى الجو الدافئ عن داخل مؤسسة الأسرة... تأتي هذه الآيات لتطلعنا على إبراهيم وهو يحاور أباه بمحبة وهدوء ورقة وأدب... ومهما يكن رد فعل الأب شنيعاً وقاسياً يبقى موقف إبراهيم عليه السلام ثابتاً، وطريقته في مراجعة أبيه هي طريقته: حب ورأفة وحنان... وهذا درس بطبيعة الحال نستلهم منه كيف ينبغي أن يكون الحوار - في الوقت الحاضر - داخل الأسرة، وخصوصاً بين الأبناء والآباء في جو من الألفة والمحبة والاحترام، دون انفعال أو توتر، هذا بغض النظر عن أهمية أو تفاهة الموضوع مناط الحوار والاختلاف.

وهذا الأمر يعتبر قاعدة عامة في العملية الحوارية لأنه «كم من حالات تحاورية تدهورت وفشلت بسبب أن نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئاً يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الآخر، وهناك حالات أخرى أدت فيها تقلصات وجه المتحدث، وحركة يده إلى ترك انطباع لدى أحد أطراف الحوار بأن أحد المتحاورين يتكلم بأسلوب يشبه أسلوب التهديد والتحدي والعداء والاستهتار بالآخر وفي أحيان أخرى كان إيقاع المتحدث سريعاً وحماسياً، فتصور الطرف الآخر أن المتحدث منفعل ويريد أن يستأثر بالحوار، هذا في الوقت الذي ثبت فيه بالدراسة أن هذه الحالات كانت لا إرادية، ولم يقصد المتحاورون أي عداء أو تهديد أو جفاء أو

استهتار أو استئثار بالحديث، ولكنهم لا يشعرون بوقع ما يقومون به على الآخرين وحجم الازعاج الذي يتسببون فيه لغيرهم»(٣).

إن التفكير العميق والتعبير الهادئ هما الوسيلتان الناجعتان في أي حوار «أما المهاترة والمنافرة فأمر تستخدم فيه اللغة أداة صوتية للصراخ حيث تقف قنوات العقل، وتبدأ الحبال الصوتية في الارتفاع، ارتفاعاً ما يتماشى بشكل عكسي مع ضعف الحجة عندها ربما تمتد إلى الكف أو العصا فيتوقف العقل عن الكلام، ويصبح المتحاوران أطرشين يتكالمان بلغتين متضادتين لأنهما كما قال الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغرباً

شتان بين مشرق ومغرب»(٤)

- هذا ونستفيد من هذا الحوار البديع أيضاً كيف أن أدب إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وهو يحاوره، لم ينسه أولية آصرة العقيدة على آصرة القرابة عندما تمادى أبوه في الغي والضلال، وأبى إلا أن يستمر على دين آبائه الباطل، وقال: (واعتزلكم وما تدعون من دون الله)، وفي سورة الزخرف (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) الزخرف:٢٦-٢٧، وفي سورة التوبة: (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) التوبة:١١٤.

فكذلك ينبغي لكل ملتزم بدينه في وقتنا المعاصر أن يضحي بكل شيء: بماله ونفسه وذويه من أجل دينه وعقيدته، يقول تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منم فأولئك هم الظالمون) التوبة:٢٣، ويقول: (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادة:٢٢... ولنا عبرة في قصة نوح عليه السلام مع ابنه ولوط عليه السلام مع زوجه، وآسية بنت مزاحم مع زوجها فرعون، ومحمد ﷺ مع عمه أبي لهب.

فالمعاملة الكريمة للأقارب ومحاورتهم بالتي هي أحسن لا تعني أبداً طاعتهم في معصية الله تعالى حتى وإن كانوا آباءً، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) العنكبوت:٨.

وإذا كان الحوار مع الأقارب المعادين للدين ينبغي ألا يُقدِّم فيه المحاور الملتزم تنازلات تضرُّ بدينه وعقيدته، فمن باب أولى أن يكون ذلك مع المخالفين والمعادين للدين من غير الأقارب، بحيث لا نعطي - في حوارنا معهم - الدنية في ديننا، ولا نتنازل عن مقوم واحد من مقومات حضارتنا، ولا عن شبر واحد من ترابنا المقدس كالتراب الفلسطيني الذي يعتبر وقفاً على المسلمين أجمعين لا يحق التنازل عن حبة رمل منه باسم مفاوضات السلام - أو بالأحرى مفاوضات اللئام -، ولا نواليهم بأي شكل من أشكال الولاء، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذو اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) المائدة:٥١.

الحوار مع المشركين :

النص القرآني:

(قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) الأحقاف:٤.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: أهمية الاستفادة من الكون، واستقاء الدليل والحجة منه في مواجهة الشخص المحاوَر وإقناعه.

ثانياً: نتعلم من الآية طريقة الاستدلال الصحيح، والمنهج السليم في المناقشة والمحاورة: (إئتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين)، تماماً كما يقول الأصوليون: «إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل»، وليس كما نلاحظ اليوم في واقعنا، حيث الاتهام بلا بينة، والحكم من غير دليل، مما يسهم في توسعة دائرة الخلافات بين الأحزاب والجماعات والأفراد.

ثالثاً: شساعة مجال العملية الحوارية بالشكل الذي تنفتح على كل القضايا والمسائل حتى العقدية منها، وبطبيعة الحال في حدود ما يجوز التحاور فيه شرعاً وعقلاً.

الحوار مع الملحدين :

النص القرآني:

(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) الطور:٣٥.

خلاصات واستنباطات:

أولاً نستنتج أن القرآن الكريم لم يغلق باب الحوار مع أيٍّ كان، حتى مع من يدعي الإلحاد، وفي ذلك عبرة لنا، نحن المسلمين، اليوم، حتى تتسع صدورنا، وتنفتح حواراتنا على كل من له رغبة جادة في الحوار بغض النظر عن توجهه الأيديولوجي، أو انتمائه السياسي أو ما إلى ذلك، لأن المهم أن تظهر الحقيقة ويتحقق الشهود... وما يدريك لعل الله يهدي من تحاوره إلى الحق، ويلين قلبه للصواب بعدما بعدت الشقة بينه وبين الهداية.

ثانياً: نستفيد من هذا النص الحواري أيضاً أهمية البرهان العقلي الرصين في الحوار كسبيل من السبل الموصلة للإيمان، وكطريق لترسيخ القناعات بشكل عام، وبالإضافة إلى هذا الأسلوب الأمثل في الحوار - الأسلوب العقلي - هناك أساليب أخرى: كالأسلوب العاطفي، والأسلوب الحسي، وأسلوب حزب الشّبائه والأنظار، وأسلوب التحدي... ولكل مقام مقال - كما يقُال - والحكيم هو الذي يقول ما ينبغي، كيف ينبغي، متى وأين ينبغي.

الحوار مع المنكرين للنبوة :

النص القرآني:

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً. أو يكون لك بيت

من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً. وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً. قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً. قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) الإسراء:٩٠-٩٦.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: إن منطق المزايدات في العملية الحوارية منطق غير سليم، لذلك نرى الرسول ﷺ أمام طلبات المنكرين التعجيزية الساذجة - أنظر في الآية ٩٠ إلى الآية ٩٣، يقف عند حدود بشريته ويرد ببساطة ودون مزايدة (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً)، وهو ما ينبغي استحضاره من قبل أبناء الحركات الإسلامية اليوم في الجامعة والمجتمع.

ثانياً: تلمس في آخر النص أهمية الدليل العقلي المنطقي في المحاجة والحوار: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً)، وهذه الآية ومثيلاتها، اعتبرها بمثابة إشارات استفزازية ومنبهات للعقل المسلم حتى يصحو من نومه، ويفك عنه الطوق المضرب من جراء شيوع التقليد، وعزوف الناس عن الاجتهاد، وإعمال العقل والنظر.

ثالثاً: نستفيد من النهاية التي أنهى بها الرسول ﷺ حواره مع المنكرين للنبوة أنه ينبغي على الداعية المحاور في حال تعصب الطرف المحاوَر وتعنته أن ينهي الحوار معه كما بدأه فلا يتشنج ولا يغضب ولا يتوتر، لأن القضية قضية رسالة ودعوة يجب أن يغيَّبَ فيها الانتصار للذات.

رابعاً: ينبغي أن تحمل نهاية الحوار من المعاني ما يجعلها، إذا ما اختمرت في ذهن المتعنت، فاتحة وبداية لحوار جديد قد تكون نتائجه إيجابية... وهو ما نستشفه من قول الرسول ﷺ الأخير: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً)، فإن الآية تحمل من القوة والثقة بما يقدمه الرسول ﷺ، ما يجعل المنكرين لنبوته يراجعون ذواتهم وآراءهم ويعيدون النظر في ذلك كله.

الحوار مع أهل الكتاب :

النص القرآني:

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالله والذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) العنكبوت:٤٦.

خلاصات واستنباطات:

- نستخلص من النص أصالة الحوار مع أصحاب الرسالات السماوية الأخرى، ما يمكن أن نسميه اليوم بحوار الحضارات، وهو أمر له أصوله في التاريخ الإسلامي أيضاً، فالرسول ﷺ تعاهد مع اليهود في إطار التعايش السلمي بين الأديان، وقصة حوار جعفر بن أبي طالب مع وفد المهاجرين للنجاشي ملك الحبشة وجماعته واضحة في هذا الشأن.

لكن إذا كان هذا هو موقفنا المبدئي في علاقتنا مع أصحاب الديانات الأخرى وهو: الحوار أو الجدال بالتي هي أحسن - وهو الموقف الذي يحاول الكثير الانطلاق منه لإضفاء الشرعية على مفاوضات السلام مع الكيان الصهيوني - فهل يا ترى يمكن اعتبار هذا الموقف ممكناً مرحلياً في واقعنا المعاصر، في ظل حرب الإبادة وصراع الوجود المعلن ضد المسلمين، وفي ظل كذلك اختلال موازين القوى ما يجعلنا نحاور من موقع ضعف وتنازل؟

في نظري الشخصي أرى أن ما سلب بالقوة لا يعود إلا بالقوة، والحوار الحقيقي هو الذي يكون من موقع قوة، أو على الأقل من موقع النِّدية، وليس من موقع ضعف وتنازل، خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا المصيرية التي تحتاج إلى حسم، ما يطرحنا أمام تحد واقعي، وهو تحدي الرهان على أصول القوة، بالمفهوم الشامل للقوة طبعاً، وهو تحد شرعي قبل أن يكون تحدياً واقعنا، قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال:٦٢، وآنئذ مرحباً بكل حوار عادل ومتكافئ.

الحوار القصصي :

(نموذج: حوار موسى مع فرعون)

النص القرآني:

(وإذا نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين. قوم فرعون ألا يتقون. قال رب إني أخاف أن يكذبون. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون. ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون. قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون. فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين. أن أرسل معنا بني إسرائيل. قال ألم نربّك فينا ولیداً ولبثت فينا من عمرك سنين. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين. قال فعلتها إذاً وأنا من الظالمين. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين. وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل. قال فرعون وما رب العالمين.

قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تستمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون. قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين. قال أوَ لو جئتك بشيء مبين. قال فأتِ به إن كنت من الصادقين. فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) الشعراء:١٠-٣٥.

خلاصات واستنباطات:

١ - ضرورة امتلاك عناصر القوة، أو بتعبير آخر ضرورة الإعداد التام قبل الدخول في أي عملية حوارية، تأسياً بموسى عليه السلام في قصته هذه مع فرعون... إذ تمثلت عناصر القوة بالنسبة إليه في أخيه هارون، وفي استجابة الله لدعائه، وحل عقدة لسانه، وكذا في معجزة العصا واليد البيضاء، وهو إعداد تام ومتكامل.

٢ - يجب على المحاور المسلم المؤمن ألا ينتصر لذاته، بقدر ما يجب عليه أن يحرص على انتصار الدعوة، وتفوق الرسالة، فموسى عليه السلام لما طلب من الله عز وجل أن يرسل معه أخاه هارون خوفاً من

أن يقتله فرعون كان يخشى على الرسالة أن تتوقف بقتله، لذلك أراد أن يصحبه هارون حتى إذا قتلوه حمل أخوه هارون أعباء الدعوة بعده.

٣- أن موسى عليه السلام كان جريئاً في قول الحق بلا حذر ولا تدرج منذ الوهلة الأولى للحوار، وهذا طبيعي - بالنسبة إليه - لأن الله طمأنه وعهد إليه بألا يمسه سوء من فرعون. أما نحن - كدعاة اليوم - انسجاماً مع طبيعة الواقع المعيش، وانسجاماً كذلك مع الخط العام للدعوة وما يقتضيه من تدرج، ومراعاة لطاقاتنا وإمكاناتنا، فإن الموقف الصحيح في تعاملنا مع طواغيت العصر هو أن نقول الحق على قدر المستطاع احتياطاً للدعوة حتى تستمر وتنتصر، وليس جبناً وزهداً في الجهاد بالنفس، وهذا الاحتياط في قول الحق أمام سلاطين الجور - من أجل الدعوة - لا يعني مطلقاً إقراراهم على المنكر والتواطؤ معهم عليهم.

٤ - نستنتج من حوار موسى مع فرعون كذلك، كيف أن موسى عليه السلام لم ينته ولم يصرفه هزء فرعون وسخريته وتهديده، عن هدفه المنشود، وهو بيان الحق والانتصار للدعوة، لذلك لم يتوتر ولم ينفعل في بداية الحوار إلى نهايته، وهذا خلق أساسي - خلق الأناة وربط الجأش - ينبغي أن يتحلى به كل الدعاة في حواراتهم الدعوية اليوم.

٥ - نستفيد كذلك من هذا النص الحواري أن على الداعية أن يتجنب الوقوع في زلة قد يستثمرها الطاغية للتشهير به إعلامياً - كقتل موسى للقبطي - وقد كان هذا شأن الرسول ﷺ مع من ظهر نفاقهم، حيث إنه امتنع عن قتلهم حتى لا يُقال إن محمداً ﷺ يقتل أصحابه.

٦ - على المحاور أن يدرك طبيعة المحاوَر ونفسيته، ويحاوره بناءً على ذلك، فموسى في حواره مع فرعون بدأ أول ما بدأ بالعزف على الوتر الحساس بالنسبة لفرعون، أو على العقدة القائمة في نفسه وهي ادعاؤه الربوبية، لذلك خاطبه بقوله: (إنا رسول رب العالمين). وانظر كيف عبر بصيغة المفرد «رسول» عوض «رسولا» دلالة على وحدة الرسالة وإن تعدد المرسَل.

٧ - عدم حرق جميع الأوراق مرة واحدة، فهذا موسى عليه السلام ترك أمر معجزاته جانباً ولم يظهرها إلا في الوقت المناسب وهو الوقت الذي هدده فيه فرعون بالسجن وهذا ينسجم مع القاعدة الحركية التي تقول: (ليس كل ما يعرف يُقال، وليس كل ما يُقال حان وقته، وليس كل ما حان وقته حضر أهله».

٨ - على الداعية أن يشعر دائماً بأن الله معه ويستحضر معونته ونصره سبحانه وتعالى، حتى يقوى على مجابهة المواقف الحرجة، ويتمكن من تجاوز كل العراقيل والصعاب.

٩ - كما أننا نستفيد من رد موسى عليه السلام على فرعون لما سأله: (ما رب العالمين)؟ - وأداة الاستفهام «ما» هنا تدل على أنه طلب معرفة حقيقة الرب، فقال موسى: (رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)، إنَّ الذي يجب أن يحكمنا في حواراتنا مع الآخرين هو البعد المقاصدي، فنقف عند حدود ما فيه مصلحة أو من ورائه فائدة، ونصرف الإجابة إلى هذا الاتجاه حتى تتعطل المصلحة بعيداً عن الجدال العقيم، وهو ما فعله الرسول ﷺ مع من سألوه عن الأهلّة: ظهورها، ونموها، وتناقصها، ما بالها تصنع هذا؟ فوجهه الله تعالى إلى صرف الإجابة إلى ما هو أهم وعملي في حياتهم بقوله: (قل هي مواقيت للناس والحج)(٥).

١٠ - على المحاور أن يعرض أفكاره بكل وضوح مدعومة بالدلائل والحجج كما فعلَ موسى عليه السلام، فإن ذلك يؤدي إلى أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يفتح الله على المحاوَر فينفتح - بكل روح حوارية - على الحق ويتبنى الصواب.

الأمر الثاني: أن يعاند ويتعنت على وضوح الفكرة وقوتها، فيكون المحاور قد أدى رسالته وقام بواجبه، وحقق عليه الشهادة، كما قال تعالى: (ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيي من حيَّ عن بيِّنة وإن الله لسميع عليم) الأنفال:٤٢.

١١ - نستخلص من قصة موسى عليه السلام مع فرعون أيضاً مسألة مهمة وهي أن تمرد الطغاة وتعنتهم يرجع في الأصل إلى سببين:

السبب الأول: طبيعتهم النفسية: التكبر والاستعلاء والتجبر والظلم والاستبداد.

السبب الثاني: «البطانة أو الحاشية التي تقوم بتزيين وتبرير مواقف الطاغية من جهة وتشارك في التخطيط وفي وضع القرار بالشكل الذي يخدم مصالحها ومصالحه من جهة أخرى.

١٢ - الإيمان العميق بأن الإنسان مهما طغى وتجبر وابتعد عن الله فإنه يظل متحسساً لدعوات الحق ومعاني الخير من خلال الدوافع الخيرة المنطلقة من فطرة الله التي فطر الناس عليها، الراقدة في أعماقه، المستيقظة - في بعض الحالات - على صوت خير، وكلمة حلوة، تنفتح عليها الروح في حالة الهدوء والتأمل... ولذا فإن علينا أن نلقي إلى كل إنسان - مهما كانت درجة انحرافه - بالكلمة الحلوة والصوت الخير المملوء بالمحبة فربما يلتقيان بالجو الروحي الهادئ الذي يكون منفتحاً على الهداية من خلال ذلك كله... وربما كان هذا هو السر في التوجيه الإلهي لموسى وهارون، أن يتحدثا - مع فرعون - بالقول اللين، أملاً في أن يتذكر بتذكيره بمعاني الخير وأن يخشى بتخويفه من المصير المظلم الذي يستقبله عند الله إذا استمر في طريقه المنحرف في أجواء الضلال»(٦).

١٣ - الحوار قد يستفيد منه غير المعني به أو الموجه إليه مباشرة - كما هو الشأن بالنسبة لمن آمن مع موسى عليه السلام ومنهم السحرة - الشيء الذي يبعث الداعية على التفاؤل دائماً، وعدم الاستسلام لليأس، مهما تكن النتائج الظاهرة للحوار، مادام القصد هو الله تعالى، ونصرة الحق. ■

الهوامش:

١ - في ظلال القرآن الكريم: سيد قطب ٥٧/١.

٢ - محمد حسين فضل الله، المنطلق، ع ٩٨، ص١١٨.

٣ - مجلة الفيصل، ع: ١٨٨، ص ٢٥.

٤ - مجلة الفيصل، ص:٨.

٥ - والآية كاملة هي: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) البقرة:١٨٩.

٦ - «الحوار في القرآن» حسين فضل الله، ص: ٢٧٠.

إعداد : د. حمد الرشيد

إن القرآن الكريم خاتم الرسالات السماوية، أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لينتشل الناس من ظلام الجهل إلى نور الإيمان ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا القرآن، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وأرشدنا فيه إلى الطاعات وحذرنا فيه من المعاصي، ففي كل سورة منه تجد أمراً ونهياً، وترهيباً وترغيباً إلى غير ذلك من المواعظ والقصص الربانية وسورة النور، من السور العظيمة التي تستوقف المسلم وتشد انتباهه، لما تحمله من المعاني الأصيلة والقيم النبيلة، والدروس المؤثرة، والابتلاء بشيء من صوره وأشكاله.

وما سوف نشير إليه هو شيء قليل من الظلال التي تحمله هذه السورة:

ومضات تربوية من سورة النور

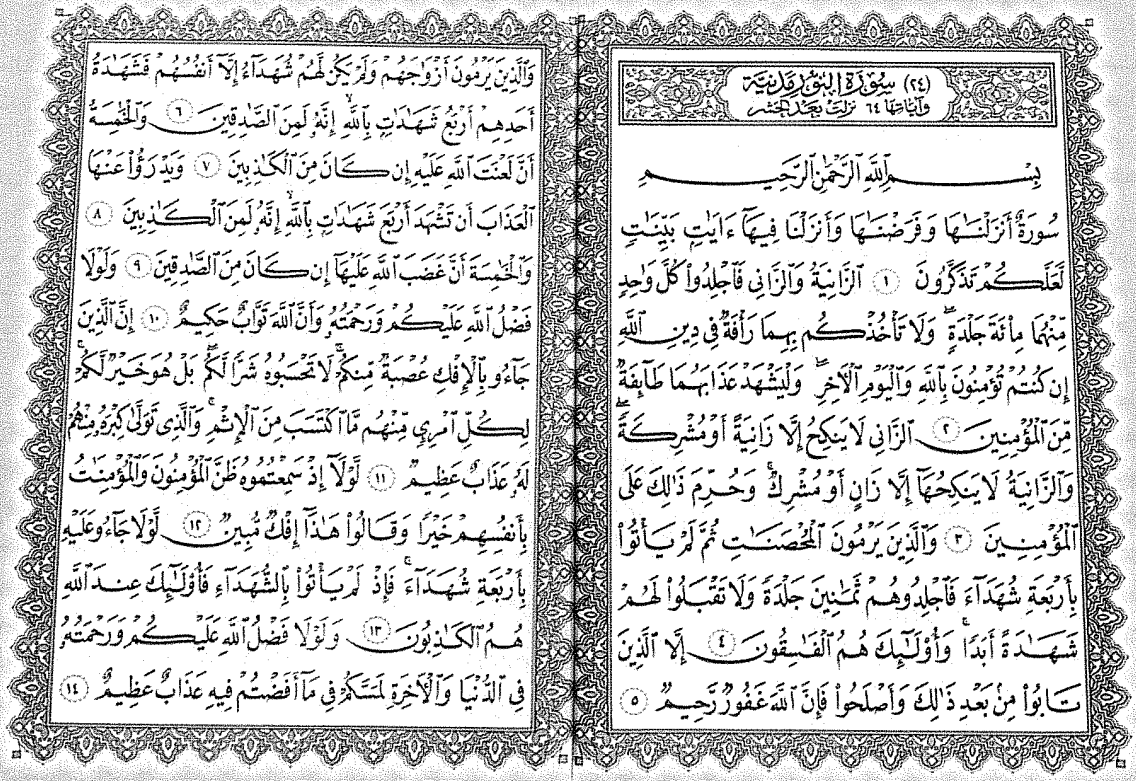

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

المبحث الأول

تربية الإسلام على وجوب التثبت والنهي عن قذف المؤمنات المحصنات الغافلات

قال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) النور:٤.

وقوله تعالى: (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) النور:١٥، لقد ربى الإسلام المسلمين على وجوب التثبت وعدم قذف المحصنات وهن العفيفات.

لأن ترك الألسن تلقي التهم على المحصنات الحرائر ثيبات أو أبكاراً من دون دليل قاطع يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء، ثم يمضي آمناً فتصبح الجماعة وتمسي وإذ أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة وإذ كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام وإذ كل زوج فيها شاك في زوجه وكل رجل فيها شاك في أصله وكل بيت فيها مهدد بالإنهيار وهي حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق.

لهذا وصيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابة من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنا ثمانين جلدة قال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً أولئك هم الفاسقون) إضافة إلى الجلد، وهناك عقوبة سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته، فالتثبت هو منهج في التربية أصيل استمدت أصالته من الإسلام.

والتثبت لغة: هو التأني في الأمر والرأي واصطلاحاً: تفريغ الوسع والجهد لمعرفة حقيقة الحال المراد. ويتصل بهذه الألفاظ لفظ التحري وهو لغة القصد والطلب واصطلاحاً: طلب الشيء بغالب الرأي عند تعذر الوقوف على الحقيقة.

التثبت من كلام الفساق قبل نقل الأخبار.

إن الإسلام دين شامل وواسع وموافق للفطرة مما أدى إلى انتشاره، وبعد أفقه فمثل جماعة عظيمة تتمثل في المسلمين، ومن أجل أن تستثمر هذه الجماعة وتؤدي رسالتها في الحياة كان لزاماً أن لا يشيع الشك بين هذه الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، فالأفضل إذن في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطاً بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق: فتصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع فتندم حينئذ لارتكابها ما يغضب الله ولات حين مندم(١). الأدلة على وجوب التثبت مما يأتي به الفساق من أنباء.

لما مضى تبيان فلسفة نقل الأخبار عن الفساق والتثبت في ذلك، وجب ذكر شاهد عليه وهو قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينو أن تصيبو قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦.

من حلف على شيء ورأى أن غيره خيراً منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير

وقد قرئ «فتثبتوا» بدلاً من «تبينوا» والمراد بالتبين، التثبت، ولقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد وفيها يقول الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه : قدمت على رسول الله ﷺ وكان فيها أن النبي ﷺ وبعث الوليد إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطرق، فرق - أي خاف - فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ بعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، فقال رضي الله عنه: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ «قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسول رسول الله ﷺ، فخشيت أن يكون سخطة من الله تعالى ورسوله، قال فنزلت الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) النور:١٩.

ويُستفاد من هذه الآيات:

نستفيد منه أن التأني في كل الأمور مطلوب.

نستفيد أن التثبت له مداخل شرعية كثيرة.

نستفيد منه أن الأمة الإسلامية تتمثل في جماعة والفاسق فيها شاذ عنها إذ الأصل فيها الثقة.

ونستفيد وجوب التثبت من الخبر الفاسق، ودلالة الضد في الأمر تدل على عدم وجوبه في خبر العدل وهو الأصل في أي قرار.

المبحث الثاني

تغليظ العقوبة لمن كان سبباً في إشاعة الفساد

قوله تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) النور:١١.

قد بيَّن الإسلام حكم من كان سبباً في إشاعة الفساد بين العباد فقد ذكر المولى عز وجل أن «له عذاب عظيم» يناسبه تصيبه من ذلك الجرم العظيم، والذي تولى كبره، وقاد حملته، واضطلع منه بالنصيب الأوفى في هذه الآيات السابقة هو رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول، وهذا الخطاب له ولكل من سار على شاكلته، قال السعدي: وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً ولذلك جعل الخطاب عاماً مع المؤمنين كلهم(٢)، إن الذين يرمون المحصنات إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها، وبذلك تشيع الفاحشة في النفوس لتشيع بعد ذلك في الواقع.

المؤمنين يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم ليغفروا للناس ليغفر الله لهم

المبحث الثالث
التربية في النهي عن تتبع خطوات الشيطان

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) النور:٢١.

ربى الإسلام المؤمنين على تجنب خطوات الشيطان وهي المعاصي، وأنها لصورة مستنكر أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه، وهم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان وأن يسلكوا طريقاً غير طريقه المشؤوم، صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن ويرتجف لها وجدانه، ويقشعر لها خياله.

يقول الطبري في تفسيره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا، بحديثكم عنها فإن الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنى والمنكر من القول(٨)، قال ابن كثير: هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان.(٤)

المبحث الرابع
تربية الإسلام على السماحة ونسيان أخطاء الآخرين والترفع عنها

قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم).

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد عرف أن مسطح بن أثاثة كان ممن خاضوا فيه، وهو قريبه، وهو من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فآلى على نفسه لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، فنزلت هذه الآية تذكر أبا بكر، وتذكر المؤمنين، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم، فليأخذو أنفسهم - بعضهم مع بعض، فليغفروا للناس ليغفر الله لهم.

هنا نطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية، التي طهرت بنور الله أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق رضي الله عنه - أبي بكر الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو «ألا تحبون أن يغفر الله لكم» حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع عن الضعف البشري ويلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف: والله لا أنزعها منه أبداً.(٥). ويستفاد من هذه الآيات:

حث الإسلام على الترفع عن الأخطاء وتجاوزها.

محبة الله عز وجل لمن يتصف بالسماحة.

عظم رحمة الله بعباده المؤمنين وحلمه مع ظلمهم لأنفسهم.

من حلف على شيء ورأى أن غيره خيراً منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.(٦)

الأمة الإسلامية تتمثل في جماعة والفاسق فيها شاذ عنها إذ الأصل فيها الثقة

المبحث الخامس
تربية الإسلام على الاستئذان عند دخول البيوت

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) النور:٢٨.

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان وهو تعبير أمرهم ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم.

والتعبير عن الاستئذان - بالاستئناس يوحي بلطف الاستئذان ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهلها أهل البيت أنساً به، واستعداداً لاستقباله وهي لفتة دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار وبعد الاستئذان إما أن يكون في البيوت أحد من أهلها أو لا يكون، فإن لم يكن فيها أحد فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان، لأنه لا دخول بغير إذن، وإن كان فيها أحد من أهلها، فإن مجرد الاستئذان لا يبيح الدخول، فإنما هو طلب للإذن، فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك ويجب الانصراف دون تلكؤ أو انتظار.(٧)

وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف كما ثبت في الصحيح من فعل أبو موسى الأشعري، وقوله تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم)، ارجعوا دون أن تجدوا في أنفسكم غضاضة ودون أن تستشعروا من أهل البيت الإساءة إليكم أو النفرة منكم، فللناس أسرارهم وأعذارهم، ويجب أن يترك لهم وحدهم تقدير ظروفهم وملابساتهم في كل حين.

قال ابن كثير كان الرجل في الجاهلية إذا لقى صاحبه لا يسلم عليه ويقول: حييت صباحاً وحييت مساء وكان ذلك تحية القوم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول: قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله نقياً نزيهاً من الدنس والقذر.(٨)

والسنة ألا ينظر إلى داخل البيت قبل الإذن، بل يقف إلى جانب الباب ويستأذن. لأن الاستئذان إنما جُعل من أجل البصر، قال ﷺ: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر».

وينبغي عدم التضجر إذا منع الرجل من الدخول لأن هذا الأمر تربية إسلامية ربى الله به المؤمنين.

شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنا ثمانين جلدة

المبحث السادس
التبرج وغض البصر

قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) النور:٣٠.

التبرج لغة: التكشف والظهور للعيون.(٩)

اصطلاحاً: هو إظهار الزينة لمن لا يحل له النظر إليها.

غض البصر لغة :

اصطلاحاً: هو صرف البصر عما حرمه الله(١٠).

لقد نهى الله سبحانه وتعالى المرأة عن التبرج فقال «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»، وهذا النهي وهذه الحرمة تتناول جميع أشكال التبرج المختلفة.

وكذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بغض البصر في قوله: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم).

وهذا أمركما سبق ـ للمؤمنين والمؤمنات أن يغضوا من أبصارهم عما حرمه الله عليهم دون من أباح لهم رؤيته.

الحكمة من الحكم التكليفي:

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «المرأة يجب أن تُصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج.

فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل، لأن ظهور النساء سبب الفتنة وهذا في التبرج والسفور، أما عن غض البصر فيجب لأن البصر داعية إلى فساد القلب الذي يسوق إلى الفاحشة بالتمني أو السعي إليها ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك.(١١)

وقال العلامة ابن القيم في قوله تعالى: (والذي هم لفروجهم حافظون... الآية)(١٢)، فأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم مطلع عليها (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ولما كان مبدأ ذلك من البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من البصر كما أن معظم النار من مستصغر الشرر، فتكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة.

ولهذا قيل: من حفظ الأربعة أحرز ديته: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

مفاسد النظر:

بما أننا تناولنا غض البصر فلابد من تناول مضاده قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فأما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرد، فمن أطلق بصره أورد نفسه موارد المهلكات، قال النبي ﷺ لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الأخرى.(١٣)

وأول تلك المفاسد:

١ ـ أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا صابراً عنه، وهذا من أعظم العذاب قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
فرأيت الذي لاكله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

٢ ـ وكذلك فالنظرة عامة الحوادث التي تصيب الإنسان منها، فالنظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة فعزيمة، فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل «الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده».

٣ ـ النظرة تجرح القلب جرحاً، فيتبعها جرح على جرح ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها.

فوائد غض البصر:

حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله فإن «من ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه» غض البصر يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) الحجر:٧٢، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، ولهذا يوجد في المتبع هواه ذل النفس وضعفها ومهانتها»(١٤).

المبحث السابع

تربية الإسلام في الحث على الزواج والعفة

قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) النور:٣٢.

وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بإنكاح أنفسهم من باب أولى.

ثم يأمر تعالى الشباب الذين لا تتيسر لهم سبل الزواج لأسباب مادية أو عقبات اجتماعية بالعفة عن الفواحش والابتعاد عمّا حرم الله حتى يوسع عليهم الله، ويسهل لهم أمر الزواج، فإن العبد إذا اتقى الله جعل له من أمره فرجاً ومخرجاً.(١٥)

ومن الكذب والزور ما يقوله بعض أدعياء العلم اليوم من أن «الكبت والحرمان» يولدان عند الإنسان عقد نفسية وأن عليه أن يخفف طغيان الغريزة.

إنهم يقيسون الإنسان على الحيوان الذي يعيش طليقاً بلا قيود ولا حدود يأتي شهوته متى شاء وينال غريزته بأي طريق أحب.

يقول سيد قطب: ولا عبرة بما يقال من أن البغاء صمام أمان يحمي البيوت الشريفة لأنه لا سبيل لمواجهة الحاجة الفطرية إلا بهذا العلاج القذر عند تعذر الزواج أو تهجم الذئاب المسعورة على الأعراض المصونة إن لم تجد هذا الكلأ المباح.

إن في التفكير على هذا النحو قلباً للأسباب والنتائج فالميل الجنسي يجب أن يظل نظيفاً بريئاً موجهاً إلى إمداد الحياة بالأجيال الجديدة، وعلى الجماعات أن تصلح نظمها الاقتصادية بحيث يكون كل فرد فيها في مستوى يسمح له بالحياة المعقولة وبالزواج، فإن وجدت بعد ذلك حالات شاذة عولجت بهذه الحالات علاجاً خاصاً.. وبذلك لا تحتاج إلى البغاء، وإلى إقامة مقادر إنسانية، يمر بها كل من يريد أن يتخفف من أعباء الجنس، فيلقي فيها بالفضلات تحت سمع الجماعة وبصرها.(١٦)

ويُستفاد من هذه الآيات:

انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة

الإسلام انتداب المسلمين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين الأحرار

لابد أن يستأذن الخدم والصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم

على تزويج الأيامى من المسلمين الأحرار.
وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره.
عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى.
حرمة الزنى بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود.

المبحث الثامن
تربية الإسلام للمسلمين في آداب الاستئذان وأوقاته

قول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) النور:٥٨.

ربا الإسلام المسلمين على الاستئذان كما تقدم في المبحث السابق وقد نظم لذلك أوقاتاً، فالإسلام منهج حياة كامل فهو لم يترك الإنسان عبثاً إنما تلقفه منذ أن كان نطفة في رحم أمه إلى أن يوارى في التراب، وهذه السورة نموذج من ذلك التنسيق، فالخدم من الرقيق، والأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان، إلا في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة، فهم يستأذنون فيها، وهذه الأوقات هي:

قبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج، وقت الظهيرة عند القيلولة، حيث يخلعون ثيابهم في العادة ويرتدون ثياب النوم، وبعد صلاة العشاء حيث يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل.

وسماها عورات لانكشاف العورات فيها، وفي هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة، وأن الصغار قبل البلوغ لاينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم

المرأة يجب أن تُصان وتحفظ ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة وترك التبرج

الميل الجنسي يجب أن يظل نظيفاً بريئاً موجهاً إلى إمداد الحياة بالأجيال الجديدة

كلها، فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام، الذي مضت به آية الاستئذانات.

ويستفاد من هذه الآيات:
وجوب الاستئذان عند الدخول وتعليم الأولاد والخدم ذلك.
أن الصغير الذي لم يبلغ لا يجوز أن يمكّن من رؤية العورة، ولا يجوز أن ترى عورته، لأن الله لم يأمر باستئذانهم إلا عن أمر ما يجوز، وكذلك العبد المملوك.
جواز كشف العورة لحاجة كالنوم والبول والغائط ونحو ذلك.

المبحث التاسع
تربية الإسلام على احترام النبي ﷺ

قال تعالى: (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم..... فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور:٦٣.

ربا الله عز وجل عباده في هذه الآية على تعظيم وتوقير النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لأنه نبي هذه الأمة وهو خير الأنبياء ولأنه قائد الأمة فلا بد وأن يختلف أسلوب المخاطبة معه، فإن الله عز وجل قد رفع منزلته فكذلك الواجب على المسلمين أن يقدروا له قدره وذلك بأن لا يدعونه باسمه: يا محمد ولكن يقولون يا رسول الله أو يا نبي الله وأن يخفضوا أصواتهم عنده ولا يخاطبوه إلا باللين.

واحترام النبي عليه الصلاة والسلام، فكما كان في حياته يكون أيضاً بعد وفاته وذلك بأن لا ترفع أصوات الناس في مجلس يذكر فيه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وكذلك القرآن من باب أولى.

يقول الشيخ الجزائري: أن يحاذر المؤمنين إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لا يرد فليس هو كدعاء غيره.(١٧)

ويستفاد من هذه الآيات:
تعظيم رسول الله ﷺ.
وجوب طاعة الله ورسوله.
المتجرئ على الاستهانة بسنة الرسول يخشى عليه سوء الخاتمة. ■

الهوامش:

١ ـ الظلال لسيد قطب ٦/٣٣٤١.
٢ ـ ابن كثير ٤/٢١٠ ـ ٢١١.
٣ ـ تيسير الكريم الرحمن ٣/٣٢٥.
٤ ـ الطبري ٩/٢٨٨.
٥ ـ تفسير القرآن لابن كثير ٣/٢٦٧.
٦ ـ أيسر التفاسير للجزائري.
٧ ـ سيد قطب/ ٢٧٠.
٨ ـ ابن كثير ٢٧٢.
٩ ـ المصباح المنير مادة (برج).
١٠ ـ الموسوعة ٨/٩٩.
١١ ـ بهجة الناظرين شريج الصالحين ٣/١٤٣.
١٢ ـ المصدر السابق ٣/١٤٣.
١٣ ـ حسن، رواه أحمد وأبو داود والحاكم والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني.
١٤ ـ من كلام ابن تيمية مجموعة رسائل في الحجاب والسفور ٣٥، ٣٦.
١٥ ـ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣/٣٥٩.
١٦ ـ الظلال ٢/١٧٩.
١٧ ـ أيسر التفاسير للجزائري ٣/٥٩٤.

بقلم : د. أحمد عبدالعزيز المزيني

اللغة العربية في المدارس الأجنبية

الواقع والمستقبل

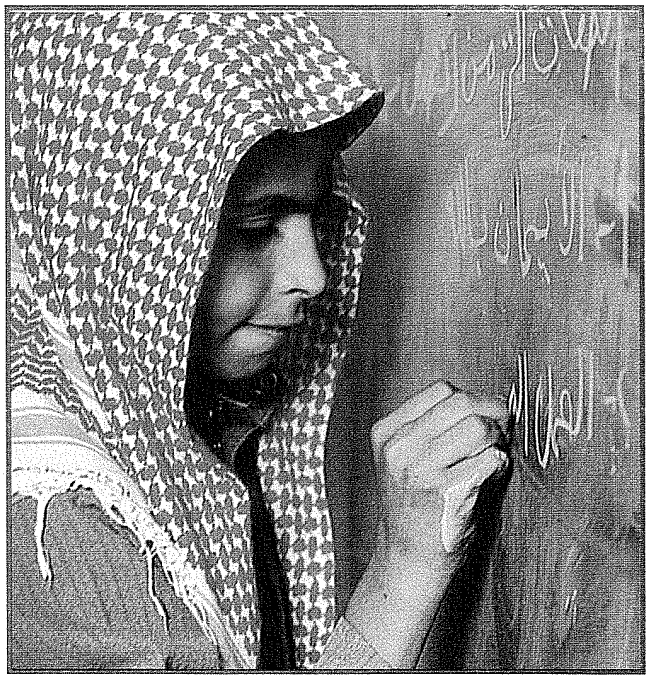

أهداف تدريس اللغة

لعل من أبرز أهداف تدريس اللغة العربية - في الوطن العربي على امتداده وعلى اختلاف مدارسه ومعاهده - أن يتعرف الطالب من خلال دراسته لها إلى أصول الكتابة العربية من نحو وبلاغة وأدب، بحيث يصبح قادراً على اكتساب المهارات الأساسية الأربع وهي:

الاستماع والمحادثة والكتابة والقراءة، وهي مهارات تتفاوت قدرات الدارسين في اتقانها وتحقيقها وفقاً لقدراتهم ووفقاً للأساليب المتبعة والتقنيات التربوية المستخدمة في تحقيق ذلك، إضافة إلى الكم والنوع المتمثلين في المنهج الدراسي أو ما يسمى بالكتاب المدرسي.

ويمكن أن يعدَّ تحقيق هذا الهدف في ذوات الدارسين مطلباً أساسياً ينضوي تربوياً تحت الأهداف العامة والخاصة لتدريس اللغات بصفة عامة، غير أن هناك هدفاً غير معلن صراحة يتحقق تلقائياً وبصورة عشوائية أو شبه تحكمية وهو التعرف إلى العديد من العادات والتقاليد والقيم ومعرفة الكتاب والأدباء والشعراء والمفكرين والعلماء الذين لهم إسهاماتهم في بناء الثقافة العامة في كل مجتمع من المجتمعات.

الازدواجية اللغوية

وإذا كان الطالب العربي منذ تلقيه دروس اللغة العربية يبدأ بالإحساس بأنه أمام لغة جديدة تختلف إلى حد ما عما ألفه في المنزل والحيِّ من لهجة دراجة، إلا أن هذا الإحساس يكاد يتبدد مع الوقت، إذ يصبح التعايش مع اللغة العربية التي يدرسها دراسة منهجية ومع اللهجة الدارجة التي اكتسبها أمراً طبيعياً، ويعيش حياته كلها في ازدواجية لغوية، ليس في كل واحدة منهما ما يعيق الآخر أو يقف في طريق المتحدث إذا أراد الحديث أو الكتابة أو القراءة أو الاستماع بإحداهما دون الأخرى، اللهم إلا في حالات يكون التدريب على اللغة الفصحى لم يحظ بالاهتمام المطلوب، وعالمنا العربي من أقصاه إلى أقصاه يعيش حالة من الازدواجية اللغوية منذ أقدم العصور، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يعيشون حالة من الازدواجية، وأن صراعاً بين مختلف اللهجات قد وقع فعلاً وانتهى في نهاية المطاف إلى بروز لهجة قريش كلهجة رسمية للأدب والشعر والخطابة، وبقيت مختلف اللهجات تعيش جنباً إلى جنب مع لهجة وقريش... وربما كانت اللهجات العربية في فترات مختلفة تنبئ عن قبيلة المتحدث وتكشف عن هويته وموطنه وربما عن قريته الصغيرة التي يعيش فيها إذا ما التقى بإنسان على اطلاع قليل بالخصائص اللهجية لبعض المناطق والأقاليم.

يهمنا من هذا كله أن الازدواجية اللغوية من الأمور التي لم تتجاوزها ولم تغفلها العملية التربوية، فهناك من قبل المدرسين والموجهين إصرار على المطالبة بالحديث باللغة الفصحى، والتخلي عن الحديث بالعامية، وهناك عملية تفصيح وتصويب للمفردات العامية التي تقع في كلام المتحدثين.

اللغة العربية مادة دراسية

عندما وضع التربويون اللغة العربية مادة للدراسة أصبح هذا الأمر يعني الشيء الكثير، وهو أن هناك منهجاً معيناً خاصة بهذه اللغة فيه من التسلسل والبناء الهرمي ما يمكن الدارسين من إتقان هذا المنهج والنجاح فيه من التفاوت في درجات الإتقان وتحقيق المهارات الأساسية الأربع «الاستماع - الحديث - الكتابة - القراءة»، والأمر في المدارس العربية «حكومية أو خاصة» يفترض إلى جانب ذلك أن مناهج المواد الأخرى من تربية إسلامية ومواد اجتماعية وعلوم ورياضيات وتربية بدنية أنها تدرس باللغة العربية المفصحة أو الفصيحة إلى حد ما... وهذا الأمر من شأنه أن يزيد من الثروة اللغوية لدى الطلاب الدارسين ويعمل على تحقيق المهارات الأساسية سابقة الذكر، بحيث تصبح عملية التواصل بين الماضي والحاضر أمراً طبيعياً وليس هناك من عوائق تحول دون ذلك، فضلاً عما تقوم به هذه المناهج من تعزيز لعملية تعلم اللغة العربية واكتسابها، لما تشيعه في الوسط المدرسي من أجواء عربية تصب في خدمة اللغة.

وهذا الأمر مختلف جداً في المدارس الأجنبية حيث تصبح اللغة العربية لغة غريبة ومستهجنة في هذا الخضم الهائج من المواد التي تدرس باللغة الأجنبية وتصبح اللغة العربية غير مستحبة من قِبَل الطلاب الذين نهلوا طويلاً وتشبعوا كثيراً من المناهج الغربية.

فاللغة الإنجليزية - على سبيل المثال - يتم تناولها في المدارس العربية على أنها لغة أجنبية، وليست لغة ثانية، والفرق كبير جداً بين أن تكون لغة ما أجنبية وبين أن تكون لغة ثانية، فهناك فروق في أهداف تدريس اللغة الأجنبية وأهداف تدريس اللغة الثانية، فضلاً عن اختلاف الوسائل والتقنيات في تدريس هذه وتدريس تلك.

فعندما تكون اللغة أجنبية يطمح المربون إلى أن يتعرف الطالب إلى لغة يمكن أن يستخدمها عند الحاجة وعند الضرورة في الحل والترحال، وعندما تكون اللغة ثابتة فإن الدارس يصبح مخيراً بين اختيار هذه اللغة وسيلة للتعبير والكتابة والبحث وبين اختيار لغته الأم أو اللغة الأولى، وتصبح اللغتان الأولى والثانية في معادلة واحدة

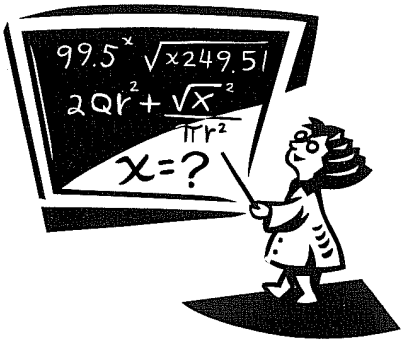

واللغة العربية في المدارس الأجنبية لم تحظ باهتمام ولا احترام وتقدير

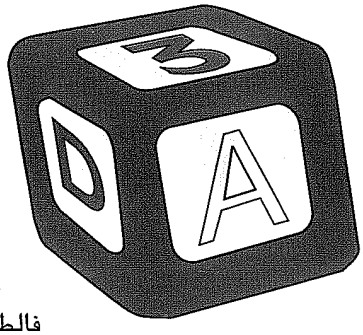

ودرجة متساوية في الاستخدام، والطالب ثنائي اللغة يقف دون شعور منه حائراً بين الميل إلى اللغة الأولى واللغة الثانية، ولابد أن تنتصر إحدى اللغتين في شخصه بحيث تتراجح آليات إحداهما على الأخرى، وفي كثير من المجتمعات ما يؤكد تغلب هذه على تلك بعد صراع لغوي طويل، ينتهي آخر الأمر إلى عملية إحلال لغوي، كما يحدث في الصراع اللغوي بين العاميات والفصحى، مع الاختلاف الواضح في حدة الصراع وطبيعته وبين المهادنة هنا والمعادة هناك، شعوب كثيرة يعرفها القارئ اندثرت لغاتها الأصلية وحلت مكانها لغات أخرى بعد صراع لغوي انضوى تحت صراعات ثقافية وحضارية وسياسية وغزو استعماري معروف.

واللغة العربية في المدارس الأجنبية لم تحظ باهتمام ولا احترام وتقدير، سواء أكان هذا الأمر صادراً عن الطلاب أم عن هيئة التدريس الأجنبية، وعلينا ألا ننخدع كثيراً عندما يُقال: إن مناهج وزارة التربية لمادة اللغة العربية تطبق وتقرر في جميع المدارس، سواء العربية منها والأجنبية، فالطالب في المدرستين العربية والأجنبية يدرس خمس حصص، وهذا قول مردود لأنه يخفي حقيقة مؤلمة شديدة الألم، لأن زمن الحصة في المدارس الأجنبية أقل بكثير من زمن الحصة في المدارس العربية، ثم ماذا عن طبيعة إشراف التعليم الخاص توجيهاً وإرشاداً ومتابعة وتقويماً لواقع اللغة العربية في المدارس الأجنبية، ثم ألا يوجد بين الطلاب العرب من يأبى دراسة اللغة العربية بحجة أنهم ينوون استكمال دراستهم في الخارج، ويصرون على الرفض باعتبار أنهم ليسوا في حاجة إلى اللغة العربية... وليس لهذه المدارس وإداراتها التي تتلقى الإنفاق عليها من أولياء الطلاب إلا الإذعان أمام رغبات الطلاب الجامحة وعواطفهم المشبوبة بما يشبه الهوس تجاه اللغة الأجنبية.

وهناك بدعة جديدة ابتدعتها هذه المدارس، وهي إسناد تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية للطلاب الأجانب إلى حملة المؤهلات الإنجليزية بحجة أنهم قادرون على التحدث باللغة الإنجليزية، وكأن الأمر يحتاج إلى شروح مطولة وتفصيلات دقيقة لا يقدر على تقديمها من لديه إلمام يسير باللغة الإنجليزية.

والخطورة كل الخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على هذا النهج المريب من التغريب، وهي أجيال لن تعود لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها، ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون في المدارس العربية، وكأننا بذلك نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية، تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم.

والأمر أكثر خطورة في واقع تدريس التربية الإسلامية في هذه المدارس الأجنبية فهناك من يعلّم هذه المادة دون تخصص فيها أو إلمام بها أو إدراك لمبادئها، وإذا تلا بضع آيات عرفته من لحن القول وسقط من حسابك. ■

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

أريدَ به الوصول إلى النّفس المطمئنّة

الجهاد الأكبر

إن المولى سبحانه تبارك وتعالى عندما خلق الإنسان أعده ليكون خليفته في أرضه، وحامل أمانته بين خلقه، وسخر له القوى الأرضية، والطاقات الطبيعية، وطوع له الوسائل المادية، ورصد له المدارك العقلية، ونفث فيه الفطرة الدينية، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا.

واقتضت حكمته سبحانه عز وجل بعد ذلك أن يبث في كل نفس النزعات المادية، والنزعات الحسية، وشاءت ارادته أن تكون النفس البشرية ميدانا للصراع بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الرشاد والضلال، ليحمل كل إنسان عاقبة ما اقترفت يداه وما جناه، فيموت من مات عن بينة شاهدها، ويعيش من عاش عن حجة عاينها، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حيَّ عن بينة، وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين) سورة الأنفال: الآية (٤٢).

فمن أخلد إلى الحياة الدنيا، واتبع هواه، وكان أمره فرطا، وآثر العاجلة على الآجلة، استحق العقاب بأن يكون مصيره إلى الجحيم، ومطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم، ومن زكى نفسه، وطهر حسه، وراقب الخالق سبحانه عز وجل في السر وفي العلن، وخاف القيام بين يديه، وحكمه فيه، ونهى النفس عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها، وآثر الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، استحق الثواب الجزيل، بأن يكون منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة.

يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى) سورة النازعات: الآيات (٣٧/٤١).

ولقد اقتضت حكمة المولي سبحانه تبارك وتعالى ورحمته، قبل أن يعرض الإنسان لهذا الاختيار الصعب أن يرسل إليه رسلاً، وأن ينزل إليه كتبا، وذلك على امتداد التاريخ البشري، من عهد آدم عليه السلام، إلى المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، ليزيلوا ما ران على فطرة الإنسان من شرور وفساد، وليقيموه بعد ارتكاسه في مهاوي الضلال والرذيلة إلى سواء السّبيل، وليرشدوه ويعرفوه طريق الشر ومساوئه، وطريق الخير وفضائله ومحاسنه، وذلك للعهد الذي قطعه المولى سبحانه تبارك وتعالى على نفسه في قوله: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) سورة الإسراء: الآية (١٥).

ومن هنا تكون العدالة الالهية، والعناية الربانية، قد أنصفت الإنسان في تطبيقها لقانون المسئولية والجزاء، فلا حساب دون بيان، ولا جزاء دون توضيح للسبل أمام الإنسان، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) سورة المدثر: الآية (٣٨).

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد) سورة فصلت: الآية (٤٦).

ويقول سبحانه عز وجل: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) سورة الزلزلة: الآيتان (٧، ٨).

وقد أجمعت الكتب السماوية كلها على أن الطريق القويم، والصراط المستقيم هي طريق الإيمان والعمل الصالح.

والإيمان وحده لا يكفي، بل لابد من الابتلاء، فالمولى سبحانه تبارك وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح، عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل فالمؤمن يبتلى على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء.

يقول الحق سبحانه وهو أصدق القائلين: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا.. وهم لا يفتنون.. ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا، وليعلمن الكاذبين) سورة العنكبوت: الآيتان (٢، ٣)، أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في دعواه، والحق سبحانه تبارك وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة.

العناصر الأساسية في تكوين النفس الإنسانية:

لقد اختلف العلماء والباحثون في العناصر الأساسية التي تكون النفس الإنسانية اختلافا كبيرا، فذهب فريق منهم إلى أن الوراثة هي العامل الأكبر في هذا التكوين، وهم يبالغون في تأكيدهم على أهمية الوراثة، لدرجة أنهم يتجاوزون دائرة التكوين الجسمي والعقلي إلى التكوين الخلقي، حيث يقولون: إن الناس يرثون عن آبائهم القدوة والمشاعر، والحالات النفسية، بالطريقة التي يرثون بها الشكل واللون، وطول القامة، وما إلى غير ذلك.

وقلل فريق آخر من العلماء والباحثين من أهمية الوراثة، وجعلوا تأثير البيئة هو كل شيء في حياة الإنسان، ويقولون: إن العوامل الوراثية التي يبالغ الناس في أهميتها لا قيمة لها ولا وزن، وليس لها أدنى أثر إذا ما قورنت بأثر العوامل البيئية التي لها أكبر الأثر في حياة الإنسان.

والحقيقة أن كلا من الطرفين المختلفين مبالغ في رأيه تماما، حيث أن لكل من الوراثة والبيئة معا أكبر الأثر في تكوين النفس الإنسانية.

إن صفات الجسم هي أكثر الصفات تأثراً بالوراثة، وتليها صفات العقل، من حيث درجة التأثر بالوراثة، أما الصفات الخلقية كالصدق والأمانة، والشجاعة والعدالة، وما إلى غير ذلك من الصفات الأخرى، فهي أقل الصفات جميعا تأثراً بالوراثة.

الوراثة والبيئة معا أكبر الأثر في تكوين النفس الإنسانية

والنفس الإنسانية مكبلة بقيود الوراثة وأغلال البيئة، فهي تعاني وتكابد في سبيل التخلص من هذه القيود وتلك الأغلال الشيء الكثير، وإن كان الصلف والغرور الإنساني يخيل للإنسان أنه قادر بما يملكه من قوة، وما يحرزه من مال، على فعل أي شيء، بيد أنه في الحقيقة عاجز وضعيف، ولا سبيل أمامه لاقتحام هذه الأسوار المحيطة به إلا سبيل الاستعانة بقوة فوق قوته.

وهذه القوة ليس لها مصدر سوى الإيمان بالمولى سبحانه تبارك وتعالى، والعمل الصالح، يقول الحق سبحانه وهو أصدق القائلين: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) سورة الطلاق: الآية (٤).

ولقد لخص القرآن الكريم النفس البشرية أبدع تلخيص، وصورها أروع تصوير، مبينا أثر الوراثة والبيئة في تكوين النفس الإنسانية، في عبارات قليلة موجزة، ولكنها موجهة، يقول الحق سبحانه عز وجل: (لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وما ولد. لقد خلقنا الإنسان في كبد) سورة البلد: الآيات (١، ٤).

إن المولى سبحانه تبارك وتعالى ينوه في هذه الآيات القرآنية الكريمة بالبيئة، وهي «البلد»، وينوه بالوراثة وهي «الوالدية»، ثم يشير إلى ما يقاسيه الإنسان من عناء الفكاك منهما، وأن غروره بقوته وماله لا ينفعه في التخلص منهما، وإنما الذي ينفعه هو أن يستغل ما وهبه المولى سبحانه تبارك وتعالى له من حواس جسمية، ومواهب عقلية، مستعيناً بخالقه سبحانه جل شأنه، ومهتدياً بهداه.

الجهاد الأكبر:

إن الإسلام يدعو إلى العزة والكرامة، والسمو من حال إلى حال، وهذا هو ما يسميه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بـ «الجهاد الأكبر»، فعن طريقه يخرج الإنسان من قيد النفس الأمارة بالسوء، التي تنقاد لغرائزها العمياء إلى ساحة النفس المسئولة، التي تعي التقاليد المرعية، وتدرك الأوضاع الاجتماعية، وتستطيع التمييز بين الخير والشر، وتقدر النتائج، لأن المولى سبحانه تبارك وتعالى قد عرفها طريق الهدى وطريق الضلال، وجعلها تميز العواقب.

ومن النفس المسئولة يهاجر الإنسان إلى النفس اللوامة، وهي التي تمثل السلطة العليا للمجتمع، بما فيه سلطة الوالدين، وهذه النفس هي التي يسميها علماء النفس بـ «الذات العليا»، أو «الرقيب»، ويطلق عليها علماء الإسلام اسم «الضمير».

وهذه النفس تنمو بنمو الفرد، وتعد بحكم تكوينها متصلة بـ «الذات السفلى»، و«الذات الشعورية»، وتسيطر سيطرة كاملة على النفس البشرية.

والضمير هو الذي يتولى سؤال النفس ومحاسبتها، وهو الذي يعطيها الأوامر، ويصدر الأحكام، ويحاسبها على الأعمال كما يحاسبها على النيات، فهو بمثابة المراقب على العلاقة بين «النفس الأمارة بالسوء»، و«النفس المسئولة».

وهذه الهجرة عبارة عن هجرة روحية، من قرارة الأرض إلى أعلى السموات، وفي هذا يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

ويقول صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وهذه الهجرة الروحية إن لم يصاحبها الإيمان الثابت، واليقين القوي، والعزم المتين، والعمل الدائب، والجهاد المستمر، فقد تتعرض للنكسه، ولهذا وصف المولى سبحانه تبارك وتعالى المؤمنين بأنهم البعيدون كل البعد عن الريب والشكوك، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون) سورة الحجرات: الآية (١٥).

والوسيلة إلى بلوغ هذه الغاية، هو أن يجعل الإنسان غرائزه وعواطفه متعلقة بمرضاة الله سبحانه تبارك وتعالى، فيجعل غريزة الخوف متعلقة بالله سبحانه عز وجل وحده: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) سورة الأحزاب: الآية (٣٧).

وغريزة المقاتلة يجب أن يرتفع بها إلى أرفع المراتب نبلا، وأعظمها شرفا، وأجلها غاية، وأسماها هدفا، وهي التي يسعى إليها أصحاب الهمم العالية، والنفوس الأبية، والأرواح الطاهرة النقية، وهذه المرتبة هي مرتبة الجهاد في سبيل المولى سبحانه تبارك وتعالى، نشراً

للعقيدة، ودفاعاً عن الوطن من أن يستباح، وذوداً عن العرض من أن يمتهن.

ولقد أخبر المولى سبحانه تبارك وتعالى أنه عوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم) سورة التوبة: الآية (١١١).

وغريزة الفرار يصلها بالخالق الحكيم سبحانه عز وجل: (ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين) سورة الذاريات: الآية (٥٠).

وغريزة حب الاستطلاع يوجهها إلى البحث والتدبر، والتأمل والدراسة، في الوصول إلى معرفة الحق، والنظر في دلائله نظر اعتبار، مستخدماً في ذلك جميع حواسه، من: سمع، وبصر، وعقل، وغير ذلك، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) سورة الأعراف: الآية (١٧٩).

وعلى هذا النحو يمكن التسامي بجميع الغرائز الحسية، وجعلها مرتبطة بخالقها ومتعلقة به سبحانه عز وجل.

والعواطف الوجدانية يجب أن تتجه هي الأخرى بكاملها إلى المولى سبحانه تبارك وتعالى، إذ أن الإنسان السوي يحب في الله سبحانه عز وجل، ويبغض في الله سبحانه عز وجل، مصداقاً لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله».

عندما يمتلئ قلب المؤمن بالحكمة، فإنه يكون قد بلغ مرتبة التقى والإخلاص

والمؤمن إذا انشغل قلبه، وتعلقت روحه، بصحبة المولى سبحانه تبارك وتعالى أمن على نفسه من النكسة أو الانحدار، الذي يسببه ضعف الإيمان، ووساوس الشيطان، ولقد حذرنا الحق سبحانه جلت حكمته من هذه النكسة أو الانحدار، فقال سبحانه عز من قائل: (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم، فتزل قدم بعد ثبوتها) سورة النحل: الآية (٩٤).

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين) سورة الحج: الآية (١١).

ويقول سبحانه تبارك وتعالى: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، الشيطان سول لهم، وأملى لهم) سورة محمد: الآية (٢٥).

ولقد وعد الحق سبحانه عز وجل المؤمنين الصادقين بأن يعينهم، ويهيئ لهم سبل الاستقرار والثبات، يقول سبحانه عز من قائل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء) سورة إبراهيم: الآية (٢٧).

الرحلة شاقة ومضنية:

إن الرحلة التي يأمرنا بها المولى سبحانه تبارك وتعالى، والهجرة التي يدعونا إليها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، للانتقال من حضيض الحياة الحيوانية الشهوانية، إلى آفاق السموات الروحية، هي رحلة شاقة ومضنية، تعترضها العقبات، وتحفها المشقات، وتقف أمامها الصعوبات، وتحيط بها المكاره، ولذلك فهي تحتاج إلى زاد كبير من التقوى، وفي هذا يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

وهذه الرحلة على ما فيها من أخطار ومصاعب، فإن المولى سبحانه تبارك وتعالى يعين عباده عليها إذا اتجهوا إليها، واعتمدوا عليه، ووثقوا به، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (الله ولي الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

وهذه المعونة الإلهية تتجلى أقوى ما تتجلى في أن يمنح المولى سبحانه تبارك وتعالى المؤمنين نوراً يضيء أمامهم ظلمات الطريق، من بدايته إلى نهايته، يقول المولى سبحانه جلت حكمته: (يأيها الذين آمنوا: اتقوا الله، وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته، ويجعل لكم نورا تمشون به، ويغفر لكم، والله غفور رحيم) سورة الحديد: الآية (٢٨).

وشتان بين من يسير تحت أشعة الأنوار، في طريق ظاهر مرسوم، ومنهج واضح محدد، لا عوائق أمامه ولا صعوبات، وبين من يسير متخبطا في الظلام، في دائرة مغلقة يميناً ويساراً، وهو لا يدري أين يسير، ولا كيف يسير، يقول المولى سبحانه جل شأنه في محكم كتابه: (أو من كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟.. كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) سورة الأنعام: الآية (١٢٢).

ومن لطف المولى سبحانه تبارك وتعالى بالإنسان أنه يعلم مدى ضعفه البشري، ويعلم - أيضاً - أنه عرضة للخطأ والنسيان والعجز، بيد أن الحق سبحانه عز وجل وهو الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته ومغفرته كل شيء، رفع عنه الخطأ والنسيان، وما أكره عليه، وفتح أمامه أبواب التوبة والمغفرة على اتساعها، ووعده بأنه إذا رجع إليه وأناب، بدل سبحانه عز وجل سيئاته حسنات، وأنسى الحفظة ذنوبه، يقول سبحانه جل وعلا: (إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بكم، إذ أنشأكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى) سورة النجم: الآية (٣٢).

ويقول سبحانه عز وجل: (قل: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم: لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم) سورة الزمر: الآية (٥٣).

وفي نهاية الرحلة يطهر المولى سبحانه تبارك وتعالى قلب الإنسان

ويزكيه، ويعطيه الحكمة التي تعصم من النكسة أو الانحدار، وتجعل خشية الله سبحانه عز وجل في قلبه على الدوام، إذ أن «رأس الحكمة مخافة الله»، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (يؤت الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولوا الألباب) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

وعندما يمتلئ قلب المؤمن بالحكمة، فإنه يكون قد بلغ مرتبة التقى والإخلاص، واستحق أن يصفه المولى سبحانه عز وجل بأنه من عباده المخلصين، وكان أهلاً لاصطفاء الله سبحانه عز وجل وولايته، وكان جديراً بالأمن والاطمئنان، والنجاة من المخاوف والأحزان، يقول الحق سبحانه تبارك وتعالى: (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) سورة الأعراف: الآية (٣٥).

مرتبة النفس المطمئنة:

إن النفس البشرية إذا وصلت إلى هذه المرحلة من السمو عمتها السكينة، وشملتها الرحمة، وعمها الهدوء، وازدادت إيماناً فوق إيمانها، يقول المولى سبحانه عز وجل: (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) سورة يونس: الآية (٦٢).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟.. قال: «قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، ثم قرأ: (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

والنفس في هذه الحالة تكون مطمئنة بذكر المولى سبحانه تبارك وتعالى، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد: الآية (٢٨).

وهذه المرتبة يسميها القرآن الكريم مرتبة «النفس المطمئنة»، وهي المرتبة السامية التي لم تَسْمُ إليها معارف علماء النفس المحدثين، لأنها فوق فهم وتصور العلماء والباحثين، وفيها يقول المولى سبحانه عز وجل: (يأيتها النفس المطمئنة: ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي) سورة الفجر: الآيات (٣٠/٢٧).

وبعد:

فلقد وصف القرآن الكريم مراحل النفس البشرية وصفاً حكيماً، ووضح معالمها توضيحاً دقيقاً، وبين وسائل اجتيازها، وأعان السالكين فيها على بلوغ غايتها، لمن أراد الادراك النبيل.

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا، بل وصف السالكين في هذه المرحلة، وبين أن بعضهم قد ينقطع به الطريق، وبعضهم قد يؤثر الراحة على التعب، وبذل الجهد، فيخلد إلى الحياة المادية، ويقنع بالشهوات والنزعات، وبعضهم قد يصل إلى منتصف الطريق، فيختلط عليه الأمر، فيمزج عملاً صالحاً بعمل سيئ، وبعضهم يواجه كل العوائق والصعوبات، ويصل إلى نهاية الطريق.

ولقد قسم القرآن الكريم السالكين في هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام، وهي على الترتيب الآتي:

١ ـ الظالمون لأنفسهم: وهؤلاء هم الذين يؤتون صحائف أعمالهم بشمائلهم، فهم في حر نار ينفذ في المسام، وماء متناه في الحرارة، وظل من دخان أسود، لا بارد كسائر الظلال يستظل به، ولا كريم ينتفع به.

٢ ـ المقتصدون: وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً بعمل آخر سيء، وهؤلاء عسى أن يتوب عليهم المولى سبحانه تبارك وتعالى، ويغفر لهم، فإذا حقت لهم التوبة، دخلوا في أصحاب اليمين.

٣ ـ السابقون بالخيرات: وهؤلاء هم المقربون، الذين أنعم عليهم المولى سبحانه تبارك وتعالى، وجعل مكانهم مع النبيين، وبجوار الصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى في هؤلاء جميعاً: (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم، ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون) سورة الواقعة: الآيات (٢٤/٨).

المؤمن إذا تعلقت روحه بصحبة المولى أمن على نفسه من النكسة أو الانحدار

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين في محكم كتابه: (فأما ان كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم.. وأما ان كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم، وتصلية جحيم، ان هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم) سورة الواقعة: الآيات (٩٦/٨٨).

فمن أراد أن يصل إلى هذه المرتبة السامية ويبلغ الذروة العالية، وينعم بالنفس الهادئة المطمئنة، فليشمر عن ساعد الجد، ويواصل الكفاح والكد، ويبذل أقصى طاقات الجهد، ويتحمل التبعات، ويحتمل المشقات، وينبذ الشهوات ، ويبتعد عن النزعات، ويستعين بفاطر الأرض والسموات، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حديثه الشريف: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل.. ألا ان سلعة الله غالية.. ألا ان سلعة الله الجنة».

أعان المولى سبحانه تبارك وتعالى كل من هذب نفسه، وتحكم في أهوائها وشهواتها، وجاهد في سبيل التغلب على نزعاتها، وجعل ضميره إمامه في كل عمل يعمله، سواء صغر هذا العمل أم كبر، وخشى الحق سبحانه عز وجل حق خشيته، وجعله ممن (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه) سورة البينة: الآية (٨).

وجعلنا سبحانه جلت حكمته ممن يرددون ـ على الدوام ـ في دعائهم، قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك».

والله سبحانه تبارك وتعالى من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل. ■

بقلم : د. حسان شمسي باشا

كيف كان الطب في أوروبا ... وعند المسلمين؟

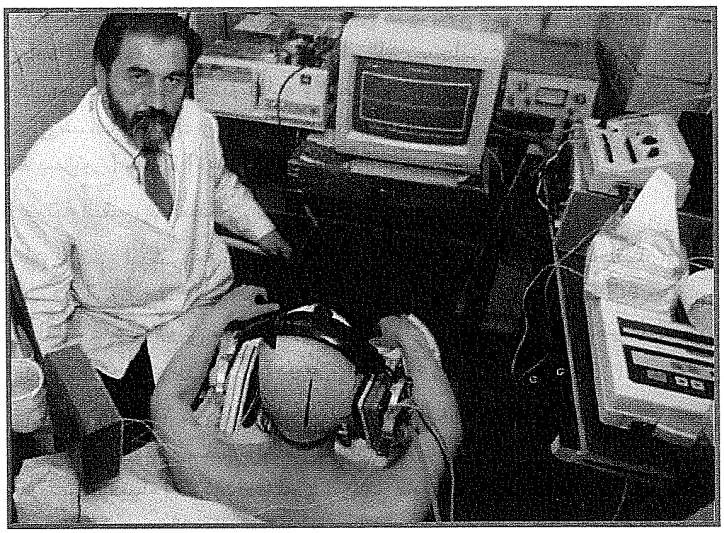

للمسلمين فضل لا ينكر على الحضارة الإنسانية قاطبة، ولا سيما على حضارة الغرب المعاصرة، فقد نبغ علماء المسلمين في شتى العلوم والمعارف، ويخطئ من يظن أن المسلمين كانوا مجرد نقلة، نقلوا التراث الإغريقي فقط، ذلك لأنهم قد استوعبوه وهضموه وفهموا أسراره ومضامينه، وأضافوا إليه ومزجوه بعلوم الإسلام والقرآن، وشهد الله ما ذكر ذاكرٌ حضارة العرب إلا استهلت بعبراتنا الشجون، حسرة على من كانوا رُسُل خير ورحمة، وحملة علم وعرفان، أن تذهب جهودهم الإنسانية سدى على يد مَنْ خلفوهم في الحضارة، فرجعوا بالفضيلة قروناً إلى الوراء.

وفي مجال الطب نبغ المسلمون في علوم الطب وفروعه، وألّفوا فيه الكتب والمراجع وابتكروا الآلات الطبية، وأقاموا المستشفيات الثابتة والمتنقلة. واتسم العمل بالمستشفيات بالطابع الإسلامي، والطابع الخلقي والإنساني بما يفوق نظام العمل بأرقى المستشفيات في بلاد الغرب.

ومن مفاخر المسلمين حقاً أن أول المستشفيات في بلاد الإسلام كان خيمة «رفيدة»، وهي امرأة كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من أصابته الجراح من المسلمين. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصاب سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ السهم في غزوة الخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب».

ولما تتابعت الفتوح كان للجيش مضارب فيها الممرضات من النساء يداوين الجرحى، وهذا من جهادهن.

وكان العرب يسمون المشافي «بيمارستانات ويخففونها فيقولون «مارستانات». وهي في الأصل كلمة فارسية معناها «معسكر المرضى».

وكانت البيمارستانات منذ أول عهدها وحتى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية، إلى أن أصابتها الكوارث، ودار بها الزمن وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين، فصارت كلمة «مارستان» تعني مأوى المجانين، وفي الوقت الذي كانت فيه المشافي تشاد في كل مدينة من المدن الإسلامية، كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل والتخلف.

وكان من أشهر المشافي في أوروبا في القرون الوسطى مستشفى «أوتيل ديو» في باريس، وقد جاء ذكره في كتاب ألّفه «ماكس نوردو» قال فيه عن هذه المستشفى: «كان يستلقي في الفراش الواحد أربعة مرضى أو خمسة أو ستة، فترى قدمي الواحد في جانب رأس الآخر، وكان الأطفال الصغار إلى جانب الشيوخ الشيب، حقاً إن هذا لا يُصدَّق، ولكنه الحقيقة والواقع، كانت المرأة تئنُّ من مخالب المخاض إلى جانب رضيع يتلوى من التشنجات، ورجل يحترق في هذيان الحمى إلى جانب مسلول يسعل سعلته الجارحة، ومصاب بإحدى الأمراض الجلدية يمزق جلده الأجرب بأظافره الثائرة.

كان رائحة الهواء في قاعات المرضى فاسدة حتى أن الزوار ما كانوا يجرؤون على دخولها إلا بعد أن يضعوا على وجوههم إسفنجة مبللة خلاً، وتبقى جثث الموتى أربعاً وعشرين ساعة في الفراش، وقد وصفه في القرن الثاني عشر باللي ويتنون، ولافوازيه في تقريرهم وصفاً تقشعر منه الأبدان، إذ رأوا الموتى جنباً إلى جنب مع الأحياء، كما رأوا الناقهين مختلطين في غرفة واحدة مع

المحتضرين، وكانت غرفة العمليات حيث الشق والقطع والبتر تأوي الذين تُعمل لهم العمليات في الغد. فكانت تعمل في وسط الغرفة نفسها، وكان المريض يرى أمامه تحضيرات العذاب ويسمع صراخ المعذبين، فإن كان ممن ينتظر دوره في الغد كانت أمامه صورة أوجاعه المقبلة، وإن كان ممن مرَّ بهذا الجحيم كان أمامه منظرٌ يذكِّره بالأوجاع التي قاساها.

ولم تعمل يد التحسين في المستشفى الذين أنشئ في العام ٦٦٠م إلا بعد الثورة الفرنسية العام ١٧٨٩م.

هكذا كانت حال أحد أشهر مشافي أوروبا في العصور الوسطى كما يصفها الدكتور أحمد شوكت الشطي، فماذا كانت حال مستشفياتنا التي كان يطلق على البيمارستانات؟

يقول المؤرخون إن المشافي العربية والإسلامية كانت تكرَّس للرفيع والوضيع، والملك والمملوك والجندي والأمير.

وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين وذوو الجاه يتبارون في بناء المشافي حتى أصبح في كل مدينة من المدن الإسلامية الكبرى مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى، وكان البيمارستان مؤسسة حكومية يقوم على نفقاتها أحد الخلفاء أو الأمراء، وكان المرضى يُفحصون في المستشفى فيُعطون من لا يحتاج إلى الاستشفاء فيه وصفة تُحضَّرُ في صيدلية المستشفى، أما المرضى الذين يحتاجون إلى دخول المستشفى، فتدوَّن أسماؤهم لقبولهم، ثم يستحمّون ويُلبقون في المستشفى حتى الشفاء التام، وعلامة شفاء المريض أكل رغيف من الخبز وفروج كامل!!

وعندما يخرجون المرضى يعطونهم ثوباً خاصاً مع كمية من الدراهم لتقوم بنفقاتهم الضرورية خارج المستشفى، وكان الناس يتمارضون رغبة منهم في الدخول إلى المستشفى والتنعم بما فيه، والأطباء يغضُّون الطرف أحياناً عن هذا التحايل.

قال خليل بن شاهين الظاهري في كتاب «النجوم الزاهرة» بعد أن زار دمشق: «وفيها بيمارستان لم يُرَ مثله في الدنيا، وعندما دخلت دمشق سنة ٨٣١هـ كان بصحبتي رجل عجمي من أهل الفضل والذوق، فلما دخل البيمارستان، تمارض وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الأطباء يتردد إليه، فلما فحصه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والفواكه والحلوى، وبعد ثلاثة أيام كتب له الطبيب كلمة جاء فيها: إن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام، وهذا يوحي بأنه أدرك أنه متمارض، ومع ذلك فقد عامله كأحد الضيوف».

وكان لكل مستشفى عام أروقة خاصة للذكور والإناث، وخُصصت فيها شُعبٌ للحمى والإسهالات والجراحة والتجبير والإصابات العينية وغيرها، وأُلحق بأكثر المستشفيات حمام عام، ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز، ومجهزة بالأدوية والشرابات والعقاقير المختلفة.

وجُهز كل مستشفى بمكتبة تضم المفيد من مخطوط أبقراط وجالينوس وأطباء المسلمين، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولة الصباح على المرضى.

وكان للمستشفيات أوقاف تعولها، وكانت الإدارة الطبية يرعاها الطبيب الأول يعاونه رؤساء مختلف الشعب، ويعاون هؤلاء معاونوهم وتلاميذهم.

وانتشرت البيمارستانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي، وكان منها نوعان:

النوع الأول: وهو «البيمارستان الثابت»، ومن ذلك بيمارستان النوري الكبير في دمشق وبيمارستان قلاوون في القاهرة.

النوع الثاني: وهو «البيمارستان المحمول»، وهو الذي يُنقل من مكان إلى آخر بحسب انتشار الأمراض والأوبئة والحروب.

وبلغ من اهتمام الأمراء بالبيمارستان أن بعضهم كان يشرف بنفسه على سير العمل فيها، ومن هؤلاء أحمد بن طولون الذي اعتاد أن يتفقد أحوال المرضى في كل يوم جمعة في البيمارستان العتيق.

ولم تكن رسالة البيمارستان قاصرة على الرعاية والعلاج، وإنما امتدت لتشمل إعداد الأطباء، وتأهيلهم فكان بمثابة جامعة تخرِّج فيها الأطباء، ويتبعون ما يطلق عليه في الوقت الحاضر اسم «فريق العمل» حيث يشترك أكثر من طبيب في تشخيص الحالة وعلاجها، وهذا المنهج الإسلامي هو الأصل الذي نشأ عنه ما يعرف في الوقت الحاضر في مجال العمل الطبي باسم «مؤتمر الحالة» حيث يجتمع عدد من الأطباء والاختصاصيين ويدرسون حالة مريض معينة، ويبدي كل منهم رأيه، ويتبادل الجميع الخبرة والمشورة.

أما المجاذم: فقد خصصت لعلاج المجذومين، وأول مؤسسة عرفت في بلاد العرب هي مجذمة الوليد بن عبدالملك في دمشق سنة ٨٨هـ، ثم تعددت المجاذم بعد ذلك، وتُعدُّ المجاذم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية، وكان الدخول إليها غير تابع لقيد أو شرط، بينما كانت المجاذم في الغرب مخصصة لفئة من الناس، وكان على المقبول فيها أن يدفع رسماً باهظاً وأن يصطحب معه ما يحتاج إليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب.

وأما بيمارستانات الأمراض العقلية فقد تأسست في زمن الأمويين للعناية بالذين أصابهم مسٌّ أو اعتراهم ضعف عقلي، فقد كان المسلمون يعتبرون المعتوهين معدمين وعالة على إحسان الدولة، لأن إصابتهم بقضاء من الله وقدره.

ولقد جاء في صك الأوقاف التي حُبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق بحلب أن كل مجنون يخصُّ بخادمين فينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ثم يُلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة، ويُسمعانه قراءة القرآن يقرؤه رجلٌ حسنُ الصوت، ثم يفسِّحانه في الهواء الطلق.

أما في أوروبا، فكان المجانين يُحرمون من دخول المستشفيات، وكانوا يُقيَّدون بالسلاسل في بيوت الجنون، تلك البيوت التي كانت شراً من السجون، فيبقون فيها حتى ينتهي أجلهم!.

فهل أتاك بعد هذا كله أن الغرب سبق حضارتنا بقرون حين اهتدوا إلى المستشفيات؟ ولعلنا في الختام نذكر كلمة «رينان» التي يقول فيها:

«ما دخلت مسجداً قط إلا اعتراني خشوعٌ يمازجه أسفٌ على أني لم أكن مسلماً» فيتمنى أن يكون مسلماً من ذلك الطراز: طراز نور الدين وصلاح الدين.

فإلى شحذ الهمم ودفن الظلام، نسأل الله أن يهدي المسلمين في كل مكان. ■

تأليف : د. السيد رزق الطويل

عرض : محمد علي وهبة

الحياء سمة الحضارة الإسلامية

الحياء هو السمة الغالبة التي تحكم الملامح الخلقية المتسامية للإسلام، فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ «باب حسن الخلق» عن زيد بن طلحة التركاني أن النبي ﷺ قال: «إن لكل دين خلق، وإن خلق الإسلام الحياء» رواه ابن ماجه.

فالمسلم في حضارته يستحيي من الذل والهوان، يستحيي من حياة الخمول والضعف، يحكم سلوكه قول النبي الكريم ﷺ : «اليد العليا خير من اليد السفلى» رواه البخاري.

يستحيي المسلم كذلك من الوقوف في ذيل القافلة البشرية، كما لايقبل معاناة الإحساس بالعجز والحرمان وعيشة الهوان، ولا يكتفي برفض أمثال هذه المثالب لنفسه فقط، بل إنه لا يقبل أن يعيش أي إنسان على وجه الأرض عيشة هوان، لأنه يوقن أن بينه وبين كل إنسان صلة ما، كما يشير الرسول الكريم ﷺ إلى ذلك بقوله: «كلكم لآدام وآدم من تراب» رواه البزار.

فلأن المسلم قد تربى على مقتضيات الكتاب والسنة، وهما أرقى وأسمى دستور للحياة البشرية في أبهى مراتب ارتقائها، فهو لذلك يحب أن ينزع ثوب الهوان عن نفسه وعن كل إنسان، بأن يأخذ بيده إلى حضارة الإسلام الخالدة المتجددة على مر العصور، بكل ما فيها من بهاء وأسباب رخاء وارتقاء، وعدل ورحمة، واستقامة على صراط الله الحميد.

تلك جوانب ما يتناوله هذا الكتاب القيم، الذي - كما يقول الباحث في مقدم كتابه - إنه يعرض لموضوع قديم جديد، أي متجدد بالتبعية لتجدد الإسلام، الذي لا يخبو نوره قبل أن يولد من جديد والكتاب من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف - القاهرة - سلسلة دراسات إسلامية - العدد ٣٠ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، وينقسم إلى فصول ثلاثة، مبسوطة في ١١ صفحة من القطع المتوسط.

الحياء والحضارة علاقة لغوية وأخلاقية

ويشر الباحث في الفصل الأول إلى ما جاء في المعاجم اللغوية حول المعنى اللغوي البحت للفظ الحياء، بأنه الاستحياء، ويشير في الوقت ذاته إلى اشتقاقات لفظ الحياء، بأنه من الحيا، ومن الحياة،

● غلاف الكتاب

فالحياء مدد للفضائل والقيم، والحيا هو المطر، يحيي الأرض، وينشر الخصب، والحياة، هي الحيوية والعطاء والنماء والحياء يعني كل ذلك، وفق المنهاج الأخلاقي في كل أعراف البشر، ويستعرض بعد ذلك العلاقة بين الحياء والحضارة، موضحاً أنه على الرغم من التباعد في التركيب اللفظي - من حيث الشكل - فيما بين الحياء والحضارة، فبينهما علاقات وصلات معنوية وثيقة، حيث تتداخل دلالات اللفظين إلى حد الاندماج في ظل الدين الحق.

فنجد في الحضارة الكثير من دلالات ومعاني الحياء، حيث من دلالات الحضارة، أنها عمل وبناء، وسعي لاكتشاف سنن الكون، وهي علم ومعرفة، وتوظيف لقدرات الإنسان من أجل عمران الحياة، والحفاظ على البيئة، وحرص على جمالها وطهرها، وهي، أي الحضارة كذلك دعم للعلاقات الإنسانية.

وإننا نجد في الحياء كذلك الكثير من دلالات ومعاني الحضارة، حيث يعني الحياء، الاستحياء من القبول بما يخدش كرامة الإنسان وصفته واعتباره، والاستحياء من القعود والبطالة، والاستحياء من الغفلة عن التأمل في سنن الكون، والاستحياء من الجهل الذي ينتقص من القدر، والاستحياء من عدم المشاركة في بناء الحياة والسمو بها، والاستحياء من الحياة في بيئة ملوثة يعوزها الطهر والجمال، والاستحياء من تفسخ العلاقات الأسرية والإنسانية، ويعني الحياء كذلك الاستحياء، كل الاستحياء من التعامل مع الجنس بأسلوب حيواني، متعارض مع ما أوجبه شرع الله.

وينتهي الباحث إلى ما يمكن القول معه إن الحياء صفة حضارية، وأن الحضارة صفة حيائية، حيث الحضارة الراشدة لا تنفصل عن الحياء.

بواعث الحياء

إن فضيلة الحياء ذات السلطان الأخلاقي على سائر الفضائل - كما يرى الباحث في الفصل الثاني من الكتاب - تكمن وراءها بواعث تعزز وجودها في أعماق النفس الإنسانية وتجعل منها ما يشبه العقيدة الإيمانية التي تفرض الالتزام بها في سلوك الفرد والمجتمع.

ويؤكد أن الباعث الديني يأتي على رأس بواعث الحياء، متمثلاً

بصفة خاصة - في تقوى الله، التي تعني جماع الحكمة والمعرفة، وجماع الخير كله، وجماع أسباب الترقي في الدنيا والآخرة، ويؤكد في الوقت ذاته أن أرفع درجات الحياء، وأعلاها منزلة، هي درجة الحياء من الله تعالى، الذي أغدق النعم على الإنسان، بلا حصر، ويعلم ما يدور في ذاته ونفسه، وخلجات صدره، كما جاء في قوله تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك:١٤.

كما روى ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحيي يا رسول الله من الله، والحمد لله. قال: ليس ذلك، الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى.

ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» أخرجه الترمذي.

والباعث الثاني للحياء - كما يرى الباحث - يتمثل في الفطرة السليمة، وهي كما قال جل شأنه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها) الروم:٣٠.

وكما قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً، وإما كفوراً» رواه الإمام أحمد.

فالفطرة السليمة كباعث للحياء، نجد فيها كل معاني السمو الأخلاقي المرتبطة بالسمو السلوكي كنتيجة للسمو الإيماني، وفق تعاليم وأحكام الشريعة الغراء، وهو عكس ما نراه أو نسمع أو نقرأ عنه اليوم من انحدار أخلاقي في الحضارة الغربية، التي سوغت للإنسان كل صور التهاوي والسقوط، لبعدها عن الفطرة السليمة كباعث للحياء والسمو الأخلاقي القويم.

أما الباعث الثالث للحياء - كما يرى الباحث - فيتمثل في المجتمع وقيمه وأعرافه، ويقول في ذلك: تحكمه أخلاقياته، وهي ثوابت، لاتختلف باختلاف الجنس، أو اللون، أو الثقافة، وهي تقوم على احترام الإنسان، والاعتداد بمكانته التي أولاه الله تعالى إياها، وبهذا أصبح المجتمع المسلم بقيمه العالمية باعثاً آخر على الحياء، الذي هو بمنظوره الإسلامي قيمة وزينة، يعلو به الفرد، ويعلو به شأن المجتمع إذا أصبح ظاهرة غالبة، وهو الفصل فيما بين ما يزين وما يشين من سلوك المجتمعات، كما قال الرسول ﷺ في ذلك:

«ما دخل الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه» أخرجه الترمذي

ويشير الباحث إلى باعث رابع مهم، يسهم في تدعيم فضيلة الحياء في المجتمع المسلم، وفي ظل الالتزام بالأدب الإسلامي الرفيع، يتمثل هذا الباعث في العلاقات الإنسانية، التي تتمثل بدورها في صلة القرابة والصداقة، وفي العلاقات بين أرباب العلم، والمعلم والمتعلم، وبين أرباب العمل، والرئيس والمرؤوس، وبين الكبير والصغير، وفي علاقات الجوار، وقد جاءت الشريعة الغراء، متمثلة في الوحيين الإلهيين الخالدين «الكتاب والسنة» زاخرة بما لا يندرج تحت حصر من تعاليم وأحكام وآداب متسامية ترتقي بهذه العلاقات الإنسانية لأعلى عليين، نجد من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل) النساء:٣٦.

ومن قول الرسول ﷺ في جانب من هذه المعاني: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا» أخرجه أبو داود والترمذي، وكذلك قوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» من حديث رواه البخاري.

فضيلة الحياء في المنظور الإسلامي

وللحياء - كما يقول الباحث في الفصل الأخير - مكانة متسامية في المنظور الإسلامي، وهو قوة قيادية للبشر متعاظمة الرفعة، وهو أيضاً سمة حضارية مثلى، ومعلم شديد الإشراق والإضاءة، تعرف به توجهات المجتمع الإسلامي الفكرية والسلوكية رفيعة ا لمستوى.

والحياء فضلاً عن ارتباطه بالعقيدة، فله معالم سامية كثيرة في المنظور الإسلامي تمنحه التميز والقدرة الواسعة على ترشيد السلوك وسموه، كما يقول الرسول ﷺ : «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه.

كما أن الحياء من أبرز فضائل النبوة، حيث يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه» متفق عليه.

والحياء شعبة من شعب الإيمان، كما قال الرسول ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان» متفق عليه.

كما قال الرسول ﷺ كذلك: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» رواه الحاكم في مستدركه.

ويشير الباحث إلى مسألة مهمة هنا، وهي أن الحياء صمام أمن للعقد الاجتماعي، بمعنى أنه إذا سقطت إحدى حبات هذا العقد، تتابعت بقية الحبات الأخلاقية في التهاوي والسقوط، مما يؤذن بانهيار وشيك لأي مجتمع يغرب عن ساحته خلق الحياء. ويؤكد ذلك بقول الرسول ﷺ : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخاري.

كما قال ﷺ كذلك: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا ممقوتاً» رواه الترمذي.

ومن الفضائل المتسامية، التي يستعرضها الباحث، مما يتنامى في ظل فضيلة الحياء في المنظور الإسلامي، نجد: الصدق، والأمانة والمروءة، والكرم والشجاعة، ونجدة وإجارة المستجير، والعدل والإحسان، وبر الوالدين وإيتاء ذوي القربى، والقصد والاعتدال.

الله لا يستحيي من الحق

وتحت هذا العنوان يشير الباحث في ختام الفصل الأخير إلى نوع من الحياء مرفوض إسلامياً، هو أن يستحيي المسلم من الجهر بكلمة الحق، أو يسكت في موقف للرد فيه مقال، أو تتضاءل شخصية المسلم بحياء يسوقه إلى سلبية ممقوتة، حيث قال تعالى في ذلك: (والله لا يستحيي من الحق) الأحزاب:٥٣. كما قال الرسول ﷺ : «الساكت عن الحق شيطان أخرس» متفق عليه.

والكتاب إجمالاً وتفصيلاً يمثل إضافة مهمة للمكتبة الإسلامية، فهو يكشف لنا مدى القبح الذي أصاب حضارة الغرب، حضارة عبادة المادة، وعبادة الفحش والإباحية، والتخلف الروحي والخلقي المريع، ويدعو - في الوقت ذاته - لحضارة الإسلام المقبلة، حضارة الحياء النابعة من الإسلام، دين الحياء، دين الخير العميم للإنسانية. ■

قضايا أدبية

بقلم : نجدت كاظم لاطة

تُعتبر قضية تكفير الناس من أخطر القضايا في المجتمع الإسلامي، لأن الكفر يُخرج المسلم من الملة، ويترتب على ذلك أحكام كثيرة، وتشيع الفوضى الفكرية، وقد يجر ذلك إلى استخدام العنف والقتل كما يحدث في بعض البلدان اليوم.

وقد حذّر الإسلام بشدة من استخدام الألفاظ التكفيرية، فعن ابن عمر. رضي الله عنهما . قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه» رواه البخاري ومسلم، وقد سألت فقيهاً عن قوله «فقد باء بها أحدهما» فقال بأن المعنى: إن كان من قيلت فيه يستحق الكفر كأن وقع في الكفر حقيقة فهو يستحق هذا الوصف، وإن كان لا يستحق ذلك فلا يكفر القائل بهما ولا يخرج من الملة، وإنما يعود إثم الكفر عليه، بمعنى أنه وقع في إثم كبير. وتكفير الشعراء يختلف تماماً عن تكفير الناس العاديين، وذلك لأن دلالات اللغة الشعرية تختلف وتبتعد عن دلالات اللغة العادية بل تفيد . أحياناً . عكس المعنى المألوف، تبعاً لما تحتويه اللغة الشعرية من مجازات واستعارات وكنايات... وحينما يقول الشاعر امرؤ القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل...» فهو لا يقصد أنه يطلب من صديقيه أن يتوقفا معه للبكاء على ذكرى حبيبته، وإنما يدل قوله على حزنه الشديد لفراق الحبيبة.

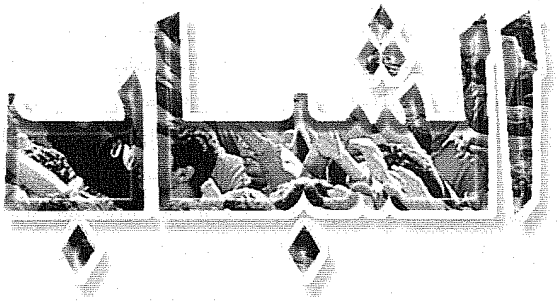

وقضية تكفير الشعراء المعاصرين

وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن خروج بعض الشعراء المعاصرين على مفاهيم الإسلام، وظن البعض أن هذا الخروج حدثٌ جديد في الشعر العربي لا سابق له، والحقيقة أن هذا الخروج له وجود في الشعر العربي عبر تاريخه الطويل، حتى لقد تعرَّض لفكرة الخروج القرآن الكريم في قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) الشعراء:٢٢٤ وما بعدها.

وشعراء العرب السابقون خرجوا على مفاهيم الإسلام ولا سيما في العصر العباسي كبشار بن برد وأبي نواس، وفي ذاك قول أبي نواس:

ورأيت إتياني اللذاذة والهوى
وتعجلي من طيب هذي الدار
أحرى وأحزم من تنظر أجل
علمي به رجم من الأخبار
ما جاءنا أحد يُخبر أنه
في جنة من مات أو في النار

فهو هنا يشكك في مجيء اليوم الآخر، وينكر مجيء الرسل الذين حذروا الناس من عقاب الله في حالة العصيان والكفر.

وشعراؤنا المعاصرون خرجوا كذلك، ولكن هذا الخروج بدأ يتعرّض

للذات الإلهية نفسها، ولم ينضبط بضوابط الشرع معها، وهو أمر لم يكن مألوفاً في تاريخ الشعر العربي القديم، مما دفع كثيراً من الشباب المتدين إلى تكفيرهم، حتى طال هذا التكفير من لم يستحقه منهم، وصحيح أن بعض الشعراء المعاصرين وصلوا إلى درجة اللامبالاة باستخدام الألفاظ الكفرية والإلحادية والخروج على عقيدة الأمة الإسلامية والتعرض للذات الإلهية، ولكن لا يعني هذا أن نُطلق لأنفسنا العنان في إطلاق ألفاظ الكفر على كل شاعر منهم دون رقابة شرعية ودون تفهم لمضمون شعرهم، حتى وصل الأمر ببعض الشباب إلى اللامبالاة بإطلاق ألفاظ الكفر والتكفير في حق هؤلاء الشعراء، وهو سلوك مرفوض لا يجوز للمسلم أن يتصف به.

وأذكر هنا موقفاً من هذه المواقف التكفيرية التي تسترعي الوقفة، فقد حدث في أيام الخمسينيات من هذا القرن أن قامت ضجة كبرى على قصيدة قالها الشاعر بدر شاكر السياب، فقد أتهم بأنه وقع في الكفر وأنه أساء إلى الذات الإلهية، إلى هنا لم يستفزني الخبر، وإنما قلت في نفسي: لعل القائمين بالضجة هم من عامة الناس الذين لايفقهون من الإسلام إلا قليلاً، ولكن حين علمت أن بعض القائمين هم من علماء الشريعة شعرت بالخطأ الكبير الذي وقع فيه هؤلاء العلماء، لأني قرأت القصيدة وراجعتها ـ للتأكد ـ فلم أجد فيها كفراً، وإنما وجدت جهل هؤلاء المكفرين، ووجدت ـ أيضاً ـ حجم الإثم الذي ارتكبوه.

فكل ما في القصيدة هو أن الشاعر السياب قال بيتاً يُفهم من ظاهر لفظه أنه كفر وإساءة للذات الإلهية، بينما هو في مضمونه بعيد عن ذلك المعنى الذي فهموه، فلغة الشعر ـ كما قلت قبل قليل ـ تختلف في دلالاتها ومعانيها عن اللغة العادية، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم ـ الذي هو قمة البلاغة ـ سنجد أساليب أدبية يمكن أن تُوقع القارئ في مثل تلك الأخطاء السابقة التي أوقعت قارئي قصيدة السياب إن لم نفهمها وندرك دلالاتها وما تحمله من مضامين أخرى غير ما يوجه الظاهر، فمن ذلك ـ مثلاً ـ قول الله تعالى: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) الإسراء:٧٢، فهذه الآية يبدو ظاهر لفظها أنه من كان في الدنيا أعمى البصر فسيحشر كذلك، بينما المعنى الحقيقي هو أن الأعمى عن الحق يحشر أعمى البصر ويُذهب به إلى نار جهنم، ولا علاقة للرؤية البصرية فيها بهذا المعنى المراد به في الآية.

والشعر له عالمه الخاص به لا يفهمه حق الفهم ولا يدرك مراميه إلا الشعراء ونقاد الشعر، مثلما لا يفهم القرآن إلا العلماء والمفسرون، كل له اختصاصه، لا يجوز لأحد أن يُفتي إلا في اختصاصه، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وقد علمنا الإسلام أن نرجع إلى أهل الاختصاص حين يستشكل علينا أمر، وهو ما توحيه الآية (فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)، فلو استشكلت علينا مسألة فقهية نرجع إلى الفقهاء، وإن استكشلت علينا مسألة طبية نرجع إلى الأطباء، وإن استشكلت علينا مسألة شعرية أو بعض الألفاظ في بيت أو قصيدة نرجع إلى الشعراء ونقاد الشعر، وهكذا مع كل علم وكل فن، وهل يختلف في هذه الفكرة اثنان؟!

ولو أن هؤلاء العلماء الذين كفّروا الشاعر السياب رجعوا إلى الشعراء والنقاد واستفتوهم في القصيدة لما قامت هذهالضجة ولما وقعوا في هذا الإثم الكبير.

المشكلة تكمن في أن بعض العلماء يعتقد أنه يفهم الشعر والأدب مثل فهم الشعراء والنقاد لهما، بحجة أنه درس الشعر والبلاغة أيام دراسته للعلوم الشرعية التي منها اللغة العربية بنحوها وصرفها وبلاغتها، وقبل أن يعترض على طلاب الشريعة وعلمائها أقول إن عالم الشعر لا يحيط به إلا من احترف حرفة الشعر وأعني الشعراء الكبار والنقاد، لأن الشعر له تاريخ طويل وله رموز ومصطلحات وغير ذلك لا يعرفها إلا مَن اختص به.

ومما يُروى أن الشاعر الحطيئة هجا أحد أشراف العرب وهو الزبرقان بن بدر بقصيدة طويلة جاء فيها:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فشكاه الزبرقان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر عالماً بالشعر، ولكنه أراد أن تقوم الحجة على الحطيئة من شاعر مثله، فاستدعى حسان بن ثابت، وقال له: ما تقول أهجاه؟ فقال حسان: ذرق عليه «كناية عن شدة الهجاء وقبحه» فعنئذ أنزل الخليفة عقابه بالحطيئة.

وأرجو أن ننتبه قليلاً إلى قول الراوي «وكان عمر عالماً بالشعر» لأنه فيه الدرس البليغ للذي يُفتي في غير اختصاصه، فالرواية تفيد بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفقه الشعر، وأخباره وتؤكد هذا، إلا أنه آثر استفتاء أهل الاختصاص، علماً بأن المسألة مسألة هجاء، فكيف بعمر لو سئل في قضية تكفير شاعر؟ أكان يفتي فيها أم يرجع إلى أهل الاختصاص.

وحدث مرة أن تدّخل الإمام الكبير أبو حامد الغزالي رحمه الله في علم لا يختص به وهو علم البلاغة، فقال في قوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم) أن «ما» هنا زائدة لا معنى لها، فتكون الآية: فبرحمة من الله لنت لهم، فيقول ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» الجزء الثاني الصفحة ٩٤ مخطئاً الإمام الغزالي: «إن «ما» هنا وردت تفخيماً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ﷺ ، وهي محض الفصاحة، ولو عُرِّي الكلام منها لما كانت تلك الفخامة، وأما الغزالي رحمه الله تعالى فإنه معذور عندي في ألا يعرف ذلك لأنه ليس من فنه، ومن ذهب ـ مازال الكلام لابن الأثير ـ إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسمِّحاً في دينه واعتقاده «أي دينه ضعيف»، وقول النحاة إن «ما» في هذه الآية زائدة فإنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها من العمل».

فيريد أن يقول ابن الأثير إن «ما» هنا زائدة نحوياً وغير زائدة بلاغياً وجمالياً، وقول الغزالي أفاد بأنها زائدة بلاغياً لأنه قال «لا معنى لها» ولم يقل زائدة نحوياً وهناك فرق بين المعنيين.

فالمسلم حين يتدخل فيما لا يختص به يقع في الخطأ، ويكبر الخطأ إذا كان في قضايا التكفير.

ويُعجبني ما فعله العلماء في قضية الطفل الأنبوب، فقد استشاروا الأطباء واستوضحوا منهم الأمر، وعندما صار لديهم اطلاع كامل عنه أعطوا رأيهم فيه، وهكذا ينبغي علينا في سائر نواحي الحياة والعلوم.

وأرجو أن لا يُفهم عني أني أدافع عن السياب، وأمثاله من شعراء الحداثة، فهؤلاء كتبوا شعراً منافياً للعقيدة الإسلامية، ولكن هذا لا يعذرنا في إطلاق ألفاظ الكفر دون رقابة شرعية.

ومن نافلة القول، وإن كنت لا أرى أنها من نافلة القول إن المسلمين اليوم بحاجة إلى دعوة الناس إلى الرجوع إلى هذا الدين، وليسوا بحاجة إلى تكفيرهم، ولا أدري لماذا أصبح بعض المسلمين اليوم بارعين في صنع الأعداء أكثر من براعتهم في دعوة الناس إلى الإسلام. ■

قصة

عندما حل الظلام...

بقلم : محمد مكين صافي

كيف انقلبت تلك الحافلة؟ سؤال ظل ينهمر عليَّ من كل زائر.. شديداً وقاسياً كما كان وقع الخبر على الجميع... ليس يخلو من اتهام! مع أنني كنت أول المصابين!.

ألم تعدوا الخطة اللازمة؟!... ألم تتحسبوا للمفاجآت والمعوقات؟!.. ألم تفطنوا إلى تأثير المناخ على حرية الحركة أو وضوح الرؤية أو سلامة الطريق؟!

واستمع إلى هذا وأنا أحاول أن ألملم نفسي وشظاياي وذاكرتي، وأهدهد المواجع التي لا تفارقني من داخلي ومن الخارج، والسؤالات التي تؤنبني: كيف استجبت لدواعي الاسترخاء وأنا المؤتمن على سلامة الناس وعافيتهم؟ كيف سمحت «للآخرين» أن يفسدوا بغبائهم وشهوة التقليد التي تتحكم فيهم كل شيء... كل شيء ياه!... يا لتلك الساعات الأخيرة كيف مرت!!...

كنا نجهد أن يسير كل شيء مثلما أعددنا... بدءاً باختيار الشيخ «صالح» مرجعاً نتحاكم إليه إذا اختلفنا، وحتى نهاية الرحلة التي قدرنا أنها ستستغرق يوماً وبعض يوم... واعتمدنا ـ ما استطعنا الوضوح والصدق والشفافية عندما عرض البرنامج... وتفصيل شروط الرحلة وآدابها.. محطات التوقف النظامية

ومواعيدها... ما هو جماعي نؤديه معاً، وما هو ذاتي يستقل كل مسافر بممارسته كيفما شاء... متفقين أن رأي الأغلبية هو الذي يمشي، ثم انطلقنا، على بركة الله، مستهلين بدعاء الركوب وشيء من القرآن يتلوه مقرئ جليل عبر شريط للتسجيل...

ورغم ما توقعناه من سوء توزيع وأثرة عند من لا نثق برصيده الداخلي، وافقنا على اقتراح تلك السيدة ذات النظارة الثمينة أن يكون فطورنا عند المحطة القادمة مشتركاً «تحقيقاً للتعاون والمشاركة، وتجسيداً للمساواة فيما نملك وفيما ننفق» كما قالت:

حتى الترفيه ندبنا إليه أحد الأخوة ممن له خبرة في إدارة المخيمات الشبابية فامتعنا بخبرته وظرفه وشاع شيء من المرح في جو الحافلة بأكملها، حتى علت ضحكات بعض السيدات مما أثار حفيظة الشيخ «صالح» لولا أنني هدهدت خاطره وقلت «دعهم يا شيخ... دعهم واحسبهم في يوم عيد!...».

بعد الغداء - وكان فردياً - تركناها ساعة «حرة» - أخلدت فيها الأكثرية إلى الدعة... وعمَّ الحافلة جو السكون... حتى قامت سيدة محجبة وبيدها شريط تسجيل تعلن أنه يحتوي أناشيد للأطفال... فعاجلها الجميع باستنكار يكاد يكون إجماعاً، لكنها ثبتت حتى تهدأ الضجة كأنما تتوقعها وابتسمت قليلاً ثم قالت «ثلاث دقائق... ثلاث دقائق من فضلكم.. ثم احكموا...» إلا أن الدقيقة الأولى لم تكن في صالحها... ولا الثانية الحيادية... في الدقيقة الثالثة دبت الحياة في الأنام الهامدة وراحت تقفز متجاوبة مع اللحن الندي وأخذت الشفاة تدندن شيئاً من كلمات الأغنية.. فعاد السيدة المحجبة مطمئنة إلى أن الشريط سيكمل رسالتها، وعلى ثغرها ابتسامة لا يخفى معناها!.

من أين بدأ الخلل إذاً؟!... هل يمكن لنا أن نتوقع لابتسامة - ليست ضمن المنهج بالتأكيد - أن تكون بداية الخلل كله!! مستحيل... وإلا لما أمكن لأحد أن يبتسم!... ما أذكر أن حركة هامسة - ولكن حثيثة - بدأت تدور في ركن من الحافلة... لم أشعر بسوء... لكن سيدة قامت بعدها تقدم شريط فيديو لم يلفتنا ولا توقعنا جديداً فيه... لكن شفتيها المخضبتين أعلنت لنا شيئاً أزعجنا «أتحصنوا... عسى نزيل البثور التي غطت وجه الرحلة.. أو تقتلع اليباس الذي امتد إلى كوامن السواق فينا!!...».

استفزتنا كلماتها ومنظر الحليق الذي يبتسم بلزوجة خلفها.. وكاد الأخ «ماجد» يمنعها لولا أنني أمسكته بحزم وهمست «انتظر الأغلبية» فتأكد أن الأغلبية ستبطله، غافلاً - وهذه غلطتي - أن الدعة التي كانوا عليها والاسترخاء جعلهم يعزفون عن المساهمة... فمر.. ومرت ساعته ضيقة الأنفاس - لزجة ... رخوة مترجرجة... تكاد تميز من الغيظ، دون أن يمنع ذلك تعليق الرجل الحليق خلفها «لابأس فهكذا كل جديد... تخافه الدهماء لأنها تجهل... لكنها ستعتاده... بل ستدمنه...».

أحسست بالغيظ ولم أعد أحتمل السكوت... فهرعت إلى «الشيخ صالح» متوسلاً (أدركنا... عدل البرنامج استخدم صلاحيتك قبل فوات الأوان!...» فاستجاب الشيخ وأشار إلى أحد الأخوة الذين بادرنا حديثاً شيقاً من وحي اختصاصه العلمي ومن وحي ما نرى من منظر الحيوانات الصحراوية اللطيفة التي كانت تتقافز حولنا كأنما تحيينا... ثم عرَّج بلفتة ذكية إلى ما يريد، فقال: «هذا الإبداع في التكوين، والتوافق بين فطرة هذه المخلوقات وبين ظروفها القاسية، تشير إلينا بفكرة بسيطة وعميقة، إنها تقول لنا إن للحياة غاية أسمى من إشباع بطن، أو إرضاء لذة، أو الاستجابة لنوازع البقاء... وأن حياتنا - بالتالي - إما أن تسير وفق نفس النواميس الكونية أو تتحطم».

تنهدنا بارتياح وشعرنا أثر ذلك أن الشريط قد انمحى... فقمنا متطمئنين - إلا أقلُّنا إلى صلاة المغرب جماعة، لنعلن بعدها أن وقت الراحة أو النوم قد أزف.

لما هبط الظلام راودني أرق زاده سؤال الشيخ صالح اشتعالاً، «السائق؟! هل أنت مطئن إلى خبرته وأمانته...» أدركت ما في سؤاله من خوف، فقد صرنا في الظلمة وانعدمت الرؤية إلا قليلاً وصرنا - كلنا - رهائن بصر السائق وبصيرته وأي خلل هناك في المقدمة لن يكون في صالح السلامة التي نهتم لها، ومع هذا فقد اجبته «نعم .. نعم ... وثقتي بالمرافق أكبر!».

لكنني بشر... وكل المسافرين معنا بشر أيضاً، وما حدث فاق مقدرتي على التوقع أو طاقتي على الحركة المناسبة، فقد لمحت شبح امرأة خلعت في العتمة حشمتها ولم التفت إلى أنها تتجه إلى موقع السائق لأمر ذي بال... رأيتها تميل على السائق قليلاً وتهمس بشيء ما في أذنه، وهو مطمئن ويهز رأسه إلى أعلى لكنها ألحت ومالت يضحك أكثر... فأصر بصوت مرتفع أثارها - ربما - فعلاً صوتها «سأثبت لكم جميعاً أنني أفوقك قدرة على هذا...» انتبه الجميع وانتبهت وانتبه المرافق هلعاً ليجد السائق مقصياً عن مقعده والمرأة تكاد تحتل مكانه... هبَّ بسرعة وسحب يدها العارية عن المقود فاهتزت الحافلة محدثة دبيباً مخيفاً - وهي تصرّ على موقعها بجبور - دفعها بكل ما يسمح له حياؤه فارتجفت الحافلة أكثر حتى تمكن شيئاً فشيئاً أن يزحزها عن المقدمة لكن في اللحظة التي غدا فيها الانحراف أكبر من إمكانية السيطرة... فتمايلت بعنف ورهبة... وحادت عن جادتها، وزعق محركها مستنكراً قبل أن... قبل ...

ووجدت نفسي تلقائياً في سرير البياض، أتلقى التهاني بالنجاة!... وشيئاً آخر - من داخل ومن خارج - أشد قسوة وإيلاماً.... والسؤال الذي لا يزال يدور: كيف انقلبت تلك الحافلة؟ ومن يعوض على ركابها المصابين؟!.. ■

بقلم : سيد عطا محمد عبدالله

دراسات لغوية مبسطة

الهمزة المفردة

نظراً لأهمية التعرف على مفردات وتراكيب اللغة العربية معنى وأسلوباً واستعمالاً، والتطبيق عليها مما يحفظ اللسان من الخطأ في النطق ولا سيما المثقفين الذين يستعملون اللغة العربية أسلوباً لأدائهم الوظيفي كالمدرسين بالمدارس والجامعات والعاملين في وسائل الإعلام المختلفة.

لذلك رأيت أن أتناول بعض مفردات وتراكيب اللغة في أسلوب سهل مبسط مع التطبيقات اللازمة ومن ثم أقدمها للقارئ كوجبات خفيفة سهلة الهضم إن شاء الله تعالى والله أسأل أن يوفقني لما فيه الخير لطلاب العلم، وأن يتقبل مني ومنكم صالح الأعمال فهو نعم المولى ونعم النصير.

١ ـ الهمزة المفردة:

الألف المفردة هي الحرف الأول من الحروف الهجائية للغة العربية، وتسمى: الهمزة، والهمزة المفردة تكون همزة قطع دائماً ـ وهمزة القطع ينطق بها في بدء الكلام وفي أثنائه، ويكتب فوقها رأس عين صغيرة وترسم هكذا: أ.

معاني همزة القطع واستعمالاتها:

أ ـ حرف نداء، وتستعمل للقريب نحو: أمحمد قف، وللمنادى البعيد وتكون ممدودة نحو: آمحمد أقبل، وقد تحذف الهمزة وتقدر نحو: محمد قف.

ب ـ حرف قسم وجر، ولم يذكره سيبويه، وذكره غيره، وتستعمل ممدودة كما جاء في الحديث الشريف ـ عن معاوية رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا قال: «آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: آللهِ ما أجلسنا إلا ذاك... الحديث.

ج ـ حرف استفهام: وتعتبر الهمزة الأصل في أدوات الاستفهام، ولذلك تختص بأنها تستعمل للتصور، والتصديق.

١ ـ التصور: وهو طلب العلم بالمفرد الذي لم يكن معلوماً من قبل لدى السائل: نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ لأن النسبة معلومة للسائل أي يعلم أن أحدهما موجود عند زيد ولكنه يتردد بين زيد وعمرو ولذا يكون الجواب بتعيين أحدهما فتقول: زيد ـ أو تقول عمرو، ويلاحظ أن المستفهم عنه يقع بعد الهمزة مباشرة ويذكر معادل له بعد أم.

٢ ـ التصديق: هو طلب العلم بالنسبة المجهولة: «وهي مضمون الجملة» بالإثبات أو النفي نحو: أزيد عندك؟ فالسائل يجهل وجود زيد عند المخاطب، ولذلك يكون الجواب بالإثبات أو النفي فتقول: نعم: زيد عندي أو تقول: لا: ليس زيد عندي، وذلك بخلاف هل فإنها تستعمل للتصديق فقط، نحو: هل زيد عندك؟ وبقية أدوات الاستفهام للتصور فقط نحو: أين زيد؟ متى السفر؟ من نجح في الامتحان؟... إلخ.

وقد تخرج همزة الاستفهام عن الاستفهام الحقيقي في صور ثماني:

١ ـ التسوية، وليس ذلك خاصاً بالهمزة الواقعة بعد كلمة سواء بل كذلك الواقعة بعد: ما أدرى، وما أبالي ونحوهن، وضابطها أنها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وما أبالي أقمت أم قعدت ـ أي سواء عليهم الاستغفار وعدمه، وما أبالي بقيامك وعدمه.

٢ ـ الإنكار الإبطالي: رد أفأصفاك ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً، وهذه الهمزة تفيد النفي لأن المراد أن ما بعدها غير واقع وأن مدعيه كاذب.

٣ ـ الإنكار التوبيخي: وتفيد أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم عليه نحو: أتعبدون ما تنحتون؟

٤ ـ الاستفهام التقريري: والمراد حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده على سبيل الإثبات أو النفي، فالإثبات نحو: (ألم نشرح لك صدرك؟) لأن الهمزة هنا تفيد النفي، ونفي النفي إثبات بدليل عطف المثبت عليه وهو: ووضعنا عنك وزرك، ويجاب عنه بـ بلى فيقال: «بلى شرح الله لي صدري، ومثل: (ألم يجعل كيدهم في تضليل). وعطف عليه بالإثبات وهو قوله تعالى: (وأرسل عليهم طيراً أبابيل)، والنفي نحو: ألم تسافر أمس يا علي؟ لمن لم يسافر، ويجاب عنه بـ نعم، فيقال: نعم لم أسافر أمس، وجعل من الاستفهام التقريري ما إذا دخلت هذه الهمزة على مثبت ويُراد بها تقرير المسؤول بالإثبات أو النفي نحو: أضربت زيداً؟ فيُجاب عنه بـ نعم أو لا، فيقال: نعم ضربت زيداً ـ أو لا لم أضرب زيداً مع أن هذا يحتمل الاستفهام الحقيقي.

٥ ـ التهكم: نحو: أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا.

٦ ـ الأمر: نحو، أأسلمتم؟ والمراد أسلموا.

٧ ـ التعجب نحو: (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل؟).

٨ ـ الاستبطاء نحو: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)؟

د ـ تستعمل الهمزة للتعدية:

١ ـ تدخل الهمزة على الفعل اللازم فتجعله متعدياً لواحد نحو: خرج علي من المنزل أخرج محمد علياً من المنزل.

٢ ـ وتدخل على الفعل المتعدي لواحد فتجعله متعدياً لاثنين نحو: رأى خالد الجبلَ، أريت خالداً الجبل، علم خالد المسألة بمعنى عرف وتدخل الهمزة فيصير: أعلم محمدٌ خالداً المسألة.

٣ ـ وتدخل على الفعل المتعدي لاثنين فتعديه إلى ثلاثة نحو: علم محمد زيداً ناجحاً ـ تدخل الهمزة فيصير: أعلمت محمداً زيداً ناجحاً.

هـ ـ وتستعمل الهمزة للإزالة: بمعنى أنها تدخل على الفعل فتحول معناه إلى العكس نحو: صرخ الطفل. تقول: أصرخت الطفل ـ أي أزلت صراخه، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى مع الهمزة المتصلة بغيرها. ■

الوعي الإسلامي
al-Wa'ei al-Islami
العدد 407
رجب 1420 هـ
أكتوبر / نوفمبر 1999 م

الأسرة المسلمة

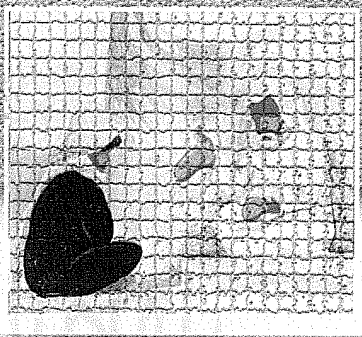

التأثير الخطير للخمر
على الجنين والطفل

أسئلة الطفل
كيف نجيب عليها ؟

رياض الأطفال أهميتها -
وظائفها - أهدافها

حساسية الأنف كلفت أمريكا
١,٨ بليون دولار في سنة واحدة

بين الأم والجدة

بقلم: أشرف سعد

أسئلة الطفل
كيف نجيبه عليها ؟

تعد أسئلة الطفل التي يطرحها على المحيطين به من القضايا المهمة وهذه الأسئلة تشكل فيما بعد المخزون المعرفي للطفل، وكثير من الآباء يعتبرون أسئلة الطفل غريبة فيتململون منها ويتهربون من الرد عليها أو يردون عليها ردوداً مبهمة، وأسئلة الطفل كثيرة جداً وغريبة أحياناً ومحيرة أحياناً أخرى. وكثيراً ما تبدأ أسئلة الطفل في المرحلة من ٢ إلى ٥ سنوات لتعطشه للمعرفة وقد يكون الدافع لبعض الأسئلة هو الخوف والقلق مثل سؤاله عن أسباب الظواهر المختلفة.

وهناك دوافع تدفع الطفل للأسئلة خصوصاً في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية سببها المخاوف، فهي من الأشياء التي لم يكن للطفل خبرة بها، مثل خوفه من الحيوانات كالكلب أو اللصوص والمجرمين والمتسولين والباعة فهو لم يسبق له أي خبرة بهم، وكثيراً ما يكون هناك دوافع أخرى تدفع الطفل للأسئلة: منها حب الاستطلاع الذي يعاني منه الأطفال الصغار ورغبتهم الطبيعية في جذب انتباه الآخرين إليهم عن طريق الأسئلة، وقد يستخدم الطفل الأسئلة الملحّة للتعبير عن المقاومة والتمرد على الكبار أو تعبيراً عن سخطه واستنكاره لسلطة الأب، كما يستخدم كثرة الأسئلة لإدراكه أنه أصبح يتقن لغة الكلام والمخاطبة والتفاهم، ومن ثم يلجأ إلى استخدام اللغة في السؤال ليس حباً في طلب الإجابة، بل رغبة في ممارسة اللغة والتباهي بقدرته في استخدامها.

موقف الأهل الخاطئ

يخطيء كثير من الأمهات والآباء حين يتجاهلون تماماً هذه الأسئلة وأحياناً يضيق الأهل ذرعاً بأبنائهم عندما يصلون إلى هذه السن، لأن كثيراً من أسئلة الأطفال محيرة ويعجزون عن إعطاء إجابات مناسبة عليها، وبعض الآباء والأمهات يحاولون التخلص من إلحاح الطفل في تساؤله بإعطائه أجوبة غير صادقة أو ناقصة أو محرفة عن الحقيقة وسرعان ما يكتشف الطفل عدم كفايتها فيفقد الثقة في أبويه ويلجأ في الحصول على معلوماته إلى أقرانه أو أي إنسان آخر قد يعطيه معلومات ربما تضره نفسياً أو ثقافياً، كما أن إشعار الطفل بعدم القبول لأنه سأل سؤالاً أحرج والديه يؤدي إلى شعور الطفل بالذنب دون أن يدري ما ذنبه مما يعرضه للقلق النفسي والانزواء والخجل، وقد دلت البحوث العملية على أن التهرب من الرد على أسئلة الطفل وتعمد تأجيل الإجابة على بعض الأسئلة الحساسة التي يسألها يجعله يعيش في حيرة.

أما الموقف السليم للرد على أسئلة الطفل:

فهو أن نجيب الإجابة الصحيحة التي تتناسب مع مدارك الطفل حسب سنه، كما يجب أن يدرك الآباء والمربون أن الأخذ والعطاء مع الطفل في الإجابة على أسئلته له فوائد كثيرة، أهمها تنمية شخصية الطفل وتنمية مقدرته اللغوية وتمرينه على استعمال الكلمات والتعابير الجديدة واكتسابه خبرات في استخدام الأفكار والآراء المجردة التي لا يمكنه أن يصل إليها بمفرده، والقاعدة الأساسية في الإجابة على أسئلة الأطفال أن تكون الإجابة محددة مبسطة وقصيرة وبطريقة ذكية من دون الدخول في تفاصيل وبذلك تسد الطريق على الطفل للدخول في أسئلة أخرى.

ومع ذلك يجب علينا أن نجيب على كل أسئلة الطفل ونقدّر أهمية الأسئلة وأهمية إجاباتها بالنسبة لمدارك الطفل وفقاً لسنه ودرجة نموه وذكائه، فهناك بعض الأسئلة تزيد مفردات الطفل اللغوية، مثل ما هذا؟ وما ذلك؟

أمثلة لبعض هذه الأسئلة

من أين جئت؟ قد يشعر الآباء أن السؤال شديد الحساسية، وأنه ليس من الحكمة أن يجيبوا على الطفل، ومن ثم يتهربون من الإجابة بالرد التقليدي عندما تكبر ستعرف، ولكن الاتجاه التربوي السليم هو أن تظهر الأم اهتمامها بسؤال الطفل ويكفي أن تقول لطفلها ابن الرابعة: إنه جاء إلى الدنيا من بطن أمه، وعندما يصل الطفل لسن الثامنة يمكن للأم أن تستعين في إجابتها بالتمثيل بمخلوقات يراها الطفل ويعرفها مثل الطيور، فتقول له: الطفل يخرج من بطن أمه مثل خروج البيضة من الفرخة وميل الطفل للمعرفة في الاتجاه ميل طبيعي نقي يتجه إلى المعرفة الخالصة.

أين يوجد الله؟ فالأطفال أكثرهم يسمعون عن المولى عزَّ وجلَّ، يسأل ابن الرابعة أين الله؟ والإجابة تكون إجمالية دون الدخول في تفاصيل: «الله في السماء» وهو موجود في كل مكان.

أين توجد الجنة؟ الإجابة يجب أن تعتمد على الكتب السماوية، فنقول للطفل: إن الدين يعلّمنا أن الجنة مكان مريح يذهب إليه الصالحون، وإنها لم يرها أحد من الأحياء، وتوجد في السماء.

لماذا يخرج القمر؟: يمكن للأم أن تشرح لابنها خروج القمر بأن تحضر له كرة أرضية ثم تأتي بلعبة صغيرة وتلف بها حول الكرة وتقول للطفل: إن القمر يلف هكذا حول الأرض مثل الأخت عندما تلف حول أخيها فيراها مرة ولا يراها مرة أخرى.

لماذا حدث الطلاق بينك وبين أمي؟ يجب ألا نثقل على الطفل ونشرح له أسباب الطلاق حتى لا ندفع الطفل إلى كراهية الأب أو كراهية الأم، بل تكون الإجابة عن سبب الطلاق إننا أصبحنا غير متفقين أنا وأمك وسيعش كل منا في منزل، وأنت ستعيش معي واختلافنا مثل اختلافك مع أصدقائك، ونحن لا نزال نحبك وسوف نزور والدتك من آن لآخر.

وعلينا أن نعلم أن كثيراً من أسئلة الطفل قد تكون أحياناً موجهة للتهكم على الكبار أو للدخول في حديث الكبار وكل هذه الأساليب هي في الواقع للتمركز حول الذات وتأكيدها، لذلك ينبغي أن نجيب للطفل على أسئلته الإجابة الأمينة بما يشبع شغف الطفل وحب استطلاعه. ■

خاطرة

علي مدني رضوان الخطيب

حسن العشرة

أعظم البيوت بيت يُقدّس الحياة الزوجية، ويحتفي بها، ويحوطها ويحميها ويهش نحوها، ويشتد إليها، وينزلها منزلة الإيمان المحض، والتدين الخالص الذي يرجى من ورائه خيري الدنيا والآخرة.

وما حلاوة العيش لزوجين لم يحترم كلٌّ منهما المواثيق الغلاظ؟! ولم يفهما شيئاً عن أكسير المودة والرحمة؟! فلم يتلقيا على معنى أو يتفقا لغاية!

هذه الفكرة وتلك الغاية تشدهما إلى نظرة حانية أو إشراقة وجه وبسمة ثغر، أو لمسة يد، ولن يلتقي ذلك كله، إلا في باب حسن العشرة، فهو «ترياق الحياة الزوجية»، ومرفأها الآمن، بل هو الإيمان كله كما ذكرنا... ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وما انهارات بيوتات ولا تمزقت أسر أو اتسع الشقاق وفرّق بين قلبين إلا من سوء العشرة والنكد.

فمن بورك سعيهما، فقطعا الطريق بأشواق الحب، ومعالم الصفح، ودلائل الرحمة أو شك كلٌّ منهما أن يستريح على بساط التحنان والود، وقطع المفازة.

فهما سعيدان على الرغم مما يشعر به غيرهما من شقاء، راضيين على الرغم مما يجري بغيرهما من سخط أو كدر، كريمين على الرغم من انكسار البيوت، وضعة النفوس التي تفور بالمذلة والصغار.

إنه الإيمان يرفع القدر، والمنزلة، ويرقى بالأسرة ليجعل منها نبتة صالحة متوافقة... بل متجانسة فيعود الزوجان إلى الأصل الأول «من نفس واحدة».

(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً). هذا فليتأمل العاقل. ■

د. عفيفة عبد الرحمن النحلاوي

التأثير الخطير للخمر على الجنين والطفل

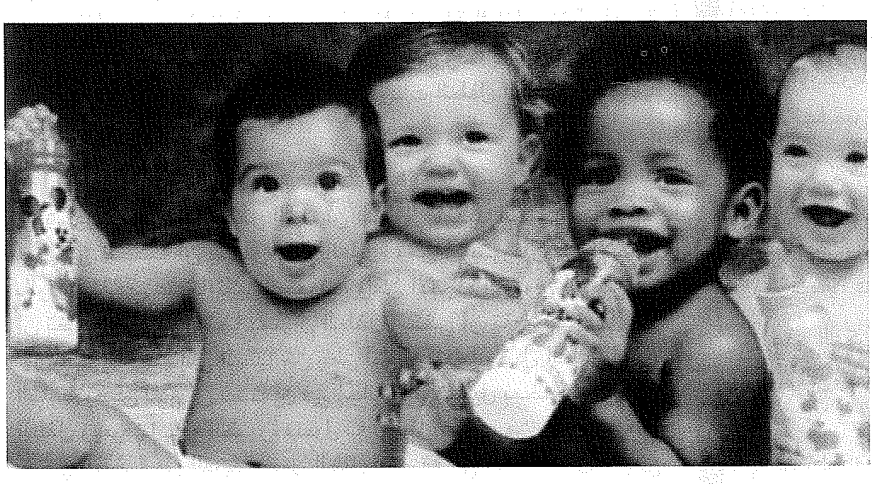

قال رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر» حديث صحيح عن سهل بن سعد.

(وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى) النجم: ٤-٥.

نعم... فلقد ازدادت نسبة التشوهات الخلقية في السنوات الأخيرة في جميع دول العالم... فازداد اهتمام الأطباء بالبحث عن الأسباب، أو ما سمي: العوامل الماسخة... وكان للخمر نصيب كبير إذ تشربه الحامل... أو الأم التي يمكن أن تحمل في أي لحظة... وفيما يلي بسط للموضوع:

أولاً: مبادئ الأمساخ والغول(*) كعامل ماسخ:

حاول العلماء وضع خطوط عامة لعلم المخيات، ومع أن «الامساخ» يعني «التشوه البنيوي»، فإنه يستعمل أيضاً للإشارة إلى أي خلل لدى الجنين، ولذا فإنه يشمل: موت الجنين أو تأخر نموه أو حدوث خلل كيمياوي حيوي أو فيزيولوي لديه، أو تطور اضطرابات سلوكية أو جسمية لدى الوليد أو الطفل الذي سيكون هذا الجنين مستقبلاً.(١)

وإضافة للمبدأ السابق، هناك مبادئ أخرى منها: أن العوامل الماسخة قد لا تسبب ضرراً للأم، وأنها تعبر المشيمة إلى الجنين بسهولة، وهي تؤثر على الجنين بناء على استعداد وراثي محدود أو تجاوب خاص له علاقة بمدة التعرض وشدته للعوامل الماسخة.

ويصنف الغول «أو الكحول» على رأس العوامل الماسخة المؤثرة بالدرجة الأولى على الجملة العصبية المركزية للجنين، وهو التأثير الذي يتجلى في مراحل الطفولة المتتالية بأشكال مختلفة أقلها ضرراً حدوث تشوهات عظمى في الوظائف العليا الآمرة للإدراك، تتظاهر بعدم القدرة على التعلم، أما الإصابات الأخرى فكثيرة سنتناولها بالتفصيل بإذن الله.

وما يؤسف له أن مناهج التدريس في المدارس والكليات والمعاهد الجامعية في بلادنا لم تتناول موضوع الغول من وجهة النظر العلمية، ولم توفه حقه بما يتناسب مع الدراسات العالمية: العلمية «الإحصائية للموضوع نفسه» وهو أمر تبرز الحاجة إليه وتزداد في عصر تضطرب فيه التيارات العلمية والتعليمية، ويصبح التسلح بالحقائق المجردة ضرورياً لترسيخ الإيمان بالحقائق اليقينية المنزلة.

وبالمقابل نجد أبناء الحضارات الأخرى، ومثالهم البارز - عادة - الأوروبيون والأميركيون، فهم لا يألون جهداً في التنقيب في كتبهم التراثية، وقد يذهبون بعيداً حتى المعتقدات الرومانية والإغريقية، بحثاً عن أي قشة يتعلقون بها تشير إلى أنهم قد سبقوا... وقد عرفوا، وقد أعلنوا... أن للخمر أضراراً على الجسم والعقل عموماً وأحدث من ذلك، أنه يسيء للحمل والجنين(٢) (وهذا يقوم به علماء وراثة وأطباء وليس وعاظ أو علماء اجتماع)، ونجد كتبهم ودورياتهم العلمية والعامة تحفل بالدراسات المحكمة في هذا الموضوع الذي تخلو منه كتبنا ودورياتنا، ولعل السبب هو كثرة متجرعي الخمر ومدمنيها في تلك المجتمعات من جهة، وتعودهم الصراحة مع أنفسهم ومع مجتمعاتهم من جهة أخرى، فيما يتعلق بالسموم والأمراض والكوارث فقد علموا، كما علمنا، أن التشخيص هو الخطوة الأولى لمعرفة العلاج الناجع (والفرق أنهم طبقوا

هذه المعرفة... وهذا لعمري أحد عوامل السبق في مضمار الحضارة).

ولقد أدى تعاظم خطر الخمر وإدراك هذا الخطر إلى تحريمه كما هو معلوم العام ١٩٢٠م في الولايات المتحدة الأميركية بقرار حكومي بشري... لم يصمد أكثر من ١٣ عاماً... نشطت خلالها الجرائم والتجارة المحرمة والمصانع السرية، ولم ينقص عدد المدمنين... رغم العقوبات الكثيرة من سجن وغرامات ومصادرات... وحتى الإعدام الذي طبق في ٣٠٠ حالة(٤)، ومع ذلك أفرزت هذه الفترة الكثير من الدراسات وعشرات الألوف من النشرات التي أسهبت في شرح أضرار الخمر للناس واستمرت النشاطات والجمعيات الخاصة تقوم بهذا حتى الآن.

ومقابل هذا الفشل، نعرف جميعاً الصورة المذهلة التي تم تحريم الخمر من خلالها في صدر الإسلام... فقبل أن يكتشف العلم بمئات السنين ضرورة الفطام التدريجي عن الخمر، تدرج الإسلام في تحريم الخمر، فنُهي المسلمون أولاً عن الصلاة وهم سكارى... وكان هذا كافياً لإنقاص مستوى الغول في دمائهم، وليذوقوا طعم التحرر من هذا السم الفتاك في أجسامهم وعقولهم... وهكذا عندما جاء الأمر الإلهي بالتحريم القطعي كان التجاوب عظيماً، فكسروا دنان الخمر بأيديهم وأراقوها في طرقات المدينة المنورة.

عود على بدء:

ويبدو أن الحضارة الغربية تتبع الأسلوب نفسه حالياً، أسلوب التدرج... وعن غير قصد منها، فتمنع تناول الخمر في اثناء قيادة السيارات، وفي اثناء العمل، وخلال الحمل بالنسبة للأمهات تسعة أشهر... ألخ، وهذا كله حسن، ولكن لابد من القوة الإيمانية التي تجعل القرار النهائي سهلاً، بالإقلاع عن الخمر، ورغم أننا لا نملك الإحصاءات الاجتماعية والبيئية، إلا أن ظاهر الأمر يدل على استمرار الآثار الإيجابية لهذه التربية الربانية في بلادنا وعلى الرغم من قلة عدد شاربي الخمر في بلاد المسلمين إذا ما قورن بعددهم في الدول الأخرى من العالم... ويستمر هذا ما لم «نستحل الخمر»... فإذا استحلت وقع علينا وعيد رسول الله ﷺ... وكان المسخ الذي ظهر حتى الآن بعض أشكاله نصنفها فيما يلي:

ثانياً: المتلازمة الغولية الجنينية:

أفردت هذه المتلازمة بالوصف والتصنيف منذ العام ١٩٧٣م، حيث ثبت أن الغول بمروره عبر المشيمة من دم الحامل إلى جنينها يؤدي إلى أثر ماسخ يتجلى بسحنة خاصة للطفل عندما يلد وبوجود تشوهات في كل أجهزة جسمه، وتأخر عقلي.

مسؤولية الأبوين معاً... نعم...

ولدهشة القارئ، فالدراسات تصنف تأثير الغول إلى ما يلي:

١ ـ التأثير على الأمشاج: النطفة القادمة من الأب والبييضة التي من الأم... والمعنى المهم لهذا أنه في هذه المرحلة يستوي الأب والأم في الإضرار بالذرية، وأن الضرر يقع قبل الحمل.

٢ ـ التأثير على المضغة والجنين في كل أطواره في الرحم، وهنا تحمل الأم الوزر كله.

ورغم أن موضوع شرب الخمر وأضراره على الشاربين أنفسهم أمر يتعرض له أطباء الداخلية لا الأطفال، فإننا سنشير بسرعة إلى ما قد يهم الأمهات والآباء أنفسهم قبل الانتقال إلى الجنين والطفل.

شخصية المدمن وأثر شرب الخمر على الجسم والعقل:

لم تصل الدراسات إلى مواصفات قياسية عامة ترسم نمط المدمن على الغول، وعموماً يسود الشعور بأن الإدمان يرتكز على اضطراب نفسي سابق، وتأتي المادة المُدْمَنْ عليها، وظاهرها ستر هذا الاضطراب بالنسبة للمدمن، فتزيده شدة ووضوحاً وتزيد عليه اضطرابات أخرى وأمراضاً خطيرة، فنجد المدمن يتصف بأمور منها(٥): الشعور بالحرمان والغيرة وعدم الاطمئنان والانطواء، إضافة إلى ضعف المحاكمة العقلية وربما بطء التفكير، وقمة هذه الإصابة بالأهلاس السمعية والبصرية ثم الهذيانات «الزور الغولي» والتي تنتهي إلى التدهور العقلي والعته الصريح أي «الخرف المبكر» وعضوياً يحدث التهاب أعصاب كثيرة وارتجاف باليدين واللسان والتهاب العصب البصري وتشمع الكبد باختلاطاته الواضحة، علماً بأن السُكر الواضح ليس شرطاً لحدوث الانسجام الغولي المزمن وعوارضه التي وصفناها، فقد ثبت إصابة حتى المدمنين على المقادير القليلة من الغول به، وهذه ملاحظة مهمة تؤكدها الدراسات مثبتة أنه ليس هناك زي موحد يتعامل به الغول مع الإنسان وكل حالة يتم تقويمها بمفردها.

أما الانسمام الغولي الحاد «أو حالة السكر» فهذا يرافق تحطيم حياة المدمن وحياة بقية أفراد أسرته مع كل نوبة سكر، والتي غالباً ما تنتهي بالسبات الذي قد لا يستفيق منه المدمن إذا كانت جرعة الغول كبيرة، إذ يحدث قصور قلبي حاد ينتهي بالوفاة.(٦)

وهكذا... يَعُم الأثر السلبي لشرب الخمر على الطفل في جميع مراحل عمره... منذ أن يكون نطفة وبييضة وحتى يغدو طفلاً، مذهولاً من تصرفات أحد أبويه أو يتيماً فقد أحدهما!!.

نسبة حدوث المتلازمة الغولية الجنينية وأهم مظاهرها:

تتراوح هذه النسبة من ١/٦٠٠ ولادة حتى ١/٣٠٠ ولادة حسب الدراسات العالمية، وهي نسبة عالية تعكس ارتفاع نسبة تناول الخمر بين الأمهات والآباء وتعتبر هذه المتلازمة في الولايات المتحدة الأميركية ثالث سبب بين الأسباب الأكثر شيوعاً للتأخر العقلي مجتمعة.

من المهم تأكيد أن الغول مثل الماسخات الأخرى يولّد طيفاً من العيوب، وبالتالي يبدو الأطفال المصابون بأنماط مختلفة تتراوح من عرض واحد من الأعراض أو أكثر إلى

الأعراض مجتمعة ومتكاملة، لهذه المتلازمة الخلقية، وقبل أن نعرض هذه الأعراض والعلامات نذكر بأنهم وجدوا أن هذه المتلازمة تحدث بسبب تجرع ٣٠سم٣ «أونصة واحدة» باليوم من الكحول، ولكن نظراً لأن أدنى جرعة من الغول يمكن أن تحرض التشوهات الخلقية هي غير معروفة، فلا يمكن أبداً النظر إلى تجرع الغول خلال الحمل على أنه سليم»(٧) مهما بلغت الجرعة.

أهم العلامات والأعراض في المتلازمة الغولية الجنينية:

أ ـ تأخر النمو: يحدث تأثراً في النمو قبل وبعد الولادة يتجلى بنقص الوزن وقصر القامة.

ب ـ الأداء والإنجاز: تبدأ الأعراض المبكرة كاضطراب الوظاف المحركة الدقيقة عند الرضيع، والضعف في التناسق العيني اليدوي مع هياج وفرط نشاط، وتتطور إلى نقص في مدى الانتباه والتركيز ومشاكل في القدرة على الكلام، ومن الواضح أن عدم نمو الرأس المترافق مع خلل في تطور دماغ الجنين في رحم أمه هو أخطر ما يحدث له، وكانت نسبة الذكاء عند أبناء المدمنين أو شاربي الخمر وسطياً: ٦٣٪ وهي تقع في أسفل السلم «لأن معدل الذكاء I Q يصنف كما يلي:

١٢٠ ـ ١٢٥ عند الأذكياء ١٠٠ عند المتوسطين ٧٠ إلى صفر عند المتخلفين.

علماً بأن حالات أولئك الأطفال تراوحت بين الذكاء المتوسط أو دون الوسط، وبين التأخر العقلي العميق، إضافة لاضطربات التعلم والانحرافات السلوكية، والتي تحدث عادة بسبب التعرض المتأخر خلال الحمل لمادة الغول، أو التعرض المديد طوال فترة الحمل ولكن بجرعات قليلة.

ويخطئ من يصنف القصور العقلي المتوسط والخفيف على أنه إهمال أو حرمان عاطفي اجتماعي فقد ثبت أن سببه غالباً الكحول.(٨)

ج ـ القحف والوجه: والتشوهات فيهما واسعة، وتشمل صغر حجم الجمجمة ، صغر الفرجة، الجفنية، انسدال أجفان، نقص تصنع الفك العلوي، أنف قصير مقلوب للأعلى وشفتين رقيقتين.

د ـ الهيكل العظمي: يلاحظ تشوهات مفصلية مثل انعطاف المفاصل في أصابع اليدين، انكماش بالمرفقين بوضع الانعطاف، خلع ورك ولادي، صغر حجم السلامى الانتهائية مع نقص في تصنيع الأظافر باليدين والقدمين إضافة لتشوهات بالفقرات الرقبية وتغير نموذج الالتئام في الراحتين.

هـ ـ تشوهات قلبية: وجود فتحات بين حجرات القلب «البطينيين والأذنيين».

٦ ـ تشوهات أخرى: مثل انشقاق الشفة أو انشقاق قبة الحنك، أو كليهما.

قصر البصر، الحول، سوء تطابق الأسنان، فقد السمع، بروز الأذنين، قفص صدري غير طبيعي، تشوهات كلوية «وهي تحدث رغم تدني المقدار الغولي المتجرع من قبل الحامل»(٩).

والجدير بالذكر أن المظاهر الوجهية التي تساعد في تشخيص المتلازمة الغولية الجنينية تعود جزئياً إلى تأثير الغول على تطور الدماغ المبكر، كما ثبت بالتجارب على الفئران، بما أن الكثير من الاضطرابات العظمية المفصيلة التي ذكرنا بعضها هي أيضاً ثانوية لتأثير الغول على تطور الدماغ، فالمفاصل الطبيعية تعتمد في تشكلها وتطورها على حركة الجنين ونشاطه في الرحم من أجل اتساقها وتمايزها المتناسق، وهكذا عندما تنقص حركة الجنين في الرحم تحت تأثير الغول، تتوقف أو تضعف حركة المفاصل أو تتخذ اتجاهات غير سوية «زوال الاتساق والتوازن» فتحدث الانكماشات والتقلصات التي وصفناها، ويحدث الالتحام الشاذ في الفقرات الرقبية بنسبة ٤٣٪ من الحالات ويمكن كشفه فقط بعد السنة الأولى من العمر.

أثر تناول الغول حتى نهاية الحمل:

يعاني المولود من أعراض الفطام أو الانقطاع المفاجئ عن الغول الذي كان يمر إلى دمه من خلال المشيمة وتبدأ لديه الارتعاشات والهياج خلال ١٢/ ساعة من الولادة وهي تحتاج لتدابير خاصة ومتابعة.

العوامل المؤثرة على الإنذار وسير المرض:

ففي دراسة أجريت في ألمانيا، لوحظ أن (٥٤) طفلاً إصابتهم كانت خفيفة إلى متوسطة (من أصل ٧٢ طفلاً مصاباً بالمتلازمة الغولية الجنينية» لفترة طويلة، ووجد أن ١٧٪ منهم تمكنوا من الالتحاق بالمدارس العادية بما يتناسب مع أعمارهم، وظهر عند الباقين صعوبات في التعليم بسبب فرط الحركة وعدم القدرة على التركيز، كما عانوا من سلبية المزاج ومخاوف مرضية وهمية أو الرهبة، وتبين أن مشاكلهم مع الأشقاء والآخرين لا تنتهي، وقد خلصت تلك الدراسة إلى أنه في الحالات الخفيفة يقل وضوح الأعراض الشكلية مع مرور الزمن، وتبقى الأعراض العقلية والعصبية والنفسية، واقترحوا طلب مشاهدة صورة المريض وهو في مراحل الطفولة الأولى، أو الرضاعة، عندما تكون المشكلة الأساسية ضعف قابلية التعلم مثلاً عند مراهق أو يافع.(١٠)

وتابعت دراسة أخرى بشكل دقيق أطفالاً حالهم أشد خطورة، لتناول الأمهات للغول ولفترات طويلة قبل الولادة، وباستثناء ثلاثة أطفال «أحدهم فُقد في المتابعة والثاني توفي بعيد الولادة بقليل والثالث غرق في حوض الاستحمام وعمره ثلاث سنوات ونصف السنة»، فإن الثمانية الباقين استمروا بالنمو البطيء مع دلائل على القصور العقلي والفشل المستمر، إضافة لوجود التشوه الوجهي القحفي وبعض التشوهات القلبية والمفصلية واستمرت المتابعة لمدة عشر سنوات، فوجد أن نصفهم كانوا معاقين بشدة وبحاجة إلى رعاية خاصة ومستمرة في مراكز التأهيل والنصف الثاني كانوا متأخرين نسبياً وأميل للبلادة.

وبمتابعة أمهات الأطفال المعاقين بشدة

«وهم أربعة» توفيت ثلاث منهن خلال ست سنوات فقط، من وضع الطفل المصاب، لأسباب تتعلق بتناول الغول!! ولم تحدد الدراسات مدى نجاح معالجة الأمهات المتناولات للغول في تحسين نتائج الحمل، بل إن بعض الدراسات أثبت أن المرأة التي كانت مدمنة بشدة قبل الحمل ثم انقطعت كلياً عن الغول خلاله، لن ينجو طفلها بالضرورة من التأثيرات الضارة وعلى رأسها نقص وزن الولادة والتشوهات الوجهية، إذ وجد أن الفترة الحرجة لحدوث هذه التشوهات وما يرافقها من تأثر الدماغ المستقبلي، هي فترة حدوث الإلقاح!! أي لحظة بدء الحمل، وقبل أن تدركه المرأة وتتوقف عن تجرع الغول ويأسف الباحثون لأن البيئة المنزلية الجيدة لا تحسن الإنذار المستقبلي فلم يستفد الأطفال من وضعهم في بيوت رعاية خاصة شديدة الاستقرار، تتبع أحدث وسائل التربية وتقدم أفضل تغذية لهم.

وهذا بحق بدهي... فهذه الدور مهما بلغت من كمال، تبقى تفتقد للدفء والحنان الوالدي في منزل الأسرة، وحتى لو كانت الأم المدمنة تنتمي لأكثر الطبقات رفاهية.. فإن الغول هو الغول، وسيبقى الطفل المصاب قصير القامة، صغير الرأس، منسدل الأجفان، غبي النظرة، ذو سلوك مضطرب وطاقة فكرية منحدرة، لأن التأثيرات العضوية للغول «كما وجدوها» هي نهائية، ذلك أنه يخرب البنى الحساسة عند الجنين بآلية لا تزال موضع بحث.

ورغم الجهود المبذولة لانقاذ أولئك الأطفال، إلا أن الفشل في ذلك أثبت أن الوقاية هي الأساس، فلم توجد حتى الآن معالجة نوعية لحالاتهم كما قال أحد الدراسين الأميركيين متابعاً: «وهم سيستمرون رخويين، ويرتجفون رغم استعمال المهدئات، أما عقولهم المصابة فلا علاج لها... والإنذار عندهم ضعيف»(١١).

وفي الختام... نذكّر:

بأن المتلازمة الغولية الجنينية هي السبب الثالث للتأخر العقلي بين الأطفال، ويصاب بها نحو ٤٠٪ من مواليد الأمهات اللواتي يتناولن الغول بدرجة كبيرة، و١١٪ من مواليد الأمهات اللاتي يتجرعن الغول بدرجة متوسطة.

ولأمر ما، «هناك عوامل مازالت مجهولة»، فإن ما يمكن أن يكون كمية ضئيلة غير ضارة من الغول بالنسبة لبعض الحوامل، يمكن أن يكون مدمراً للطفل المنتظر بالنسبة للبعض الآخر... وعليه فإن أهم نقطة على الإطلاق هي حتمية الوقاية بتجنب شرب الخمر... وإنني أنقل هنا ترجمة للنتيجة التي توصل لها بعض المهتمين جداً بهذا الموضوع في الولايات المتحدة الأميركية حيث ختم بحثه بالقول: «لقد أصبح جلياً الآن أن الغول ماسخ للبشر وإضافة للأثر المباشر لهذا على مستوى الأسرة، فإنه يمكن أن تحدث صدمة عميقة اقتصادية وثقافية على مجتمعنا بسبب ولادة المصابين بالمتلازمة الغولية الجنينية، ومن وجهة نظر عملية، فإن مأساة هذا الخلل يمكن تلافيها إلى مدى بعيد بإدراك أن التعرض للغول هو أمر يمكن تجنبه تماماً... وإلى هنا، فإن برنامجاً يثقف النساء بنجاح خلال سنوات الإخصاب حول الآثار السيئة للغول على أطفالهن المنتظرين يمكن أن يمثل أبسط الطرق وأكثرها فعالية...»

والأكثر فاعلية يا أخي الباحث... ويا جميع إخواتنا في الإنسانية، هو اتباع ما أمرنا به الديان المبدع، من اتباع تعليمات «دليل الصانع» كتابه المنزل وسنة نبيه، الذي حمانا من «قليله» و«كثيرة»... («أنتم وجدتم أن قليله قد يكون ضاراً جداً مثل كثيره بعد مئات السنين من ورود هذا على لسان محمد ﷺ».

وبعد... بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما أصدقك وأنت تنذر أمتك وكل الأمم.. وكأنك ترانا رأي عين... «سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ... إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر»(*) صحيح عن سهل بن سعد. ■

الهوامش والمراجع:

(*) أصل كلمة كحول هو غوّل، وهي كلمة عربية أخذها الأوروبيون عنا حين نهلوا من حضارتنا وعلومنا وترجموها للغاتهم، والكلمات التي لم يجدوا لها رديفاً نقلوها كما هي ولكن بحروفهم، فصار الغول ألكولا بالفرنسية والكور بالإنجليزية، وعندما عدنا لنستورد ما سبق أن صدرناه نقلنا هذه الكلمة إلى أحرفنا وسميت «كحول».

(**) صحيح الجامع الصغير - تحقيق الألباني، نشر المكتب الإسلامي.

١ - المجلة الطبية العربية - العدد ٩٦ أيلول ١٩٨٧م ص ١٧ - ترجمة الدكتور أحمد بدر الدين.

٢ - كينيث - ل - جونز - المتلازمة الغولية الخبيثة - تشرين الأول ١٩٨٦م.

٣ - د. مصطفى الرافعي - الإسلام ومشكلات العصر، دار الكتاب اللبناني - بيروت - ص١٧١.

٤ - مبادئ الطب الباطني - هاريسون، ترجمة مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة دمشق.

٥ - روبرت دريسباج - كتب التسميات - طبعة الشرق الأوسط - المجلد ١١ - ١٩٨٣م - ص ١٨٧.

٦ - ويليام بيك - كتاب التوليد وأمراض النساء، جامعة بنسلفانيا - المجلد الثاني ١٩٨٨م.

٧ - فريدريك بالمر - التأخر العقلي - كانون الثاني ١٩٩٤م - ص ٤٧٥.

٨ - جاني ل. ميلز ورفاقه - تجرع الخمر بدرجة معتدلة خلال الحمل وترافقه مع ازدياد في التشوهات الخبيثة - أيلول ١٩٨٧م.

٩ - أوسكي وستوكمان - الكتاب السنوي لطب الأطفال - ١٩٨٨م.

١٠ - كتاب طب الأطفال - نلسون - بهرمان وفوغهان - المجلد ١٤.

بقلم: فاطمة حسين

طفلي يخاف من الظلام

هل يخاف طفلك من الظلام؟

كل طفل في العالم يخاف من الظلام في طفولته، حيث تترأى له الأشباح والخيالات، إلا أن هذه المخاوف تكون طبيعية وتنتهي مع الكبر.

ولكن قد تأخذ بعض المخاوف عند الأطفال ظاهرة مرضية، وتستمر معهم بعد ذلك، وتكون هذه المخاوف المرضية بداية لكثير من الحالات «العصبية» والذهنية «العقلية».

والخوف عموماً حال انفعالية داخلية، يشعر بها الإنسان منا في موقف ما، فيسلك سلوكاً يبعده عن مصدر الضرر، ولكن الأمر المقلق أن يتضخم الخوف ويتكرر ويصبح شاذاً.

ويتقارب الخوف والقلق في مرحلة الطفولة، بحيث يصعب التفريق بينهما، وتؤدي زيادة المخاوف لدى الطفل إلى إعاقة حريته، وضعف قدرته على مواجهة البلوغ وعلى العموم تزداد المخاوف شيوعاً في مرحلتي الطفولة المبكرة وفي حال الاقتراب من سن البلوغ.

وربما يخاف الطفل من شيء، أو شخص، أو موقف أو حركة، وعادة ما يستقبل مصدر الخوف على أنه أقوى منه، ويحمل له التهديد والإيذاء ويتضاءل شعور الطفل بقدرته وبنفسه تجاه هذا التهديد وتختلف المخاوف المرضية في شدتها، كما تختلف من طفل إلى آخر، ويواجه الطفل أكثر من خمسين نوعاً من المخاوف المرضية: الخوف من الأماكن العالية، والخوف من الأماكن المفتوحة، والأماكن المغلقة، والخوف من ظواهر الطبيعة، والخوف من الحيوانات، والخوف من الوحدة، والخوف من الظلام، والخوف من الغرباء، والخوف من الخيالات.

وعادة يرتبط الخوف من الظلام بأشياء أخرى تخيف الطفل، وربما يسبب الظلام الجزئي وما به من مرئيات وظلال خوفاً أشد من الظلام الحالك.

وفترة الطفولة المبكرة هي الفترة التي تتكون فيها المخاوف المرضية من الظلام. نتيجة اتساع دائرة الطفل مع بيئته ولكي تعرف هل ينطبق على خوف طفلك من الظلام أنه خوف مرضي، قارنيه بأطفال آخرين قريبين من سنه: سواء إخوته، أو بأطفال الآخرين من الأهل والجيران والمعارف، فلو كان خوفاً متضخماً من الظلام ناتج عن حدة الموقف عند أقرانه من الأطفال، هل يتكرر هذا الخوف من الظلام بشكل غير عادي أو هو شائع.

وخطورة المخاوف المرضية من الظلام أنه يصعب التخلص منها والسيطرة عليها لأنها تجعل الطفل قلقاً عصابياً، وتجعل سلوكه إلزامياً وكأنه مغلوب على أمره.

وتساعد خصوبة خيال الأطفال على تضخم إحساسهم بالتخوف من أشكال ومرئيات الظلام، فالسرير يتحول في الظلام إلى وحش، والمشحب يتحول إلى غول متحفز، والحذاء يتحول في الظلام إلى حيوان خرافي، فالطفل يضفي على الجوامد والأثاث والجدران سمات إنسانية وبخاصة في سنوات عمره الأولى، وقد يرتبط الطفل في مخاوفه حول الأشياء والجوامد الموجودة في الأماكن المظلمة بما قد رآه على شاشة التلفاز من وجوه مخيفة أو مواقف تفزعه.

وأحياناً يرتبط الطفل بين تأنيب الأهل له، وتهديداتهم بسبب شقاوته والخسائر التي يسببها وتمرده على أوامرهم وتعليماتهم بمخاوف الظلام، فيعتقد أن الظلام يخفي عقوبة أو تهديداً ما، وخصوصاً في ظل التهديد الخاطئ من الأهل للطفل، واتهامه بإغضاب الكائنات الخرافية «الغول - أبو رجل مسلوخة - الذئب - النداهة... إلخ»، وعادة ما يتوهم الطفل بأن الظلام هو موطن

هذه الكائنات المخيفة.

وتدل نتائج الدراسات السابقة على أن البنات أكثر خوفاً من الظلام من الأولاد، كما قد يستجيب الأطفال الفقراء للظلام أكثر من الأغنياء وبخاصة في الريف والأحياء الشعبية بالمدينة حيث يسود التفكير الخرافي بين الكبار أنفسهم.

ويمكن أن نقسم موقف الآباء ومواجهة المخاوف المرضية من الظلام عند الصغار إلى قسمين: وقائي وعلاجي.

وطبعاً يتولى الأطباء والمرشدون النفسيون علاج المخاوف المرضية للأطفال من الظلام، والكبار أيضاً... ومن بين طرق العلاج الممارسة المعززة القائمة على التعرض التدريجي للظلام، والتعزيز الموجب تجاه السلوك أو التقدم الذي يحققه الطفل في مواجهة الأماكن المظلمة.

كما يستخدم اللعب في علاج الخوف من الظلام لدى طفل ما قبل المدرسة والذي يكسب الطفل تحصيناً تدريجياً ضد هذا الخوف من الظلام.

من الأسباب العلاجية تقوية نزعة الاستقلال عند الطفل من خلال ممارسة الطفل الذاتية لتحمل الظلام، والدعم الخارجي في أثناء هذه العملية بتشجيع الأب أو المرشد النفسي على دخول الأماكن المظلمة.

كما أظهرت دراسات كثيرة أثر الدفء الوالدي في تكوين شخصية الطفل وبالتالي قدرته على مواجهة الخوف من الظلام، والنظر إلى العالم كمكان مهدد، مفعم بالأخطار، كما يتحقق تقديره لذاته وثقته بنفسه عند غياب الدفء الأسري.

إننا بحاجة إلى إضفاء المزيد من الود على العلاقات الأسرية، ومن الاحترام المتبادل بين الأفراد، ومن إضفاء المشاعر الفياضة - دون مبالغة - على صغارنا وهو ما يعني زرع الثقة والقوة لدى الصغير، الأمر الذي يشكل مناخاً إيجابياً يمكن أن يقلل من احتمالات كثير من المخاوف المرضية، وفي مقدمها المخاوف من الظلام. ■

قصة

بعض الوفاء

بقلم: علي محمد محاسنة

«مسكينة.. هذه الـ«جويدة» تقرق على غير عشها.. «هكذا كانت نساء الحي أو بعضهن على الأقل، يرين ذلك العطف والبذل من «جويدة» زوجة الأب التي لم تنجب فمنحت الدفء والحنان لأطفال زوجها الذين فقدوا أمهم وبقي لهم أب يكد ليدرك الكفاف... بيت متواضع يؤويهم... «يا سبحان الله... سبحان المدبر... من لا أب له... له رب...

عجيبة هذه المرأة في هذا الزمان... إنها تؤثر أبناء زوجها كما لو كانت أمهم... وحتى أطفال الحي كانت مظاهر الغيرة تبدو على وجوههم وهم يتأملون منظر الخالة جويدة وهي تفك صرة القروش متهللة الوجه لحظة خروج أبناء زوجها الأربعة إلى المدرسة لتناول كلاً منهم قرشه الصباحي بيده مع دعاء دافئ له بأن يرعاه الله ويحرسه... ومسحة حانية على رأسه الصغير...

كبُر الصغير... اندفع الأبناء شباباً على طريق الحياة... تزوج الأكبر ثم الذي يليه... وجويدة لا تبخل تعطي عطاء الأم للأبناء وزوجاتهم... وأطفالهم الذين أرادتهم جويدة بنقاء وبساطة أحفاداً لها.

هكذا عُرفت في الحي بأوصاف... الآدمية... المستورة... بنت الحلال... الدافية... التي تخاف الله... وأحياناً الفقيرة... أو البلهاء.

وجاء يوم... توعك «موسى» الزوج والأب العجوز... واشتد عليه المرض... جويدة كما عرفت ... لم تكلَّ من الخدمة والرعاية... سهرت بجوار الزوج الذي هدَّه المرض... وحرصت دوماً على تحمل عبء ذلك وإعفاء الأبناء منه... فهم «مساكين يتعبون وراء عيشهم...» لم تتذمر... صبرت واحتسبت... هي هكذا... والجزاء عند صاحب الملك المطلع.

أسابيع... وشهور تمرُّ والحال على ما هو... سهر وخدمة ولا بوادر تبشر.... إلا بقية من إيمان واحتساب في صدر امرأة قضت السنين قانعة بما قسم الباري... مع «موسى» لتكون له رفيقة الدرب الأمنية الراضية وحاضنة لأطفاله و«أماً» بديلة ترافقهم درب الحياة على مدى عشرين عاماً... وأخيراً ممرضة لا تكلُّ ولا تطلبُ أجراً. «موسى» في حال احتضار... ربما بقيت له أيام قلائل... هكذا... قال من رآه... وبالكاد تبقى لجويدة ساعة تختلسها لبعض حاجة... الأبناء كل له من الكدح والمشاغل ما يكفي... الحال ليس على ما يُرام... وبالكاد يسير المركب.

قالت أم صالح «لم أصدق ما سمعت يومها... حتى التقيت «سليم» أصغر أبناء موسى... أكّد لي الخبر وعيناه في الأرض... «صحيح... لقد أرسلوا إلى جويدة ورقة طلاقها من والدي... بعد أن ذهبت لزيارة أختها في الجنوب... وكيف... و... ليش... وأبوكم الذي... على حافة ...؟ حملوا الوالد بالتاكسي... إلى المحكمة... فعلوها.... خائفين على التركة.... مع أنها ... مسكينة أمي جويدة... أرسلوا لها الورقة... هناك في بيت أختها حتى....

قالتها أمُّ صالح... وهي تلعن... زماننا... وكل... وفي عينيها تجولُ دمعةٌ... فتمسحها بظاهر يدها... وتابعت... «بعد خمسين يوماً بالعدد... ماتت جويدة هناك في بيت أختها... لم ترجع نهائياً إلى الحي... لم تكن مريضة ولم نرها كذلك أبداً.

... اليوم وبعد ثلاثة أعوام من ذلك اليوم... قابلتُ في الطريق «سليم» إيَّاه... كان يقودُ سيارة صغيرة مهلهلة وقد وضع على المقعد الخلفي بقايا إنسان يحتضر عاد بها للتو من المستشفى... بها نفس يشير إلى بقية حياة... لكنه لم يمت ... بعد أعوام ثلاثة كاملة... من خروج جويدة... بدا لي وجه «موسى» بعيون غائرة مطبقة الجفون أشبه بوجه مومياء... ولم أكد أميزه لولا تلك الندبة الكبيرة التي تقسم حاجبه الأيمن إلى نصفين والتي عُرِف بها في الحي أكثر مما عُرِف باسمه...! ■

إعداد: محمد عباس محمد عرابي

رياض الأطفال
أهميتها - وظائفها - أهدافها

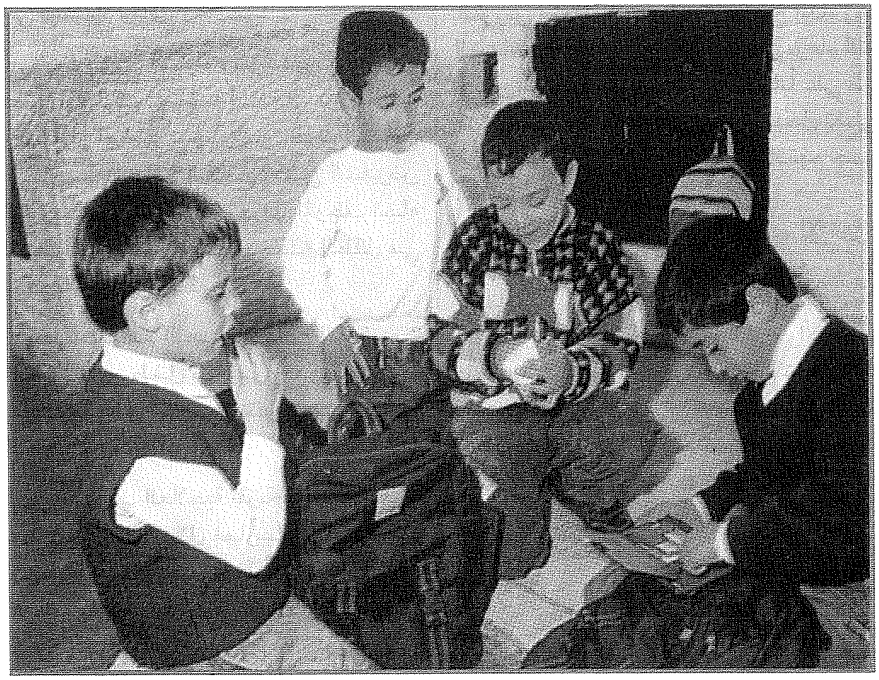

تُعد مرحلة رياض الأطفال من المراحل التعليمية المهمة، وذلك لما لها من أثر في تكوين شخصية الطفل واتجاهه في الحياة، وتأتي أهمية رياض على أنها مرحلة تمهيد وتهيئة للأطفال لدخول المرحلة الابتدائية، فمدارس رياض الأطفال تساعد على التأقلم للمرحلة الابتدائية، بحيث تجعل النقلة من البيت إلى المدرسة أقل صعوبة، خصوصاً أن الأطفال يتعلقون كثيراً بالأسرة عاطفياً، ويشعرون بالأمن والاستقرار طيلة أيام الطفولة التي يتمتعون خلالها بالسعادة والانشراح، وإذا لم يهيأوا للمدرسة الابتدائية بوساطة رياض الأطفال فإن عملية الانتقال تعتبر في حد ذاتها صدمة عنيفة لهم يشعرون خلالها بفقدان تلك السعادة التي ألفوها فتنقلب في أسوأ الظروف إلى حزن وهم قد يؤديان في بعض الأحيان إلى إخفاق الطفل في المسيرة الدراسية مع أقرانه ممن أتيحت لهم فرصة التهيئة الاجتماعية لعملية التعلم في مرحلة رياض الأطفال.

لذا، فإن هذه العملية من التهيئة هي التي تحدد معالم الفلسفة لرياض الأطفال والأهداف المرجوة منها، مع التأكيد على أن هذه المحاولة لمساعدة الطفل على التهيؤ والتأقلم للمرحلة الابتدائية التالية، يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن الرسمية والتقيد بأسلوب التعليم المعتاد في المراحل الأكثر تقدماً كالابتدائية مثلاً وأن يُعطى الطفل كامل الحرية في اكتشاف الخبرات الذاتية من خلال المرح واللعب، حيث إن مدلول كلمة رياض الأطفال وتعريفها الأساس يؤكد أنها «جماعة من الأطفال تتعاون على اللعب والحركة والاختيار وتنمية الحواس والتعبير عن الغرائز النفسية تعبيراً طبيعياً بعيداً عن الأساليب العلمية والفنية التي لا طاقة للطفل على تحملها».

أما فلسفة رياض الأطفال، فيجب النظر إليها من حيث الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والتي تحدد تبعاً لثقافة المجتمع التي تنشأ به هذه الرياض وأن نأخذ بعين الاعتبار نمو الأطفال الجسمي والعقلي.

أهمية رياض الأطفال:

تتمثل أهمية رياض الأطفال فيما يلي:

- أنها مؤسسة تربوية تتم فيها العمليات التربوية الهادفة لتنمية شخصية الأطفال.
- هي مرحلة قبلية أساسية لما يتلوها من مراحل النمو ولذلك فهي الأساس الذي ترتكز عليه حياة الفرد من المهد إلى الشيخوخة.
- الرياض ضرورة اجتماعية لرعاية الأطفال جسمياً وعقلياً واجتماعياً ووجدانياً.

- تساعد التربية على النمو المبكر للشخصية لما تقدمه للطفل من خبرات.

- إن الأسرة المعاصرة لا تستطيع - في ظل الظروف الحالية - أن تشبع حاجات ومتطلبات نمو الطفل ومن هنا كانت الحاجة شديدة إلى الاستعانة بالرياض لمساعدتها في رعاية وتربية أطفالها.

وظائف رياض الأطفال:

للرياض دور كبير في تربية الطفل وتعليمه، فهي تقوم بوظائف كثيرة منها:

- تنمية قدرات الطفل واستعداداته وميوله.

- إكساب الطفل المهارات الحسية، الحركية، الاجتماعية والمعرفية.

- رعاية الطفل رعاية شاملة لجميع النواحي الجسمية، العقلية والاجتماعية.

- توجيه الطفل وإكسابه السلوك المرغوب فيه.

- تمكين الطفل من التجريب والاكتشاف واختيار مكونات بيئته الخاصة.

- إعداد الطفل وتهيئته للتعلم.

- الإسهام في نمو ذكاء الطفل.

- توافر سبل النمو الاجتماعي وذلك بما تتيحه له من فرص التعاون والمشاركة مع الأقران.

أهداف رياض الأطفال :

فلرياض الأطفال أهداف كثيرة وشاملة لجوانب نمو الطفل المختلفة وتتمثل هذه الأهداف فيما يلي:

١ - أهداف تتعلق بنمو الطفل النفسي.

- تنمية شعور الطفل بقدرته وإمكاناته.

- تعويد الطفل الاعتماد على الذات.

- تكوين الاتجاه الإيجابي نحو التعلم.

٢ - أهداف تتعلق بنمو الطفل الاجتماعي.

- تعويد الطفل على احترام الآخرين.

- بث روح التعاون والمشاركة بين الأطفال.

- تعويد الطفل على التمسك بمواقفه الصحيحة وتقدير حقوق غيره من الأطفال.

٣ - أهداف تتعلق بقدرات الطفل العقلية والإدراكية:

- إعطاء الطفل الفرص الكافية للقيام بالتجريب والمحاولة.

- تنمية روح الجرأة والمبادأة.

- إتاحة الفرص لتنمية قدرات الطفل الرياضية والعددية.

- زيادة ثروة الطفل اللغوية من خلال القصص والأناشيد والأحاديث.

٤ - أهداف تتعلق بنمو الطفل الجسمي والحركي:

- تنمية عضلات الطفل.

- تدريب الطفل على الاستخدام الصحيح للأدوات.

- تدريب الطفل على رسم الخطوط والدوائر والمنحنيات، وذلك لإكسابه مهارات الاستعداد للكتابة.

- تعويد الطفل على العادات الصحية.

٥ - أهداف تتعلق بالنمو الروحي والديني:

- تعويد الطفل على ذكر الله تعالى، وحبه لرسوله الكريم.

- تعريف الطفل ببعض العبادات كالصلاة والصوم والزكاة.

- تعويد الطفل على شكر الله تعالى وحمده، وذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» عند القيام بأي عمل.

٦ - أهداف تتعلق بتطوير الإبداع الفني:

- مساعدة الطفل على الإبداع من خلال الرسم.

- تدريب الطفل على الأعمال اليدوية.

٧ - أهداف تتعلق بالتكيّف المدرسي.

- مساعدة الطفل على أن يألف الوقت الذي يقضيه في الرياض.

- تدريب الطفل على الإنصات والانتباه ومتابعة التوجيهات.

- مساعدة الطفل على التكيّف بالعمل مع مجموعة من أقرانه.

٨ - أهداف تتعلق بنمو الشعور الوطني والقومي.

- تنمية مشاعر الطفل الوطنية من خلال الأناشيد.

- تعويد الطفل على الاعتزاز بنشيده الوطني.

- تعويد الطفل على الشجاعة والتضحية.

يتضح مما سبق أن أهداف الرياض تشمل جوانب نمو الطفل المختلفة، كما تقوم على أساس إشباع حاجات هذا النمو، ودور الرياض هنا أن تترجم هذه الأهداف وتحققها عن طريق الأنشطة التعليمية المختلفة، ويجب ألا تهتم بالأهداف الثانوية على حساب الأهداف الرئيسة. على سبيل المثال، لو كان من الأهداف الرئيسة تشجيع الإبداع الفني، فإن التدريب على استخدام الأدوات الفنية، يصبح هدفاً ثانوياً، ويتطلب قدراً أقل من الاهتمام مما يتطلبه تشجيع الأطفال على تجريب الأدوات بحلها والتعرف على أجزائها وتركيبها، وهذا يدع له فرص التفكير والاستكشاف والإبداع. ■

المراجع :

١ - أحمد رشوان، تنمية المهارات والمفاهيم الدينية لدى الأطفال، جامعة أسيوط، كلية التربية، ١٩٩٧م.

٢ - نبيل عبدالفتاح، وعبدالفتاح صابر، في سيكولوجية النمو «طفولة ومراهقة»، جامعة عين شمس، كلية التربية، ١٩٨٨م

بقلم: د. عبد الرزاق السباعي

حساسية الأنف كلفت أميركا ١,٨ بليون دولار في سنة واحدة

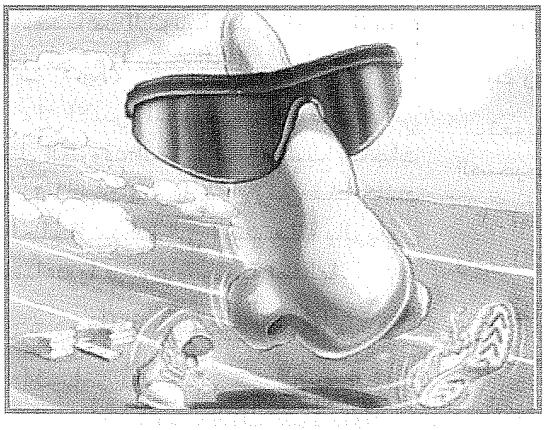

حساسية الأنف أو تحسس الأنف حالة شائعة جداً، وعلى الرغم من أنها لا تهدد الحياة إلا أنها تسبب قدراً كبيراً من الانزعاج وعدم الارتياح، كما تسبب خسارة كبيرة للفرد وللمجتمع، يصيب المرض ١٠ - ٢٠ في المئة من مجموع السكان، وقد كلفت الولايات المتحدة وحدها ١,٨ بليون دولار أميركي العام ١٩٩٠م موزعة على مصاريف مباشرة ومصاريف غير مباشرة.

كيف تحدث حساسية الأنف؟

هناك نوعان من حساسية الأنف: حساسية الأنف الموسمية، وحساسية الأنف المستمرة.

١ - حساسية الأنف الموسمية:

وهي - كما يدل عليها اسمها - تحدث في مواسم معينة وأوقات معينة من السنة، أو في ظروف معينة، وتترافق مع وجود بعض مسببات الحساسية في الجو مثل حبات الطلع «غبار أو حبوب اللقاح Pollens» كما يحدث في أثناء فترة تفتح الأزهار، ولذلك تختفي هذه الحساسية باختفاء المسببات من الجو المحيط.

٢ - حساسية الأنف المستمرة:

وهذه لا علاقة لها بالمواسم أو الفصول، بل تحدث طوال السنة، لأن السبب هو وجود مواد تسبب الحساسية في الجو بشكل دائم، مثل الغبار ووبر الحيوانات الأليفة وجلودها وصوفها وبرازها «مثل القطط والكلاب» وريش الطيور «مثل الحمام والدجاج» إضافة للكثير من المواد الكيميائية والغازات التي تلوث الجو. إلا أن أهم مُسبب لحساسية الأنف المستمرة هو كائن حي صغير جداً لا يرى بالعين المجردة، وإنما يرى بعد تكبيرة تحت المجهر «المكبر» واسمه سوس الغبار المنزلي House dust mite الذي يوجد في أماكن كثيرة من البيت.

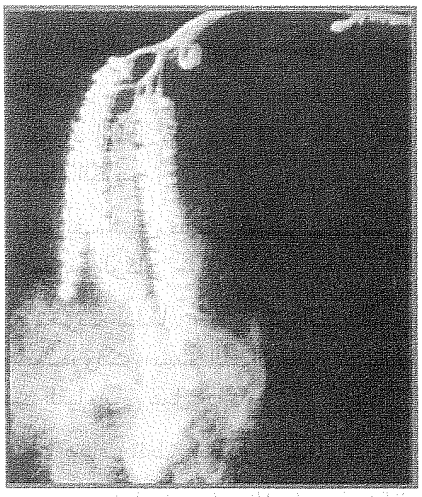

● تسبب حبوب اللقاح المتناثرة من النباتات بعض أنواع الحساسية

ولا ننس بعض النباتات والأعشاب الموجودة بشكل دائم في البيت سواء للزينة أو في الحديقة الملحقة بالبيت.

مم يشكو المصاب بحساسية الأنف؟

يشكو أغلب المصابين بحساسية الأنف من حكة في الأنف، مع سيلان الأنف والشعور بوجود احتقان فيه أو انسداد، ما يعيق عملية استنشاق الهواء بسبب العطاس المتكرر.

وقد تتأثر قدرة المصاب على الكلام أو التركيز، وقد تتأثر حاسة الشم وحاسة الذوق عنده، وقد يضطرب النوم أيضاً.

وهناك حركة مميزة يقوم بها الطفل المصاب بحساسية الأنف وتسمى «التحية التحسسية» حيث يقوم بعملية حك

مستمر ومنتظم للأنف في محاولة منه لفصل الأغشية المخاطية المحتقنة، وكأن الطفل بهذه الحركات يلقي السلام والتحية، لكن بشكل متكرر.

كيف نعرف إن كان الشخص مصاباً بحساسية الأنف؟

هناك بعض الأسئلة البسيطة التي قد تساعد على معرفة ما إذا كان الشخص مصاباً بحساسية الأنف - وهذه الأسئلة هي:

١ - هل يشعر الشخص بأعراض نزلة البرد «الزكام» لأكثر من أسبوعين؟

٢ - هل هناك حساسية في أماكن أخرى كالعين أو الجلد أو الصدر؟ مثلاً: هل يشكو من إحمرار العينين وسيلان الدمع مع حكة؟ أم هل لديه حكة جلدية وهل يعاني من ضيق في التنفس؟

٣ - هل تظهر الأعراض عندما تتغير الظروف المحيطة؟ مثلاً: عند الانتقال من غرفة إلى أخرى، أو عند ركوب السيارة أو الخروج من المنزل.

٤ - هل الأنف مسدود دائماً؟ أم أنه يسيل ويحك أحياناً.

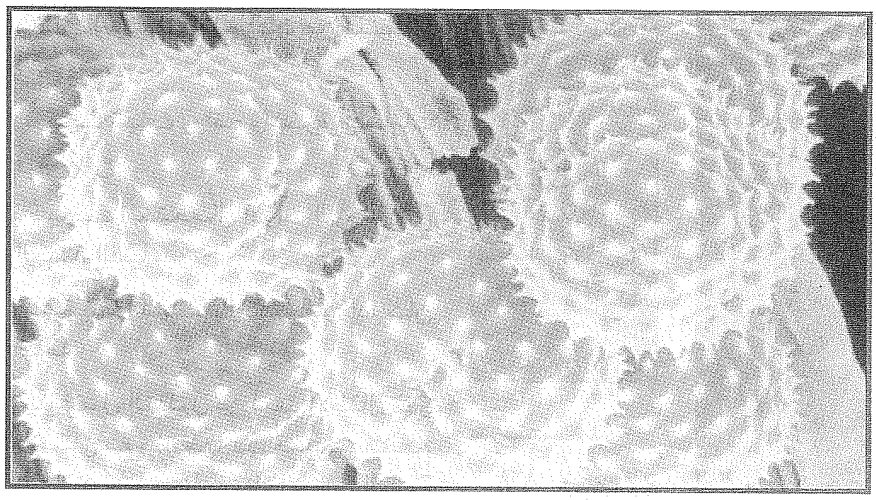

● حبوب اللقاح (الطلع) ماتصقة على الغشاء المخاطي للأنف كما ترى تحت المجهر

٥ - هل هناك عطاس متكرر «مرات عدة» وبسرعة؟

إذا كانت إجابة الشخص هي «نعم» على الأسئلة الأربعة السابقة فمن المحتمل أن يكون مصاباً بحساسية الأنف - والطبيب هو الذي يقرر ذلك في نهاية الأمر.

هل يمكن الوقاية من حساسية الأنف؟

قديماً قيل «درهم وقاية خير من قنطار علاج» وهذا ينطبق تماماً على حساسية الأنف، فالوقاية من العوامل المسببة للحساسية والابتعاد عنها والتخلص منها أهم وأفضل بكثير من المعالجة.

توصيات لتجنب حساسية الأنف:

- يجب استعمال وسائد ولحف مصنعة لا تحتوي على ريش.

- يجب تغطية الفراش «المرتبة» والوسائل بأغطية غير نفوذة للغبار، ويجب أن تستر هذه الأغطية كامل الفراش حيث يوضع سحّاب في أحد طرفيه.

- يجب استعمال شراشف وبطانيات قابلة للغسيل، حيث تغسل بماء حار (٦٠ درجة مئوية) مرة كل أسبوع.

- يجب تجنب الريش والصوف والزغب والأغطية المصنوعة من الغزل القطني والسجاد الثخين واللباد والموكيت والستائر السمكية والأثاث الأملس.

- يجب تجنب استعمال البخاخات المزيلة للعرق أو القاتلة للحشرات أو المثبتة للشعر.

- يجب الامتناع عن التدخين وتجنب

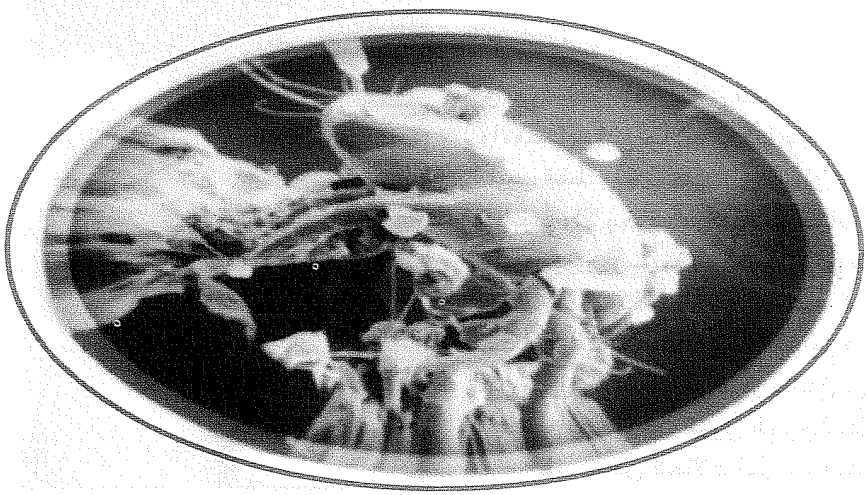

● صورة بالمجهر لسوس الغبار المنزلي ماتصقة على الغشاء المخاطي للأنف

دخان السجائر المنبعث من سجائر الآخرين.

- يجب تجنب روائح وأبخرة الدهانات والأصباغ،

- يجب استعمال أدوات الزينة في الحدود الدنيا.

- يفضل استبدال الفراش إذا كان قديماً.

- يفضل التقليل من لعب الأطفال قدر الإمكان مع وضعها في صندوق محكم الإغلاق، كما يجب غسل الألعاب الطرية بماء حار «حتى درجة ٦٠ إن أمكن» أو وضعها في المجمدة «الفريزر» مرة كل شهر.

يفضل تنظيف السجاد والأثاث بالمكنسة الكهربائية الشافطة مرة في الأسبوع على الأقل.

- يفضل تنظيف الفراش بالمكنسة الكهربائية الشافطة بعد نزع الغطاء عنه وذلك مرة في الأسبوع.

- يجب وضع مُرَشِّح «فلتر» ناعم للمكنسة إذا كانت غير مزودة به.

- يجب تهوية الغرفة بانتظام.

- يجب إغلاق كل الفتحات في الجدران وخصوصاً قرب أجهزة التكييف.

- يجب استبدال أجهزة التكييف غير الجيدة أو تصليحها.

- يجب وضع مُرشح «فلتر - شبك» ناعم الفتحات على النوافذ لمنع دخول الحشرات وبخاصة القراد الذي ينقل السوس، كما يمكن استعمال مبيدات القراد، لكن يجب عدم وضعها على الفراش.

- يجب تجنب كل ما من شأنه زيادة الحساسية، وهذه تعرف بالتجربة الشخصية حسب كل مريض.

١٨ توصية لتجنب حساسية الأنف

● وبر الحيوانات وريشها وجلودها أهم مسببات الحساسية

كيف نعالج حساسية الأنف؟

تحتاج معالجة حساسية الأنف إلى صبر طويل، وتختلف طريقة المعالجة حسب شدة الحالة وعمر المريض، وتعتمد بشكل رئيس على إعطاء قطرات داخل الأنف لتخفيف الاحتقان، وإزالة الانسداد إن وجد، كما تعتمد على إعطاء أدوية مضادة للحساسية «تسمى مضادات الهيستامين» حيث تخفف رد فعل الجسم تجاه العوامل التي تثير أو تسبب الحساسية.

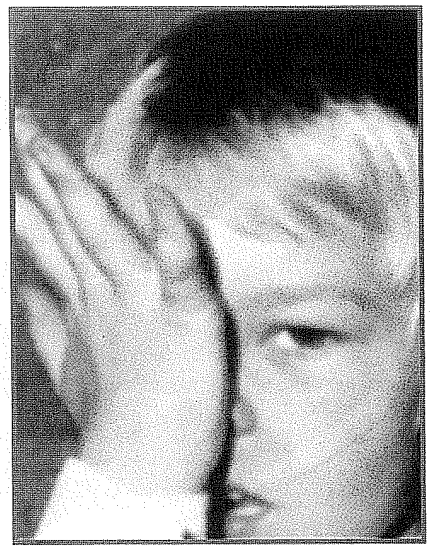

● التحية التحسسية عند الطفل المصاب بالحساسية

وأخيراً يبقى الكورتيزون الخيار الأخير - والأفضل - في حالات معينة يحددها الطبيب فقط، ويجب على المريض أن يثق بالطبيب وألا يخاف من هذه المركبات، فالكورتيزون ومشتقاته أدوية معروفة عالمياً ومضمونة وفعّالة إذا استعملت تحت إشراف الطبيب، وعليه قد يبطئ الكورتيزون بشكل قطرة، أو بخاخ في الأنف، أو يعطى عن طريق الفم بشكل أقراص في بعض الحالات التي يحددها الطبيب... والطبيب فقط. ■

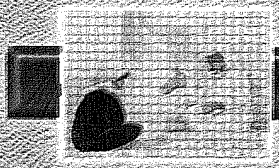

بقلم: منى السعيد الشريف

بين الأم ... والجدة

الأبناء هم زهرة الحياة والعمر الجديد الذي يوصل بعمر الإنسان... وهم هبة من الله وزينة الحياة الدنيا، ولكن أحياناً ما يعتري الزهرة ذبولاً وإعياءً وأحياناً ما تصبح زينة الحياة مصدراً للمتاعب والقلاقل... بل قد يتحول الابن أو الابنة إلى آلة تعذيب تنغص حياة الأب والأم ليل نهار... ولكن ذلك لابد أن يكون له سبب وما يعرف سببه يسهل في الغالب معرفة علاجه.

وسن المراهقة هو أكثر سن تكثر فيه المشاكل بين الآباء والأبناء وبخاصة إذا كان لتلك المشكلات جذور في الماضي وهذا هو ما حدث مع صديقتنا التي جاءت تشكو مر الشكوى من ابنتها قائلة: «إن المرأة عندما تضع أول مولود لها ويكون بنتاً تفرح كثيراً لأنها ترى أنها جاءت بأم أخرى لأبنائها، تستطيع أن تكمل رسالتها في تربية أخوتها إذا شاء الله ألا تكمل هي تربيتهم... تشعر أنها ستكون صديقتها وأقرب الناس إليها ولكن خاب رجائي في ابنتي ولا ألقي اللوم عليها فقد كانت جدتها السبب... ثم تستطرد قائلة عندما أنجبت ابنتي فرحت بها جدتها كثيراً خصوصاً بعد أن بدأت تكبر وتدرك، وكانت تجد في رعايتها والعطف عليها العوض عن أبنائها الذين كبروا وانشغلوا عنها بأمور حياتهم... وقد كنت سعيدة جداً بحبها لها ولكن الأمر زاد وأسرفت الجدة في تدليل الطفلة الصغيرة وكانت تسعد كثيراً بتعلقها بها وإصرارها على البقاء معها أكبر وقت ممكن، وشيئاً فشيئاً شعرت أنني أفقد ابنتي بعد أن أصبحت تقضي معظم الأيام عند جدتها... بل لم يصبح لي الحق في نظر الجدة في المطالبة بعودتها معي إلى المنزل... حتى إذا حاولت معاقبتها على خطأ ارتكبته كأي أم كانت تثور وتتشاجر معي وتتهمني أنني لا أحبها بقدر حبي لإخوتها وأني قاسية عليها، كان ذلك كله يحدث أمام الطفلة وكنت أتمزق عندما تسمع تلك الكلمات من جدتها ومللت الشجار والجدال... واكتفيت بدور هامشي في حياتها وعوضني أخوتها بعض الشيء عن غيابها، فلم تكن تأتي إلى البيت غير بضعة أيام وتعود مسرعة إلى جدتها ومرت السنوات مسرعة، ثم حدثت الطامة الكبرى عندما توفيت الجدة رحمها الله وفرحت بعودة ابنتي واستقرارها معي ومع إخوتها كي تسير الأمور بالشكل الطبيعي، ولكن هباء كانت أحلامي لقد بدأت المشكلات مع عودتها... فقد تحولت إلى مخلوق لا أعرفه ترفضني وترفض إخوتها والحياة معنا يظهر ذلك جلياً في كل تصرفاتها وبعدها عنا... وبدأت تهمل تحصيل دروسها... تقضي معظم النهار نائمة، وإذا ما استيقظت جعلت سلوتها استفزازي ومضايقتي حتى أتشاجر معها، ورثيت لحال تلك الأم المسكينة عندما غالبها البكاء وهي تقول: «لقد حولت حياتي إلى جحيم لا يطاق ولا أعرف كيف أتصرف معها؟»... وحاولت مساعدتها ولكن لم يكن في يدي غير النصيحة فالأمر كله في يدها فقلت لها: يا أختاه يجب أن تدركي أن ابنتك تمر بمرحلة غاية في الصعوبة بعد وفاة جدتها التي كانت تمثل لها مصدر الحب والحنان والأمان لقد كان دورك في حياتها كما وصفتيه تماماً دوراً هامشياً وهذا هو ما يجب أن يتغير لأنه أمر غير طبيعي... يجب أن تستدركي الأمر وتأخذي دورك الطبيعي في حياتها لقد انقلبت حياتها رأساً على عقب بوفاة جدتها لذلك هي ترفض في داخلها الوضع الجديد الذي أصبحت فيه لقد كانت تمثل لجدتها كل شيء وبانتقالها للحياة معكم أصبحت تمثل مجرد عضو في الأسرة... وقد يداخلها الشعور بأنها عضو غير مرغوب فيه نتيجة ما كانت تسمعه من جدتها من أنك قاسية عليها ولا تحبينها قدر حبك لإخوتها... إن نومها لساعات طويلة هو مجرد عملية هروب نفسي من واقع ترفضه ولكنها لا تملك تغييره... حتى محاولاتها لاستفزازك ومضايقتك هي محاولة لا شعورية كي تثبت لنفسها صحة كلام جدتها القديم إن الأمر يا صديقتي يتطلب الكثير من الصبر والوقت والحنان الغامر لهذه الابنة.

وحاولي ملء حياتها واشعريها بأن لها دوراً في حياتك، دور مهم بإشراكها في بعض أمور المنزل الخفيفة وفي مشاكل إخوتها وأمورهم، لا تجعليها تشعر بأنها محل انتقاض وشكوى مستمرة منك... استمعي دائماً لحديثها. شاركيها في أحلامها ومشكلاتها مهما بدت لك تافهة أو مستفزة اصطحبيها معك إلى المسجد لأداء صلاة أو سماع درس ديني... ومع الوقت ستشعر بحبك ورعايتك لها وتعود لها الثقة والأمن، وستشعر أنها جزء من تلك الأسرة، وعضو له دوره ومكانته فيها وقتها تستطيعين توجيهها لأنها ستقبل منك النصيحة... أنا لا أدعي بالطبع أن الأمر سهل أو سيحدث بين يوم وليلة... لا إن الأمر يتطلب الكثير من الوقت... الكثير من الحلم والصبر... الكثير من الحنان والعطاء فإذا ضاق صبرك تذكري أنك تستردين ابنتك وهذا هدف يستحق المحاولة الجادة وتذكري قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس أقبح منه».

... وبعد أخي القارئ فإن تلك المشكلة هي تعبير صادق عن أثر خطأ تقع فيه بعض الأسر ألا وهو استقطاب الجد أو الجدة لأحفادهم والمبالغة في الاستمتاع بحبهم بشكل يبدو في بعض الأحيان مرضي، وذلك عوضاً لهم عن دورهم الذي فقدوه ببلوغ أبنائهم، واعتمادهم على أنفسهم، وإنشغالهم عنهم حتى إن إحدى السيدات كانت تفتخر في حديثها بأن أبناء ابنتها تحبها أكثر من حبهم لأمهم وأبيهم وهذا خطأ فادح لأن سعادة الطفل وصحته النفسية لا تكتمل إلا بحياته بين أبيه وأمه ويشعوره أنهم أكثر خلق الله حباً له واعتناء به... إننا لا ننكر أبداً عن الجد والجدة حبهم لأحفادهم ولكن يجب ألا يتعدى ذلك الحدود المعقولة والمقبولة، فإن الجدة تدلل ولا تربي... ودور الأم والأب له أثره الكبير في حياة الطفل ذاك الأثر الذي لا يعوضه شيء... كما أنه من الخطأ انتقاد تصرفات الأم أو الأب أو عقابهم للطفل أمامه. فإن هذا يورث في نفسه الازدواجية والنسبية في تقدير الخطأ والذنب، فهو يرى أن ما تراه أمه خطأ وتعاقبه عليه وقد لا يراه الأب والجد كذلك أو العكس، إذن فالخطأ سيصبح في نظره نسبياً يتغير من شخص لآخر وهذا مبدأ غاية في الخطورة... فالطفل يجب أن يدرك أن الخطأ الذي يعاقب عليه هو فعل مذموم عند كل الناس ومكروه من وجهة نظر أي إنسان حتى لا يصاب بالتشويش والريبة في معتقداته ومبادئه التي يتلقاها داخل الأسرة إن أبناءنا يتعرضون في كل وقت للكثير من الضغوط والمؤثرات من الخارج، وهم في حاجة أن يكون البيت والأسرة قلعة حصينة تحميهم وتظلهم بالرعاية والأمن... لا أن يصبح البيت جبهة أخرى للصراع والمتناقضات... نعم إن هذا هو الواقع في بعض الأسر بين الأمهات والفتيات وبخاصة في سن المراهقة حيث تسيء بعض الأمهات فهم طبيعة تلك المرحلة وتتلاشى العلاقة بين الفتاة وأمها أو تصبح مجرد صراع وخلاف بين امرأة وامرأة... وكلمة أخيرة... ليعلم كل أب وكل أم أن الوصول بأبنائهم إلى بر الأمان والنجاة من مخاطر تلك المرحلة لن يكون إلا حصيلة ما غرسوه في أبنائهم منذ نعومة أظفارهم من تمسك بمبادئ الدين والفضيلة والخلق. إنهم أمانة في أعناقنا أمام الله و«كفى بالمرء ظالماً أن يضيع من يعول» يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله والداً أعان ولده على بره». ■

بقلم: عبدالرزاق زعال

هل ترتيب الطفل بين أخوته يحدد سلوكه ؟!

ترتيب الطفل بين أخوته يحدد سلوكه غالباً وقد لاحظت الأمهات هذه الحقيقة منذ زمن وأكدتها الدراسات الحديثة بعد أن أخضعت أطفال الأسرة الواحدة للملاحظة كما أكدت أن الطفل الأكبر غيور والأوسط هادئ والأصغر مدلل ولكنه مستقل، وقد أجرت هذه الدراسة جامعة كاليفورنيا على أطفال المدارس ودور الحضانة من أبناء الأسرة الواحدة، وأشارت الباحثة «جين روبرت» إلى أن ترتيب الطفل يحدد سلوكه غالباً وأن هذه السلوكيات قد تتحول إلى أمراض نفسية تؤثر على مستقبل الطفل إذا لم يدرك الآباء أن طريقة تعاملهم مع أطفالهم يجب أن تعتمد على العدل والمساواة وليس التفضيل أو تقديم الميزات لمجرد وصول الطفل متقدماً أو متأخراً.

والغيرة سلوك عام بين الأطفال الذين يجيئون في الترتيب المركز الأول فالطفل الأكبر يشعر أنه أصبح مهدداً بعد وصول الطفل الثاني وأنه فقد مكانه المميز الذي كان محاطاً بالعناية والرعاية من الأبوين ولأن الغيرة أحساس طبيعي يجب أن نتعامل معها بهدوء وصبر، وأن نتفهم مشكلة الطفل ونحاول التخفيف عنه بكل الطرق، هذا وتعتمد الغيرة على درجة الفارق العمري بين الأطفال، فإذا كان الفارق أقل من سنتين ستكون درجتها كبيرة جداً، لأنه لا يفهم معنى وجود طفل آخر في الأسرة وكلما زاد فارق العمر كلما قلت درجة الغيرة، حتى ان الطفل يتحول إلى أب لأخيه الأصغر، وكثيراً ما يتساءل الطفل عند وصول أخيه أو أخته، لماذا تريد أمي طفلاً آخر، هل أنا طفل سيئ، متى يختفي هذا القادم الذي تحمله أمي وترضعه، من هنا تبدو أهمية التمهيد لوصول طفل جديد قد يساعد الطفل الكبير، وعلى الأم أن تشركه في اختيار الملابس واللعب وأن تشركه بعد ذلك في العناية بأخيه على قدر الإمكان، وأن تحتضنه كثيراً وتؤكد له أنها سوف تستمر في حبه مع وجود شقيق له وأنه سيلعب معه عندما يكبر ويكون صديقاً دائماً له، كما لاحظت الدكتورة «جين»: إن الطفل الأوسط في يكون أكثر شكوى وتذمراً من أخوته فهو الطفل الذي ضاعت حقوقه بين إرضاء الأول ومداعبة وتدليل الأصغر فهو البين بين الذي وقف في منتصف الطريق، فلا هو في أوله ولا في آخره، فهو يعوض نفسه بنفسه، فيمارس الفنون ويعشقها ويضع لنفسه أهدافاً خاصة يسعى دائماً إلى تحقيقها، وهو أكثر هدوءاً ولا يحب التنافس الشديد، وتنصح الدكتورة الباحثة الآباء بعدم معاملة الطفل الأوسط بجفاء وعدم المقارنات بينه وبين أخيه الأكبر، فالمقارنة غير مجدية، بل ستأتي عكسية، والاعتراف بالفروق النفسية بين الأطفال وبخصوصية الطموحات والقدرات سوف تصل بنا إلى نتائج أفضل، وأوضحت الدراسة: أنه على الرغم من حصول الطفل الأصغر على أكبر قدر من التدليل إلا أنه أكثر الأطفال استقلالية، والسبب إدراكه المبكر أن اهتمامات الأسرة موجهة إلى أفراد عديدين وليس هو فقط، فيقرر أن يكون صاحب قراره، وتجبر الحياة العملية الطفل الأصغر على الاستقلالية لأنه إذا طلب المساعدة من أحد فعليه أن ينتظر كثيراً قبل أن يحصل عليها، وعادة ما يكون الطفل الأصغر عصبي المزاج لأنه يبذل جهداً كبيراً ليحصل على ما يريد وبخاصة إذا كان وسط عائلة كبيرة، ولذلك فهو أكثر احتمالاً للتوترات والضغوط في الحياة حين يكبر، وخلاصة الدراسة تقرر: أن تعامل الآباء مع الأطفال بعقل مفتوح يعترف بتفرد كل منهم في القدرات والملكات وإعطاء كل منهم حقه في الحب والاحترام والتفاهم، هذا الحل الذي يضبط إيقاع الحب الأسري. ■

بين الاقتصاد والسياسة

بقلم : د. زيد بن محمد الرماني

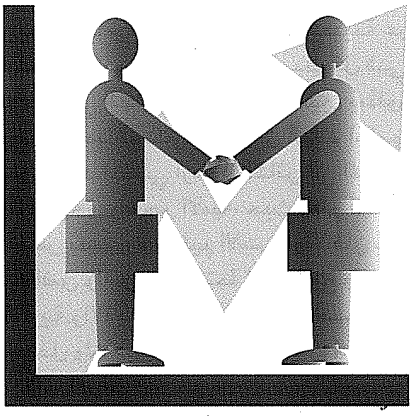

بين الاقتصاد والسياسة ترابط وثيق وتأثير مبتادل، والسياسة في جوهرها إدارة للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

من هنا، يجري استخدام السلاح الاقتصادي في العلاقات الدولية للتأثير على السياسة الخارجية والداخلية لدولة معينة.

وقد شهد الصراع السياسي بين معسكري الحرب الباردة الماضية استخداماً واسعاً للسلاح الاقتصادي في هذا الصراع.

قد يبدو لأول وهلة أنه هو الذي أدى إلى إسقاط الأنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق وغيره، لكنه، في جوهره ليس إلا عاملاً ثانوياً، وكان العامل الأهم في ذلك السقوط إنما يعود إلى الطبيعة الذاتية لتلك الأنظمة أكثر مما هو ناتج عن عامل خارجي.

هذا ما جعل بعض الاقتصاديين والمحللين يقول: إن السلاح الاقتصادي لم يؤد إلى نتائج مهمة على صعيد الواقع.

السلاح الاقتصادي في العلاقات الدولية يعني استخدام دولة للعلاقات الاقتصادية ومبادلاتها التجارية والمالية مع دولة أخرى للحصول على بعض التنازلات في مجال السياسة الداخلية أو الخارجية أو لأهداف معينة أخرى، ويعني ذلك إما معاقبة هذه الأخيرة بسبب عمل اعتبر غير مقبول، فيُحكى حينذاك عن «العصا الاقتصادية» أي عقوبة اقتصادية، وإما مكافأتها لتطوير يُعتبر إيجابياً، فيُحكى حينذاك عن «الجزرة» أي مكاسب تجارية أو مالية.

لقد استخدم السلاح الاقتصادي منذ أزمنة كوسيلة مرنة وسيطة بين الضغط بأسلوب الاحتجاجات الدبلوماسية أو الضغط بأسلوب العمل العسكري المشحون بالمخاطر دائماً.

إن السلاح الاقتصادي جزء مهم في صلب الدبلوماسية، لكنه يحمل سمعة سيئة كما لو أن اللجوء إليه يكون مرغماً، وبسبب غياب وسيلة دبلوماسية أكثر فعالية.

ومن أهم أشكال السلاح الاقتصادي ما يلي:

١ ـ الحظر، ويعني منع التصدير نحو البلد المستهدف.

٢ ـ المقاطعة، ويعني... منع الاستيراد من البلد المستهدف.

٣ ـ التمييز التعرفي، حيث تعرض على المستوردات الآتية من البلد المستهدف ضرائب أعلى مما على المستوردات من البلدان الأخرى.

٤ ـ سحب مبدأ الدولة الأكثر رعاية، حيث تتوقف معاملة المستوردات الآتية من البلد المستهد بشكل تساهلي كما في مستوردات البلدان الأخرى المستفيدة من هذا المبدأ.

٥ ـ التسجيل على اللائحة السوداء، حيث يتم وقف التعامل التجاري مع المؤسسات التي تتعامل تجارياً مع البلد المستهدف.

٦ ـ نظام الحصص، حيث يتم التقييد الكمي لبعض المستوردات أو الصادرات.

٧ ـ رفض الرخصة، حيث يرفض السماح باستيراد أو تصدير بعض المنتجات.

٨ ـ تجميد الممتلكات، حيث يتم وضع اليد على الممتلكات أو يمنع أي سحب للودائع المصرفية أو الممتلكات المالية الأخرى العائدة للبلد المستهدف.

٩ ـ وقف المساعدات، سواء بتخفيضها أو تعليقها بالنسبة للبلد المستهدف.

١٠ ـ المصادرة، حيث تتم مصادرة ممتلكات البلد المستهدف.

وتتمثل أهداف استخدام السلاح الاقتصادي ضد دولة ما فيما يلي:

أ ـ الحصول على تغيير محدود في سياسة البلد المستهدف.

ب ـ عدم استقرار حكومة البلد المستهدف.

ج ـ كسر مغامرة عسكرية ذات نطاق معين.

د ـ إضعاف الطاقة العسكرية للبلد المستهدف.

هـ ـ تحقيق تغيرات مهمة في سياسة البلد المستهدف.

أما شروط استخدام السلاح الاقتصادي فيمكن تحديدها في التالي:

١ ـ التباين في الأرباح الاقتصادية للشركاء، ومثال ذلك العقوبات الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي السابق.

٢ ـ إرادة ممارسة الربط، طالما أن البلد المعني يربط مبادلاته الاقتصادية مع بلد آخر في سياسة هذا الأخير.

٣ ـ القدرة على التنفيذ. بيد أن استخدام السلاح الاقتصادي قد يكتنفه بعض المخاطر من مثل: التقييمات الخاطئة المرتبطة باستخدام السلاح الاقتصادي، وكذا إعطاء الشأن السياسي الأولوية على الشأن التجاري.

جاء في كتاب «الصراع الاقتصادي في العلاقات الدولية» لمؤلفه ماري هيلن لابيه: هل السلاح الاقتصادي فعّال؟ وكانت الإجابة بالسلب، وقد تذرَّع المؤلف بأنَّ العقوبات نادراً ما بلغت أهدافها، وكان لها في معظم الأحيان تأثيراً مضادة للإنتاج.

وعلى الرغم من ذلك، فإن السلاح الاقتصادي سيستخدم أكثر فأكثر لمواجهة مخاطر الاضطراب العالمي الجديد، لأنه يبقى الخشبة الرئيسية غير القابلة للاستبدال في سُلم الإقناع بين الجذب الدبلوماسي والفعل العسكري. ■

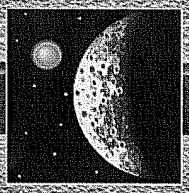

طفل يرفع عدد سكان الهند إلى مليار نسمة

طلعت الشمس على الهند بلاد التوابل والبهارات، المختلفة بمرور ٥٢ سنة على استقلالها عن بريطانيا يوم ١٩٩٩/٨/١٥م وهي مكتظة بمليار نسمة أو ما يزيد، بحيث يكون هناك هندي من بين كل ٦ أشخاص في العالم.

ولادة الطفل الرقم مليار، منتظرة في الهند منذ بدأ القيّمون على الإحصاءات فيها، عداً عكسياً لمقارنة الولادات بالوفيات ليستقر قرارهم على هذا اليوم بالذات ليكون موعداً للآتي كمكمل للمليار، مقدرين في الوقت نفسه أنه سيكون من طبقة البائسين الجائعين حتماً، فهم أكثر من ٧٠٠ مليون نسمة هناك، يقابلهم ٢٠٠ مليون متوسطو الحال و١٠٠ مليون ميسور، يجعلون من البلاد ثاني علبة سردين مكتظة بالبشر بعد الصين المحتوية أراضيها على أكثر من مليار و٢٧٠ مليون نسمة.

إلا أن الفرق كبير بين بلاد الدراجات وبلاد البهارات، فالصين أكبر منها بثلاث مرات، وفيها يبصر النور ٩ ملايين طفل في السنة تقريباً.

أما الهند فشيء آخر، لأنها تتزايد ١٦ مليوناً، بعد حسم الفرق بين الوفيات والولادات كل عام، أي أنها تستقبل ما يزيد على عدد سكان سورية سنوياً، أو لنقل اللبنانيين والأردنيين وسكان الإمارات والكويت وقطر والبحرين وليبيا وتونس دفعة واحدة، لذلك فهي تمضي لتستوعب مليارين من البشر بعد ٥٠ سنة على الأكثر، ولأربعة مليارات في نهاية القرن المقبل، في حين لن يزيد عدد الصينيين على ثلاثة مليارات، وفقاً لتقارير للأمم المتحدة يشرف على أعدادها اللبناني جوزف شامية منذ ٣٠ سنة.

والسيناريو المقبل على الهند لا يبشر بالخير الكثير، بحسب ما تشير إليه أرقام شامية عن مستقبلها، فبومباي التي يعيش فيها ١٨ مليون نسمة حالياً «ستكتظ بأكثر من ٣٠ مليوناً من البشر بعد ٢٥ سنة، وبنحو ٧٠ مليوناً في نهاية القرن المقبل» فإلى أين المفر؟

يقول شامية في أحد تقاريره الحديثة عن السكان الحاليين والمقبلين «حيث كل شيء نسبي في الهند، باعتبار أن الأميين يمثلون نصف عدد السكان هناك» إن البلاد أمامها حل واحد لتنهي أزمة التكاثر في الأنفس البشرية «هو محو الأمية، حيث تعلم الثقافة الناس بضرورة تنظيم الأسرة» وإلا فإن بلاد الطناقس والمهراجا، المنتجة للصواريخ والقنابل الذرية والأقمار الصناعية، ستتضخم من الداخل ولن يجد شعبها مخارج من الأزمة إلا أبواب المرافئ والمطارات والشعاب البرية، ليعبر منها إلى حيث يصبح العالم هندياً في السنوات الأخيرة من القرن الثاني والعشرين، لأن الهند تحتل ٢,٥ من مساحته الجغرافية فقط، وأرضها ستضيق بمن عليها وقد أصبحوا ١٢ ملياراً، يزيدون على نصف سكان الدنيا في ذلك الوقت، ولا مفر إلا بالانتشار وفقاً لعدد السكان «وهي نظرية العالم الجديد بعد قرنين بالتأكيد».

أول سفير أميركي مسلم يقسم على القرآن والإنجيل

أدى أول سفير أميركي مسلم يمثل بلاده في جزر صغيرة عدة جنوب المحيط الهادي، القسم الدستوري على القرآن والإنجيل، في أثناء مراسم تنصيبة التي أقيمت في وزارة الخارجية في واشنطن يوم ١٩٩٩/٨/١٧م.

والسفير الجديد يدعى عثمان صديق، وهو مولود في بنغلاديش وسيمثل الولايات المتحدة لدى جزر فيجي وناورو وتونغا وتوفالو، وهو رئيس مجلس إدارة شركة لسفر رجال الأعمال تدعى «اي تي تي ترافيلوغ» مقرها في واشنطن، وشغل مناصب عدة داخل المنظمات الإسلامية الأميركية.

وقال مساعد وزيرة الخارجية توماس بيكربينغ الذي رأس المراسم إن «السفير صديق هو كما تعلمون أول سفير يتحدر من جنوب آسيا وهو يجسد حقيقة الوعد الأميركي».

ويذكر أن ديانة السفراء المعتمدين تسجل منذ السبعينيات في وثائق وزارة الخارجية الأميركية.

إلغاء نظرية داروين من الامتحانات المدرسية بولاية كانساس الأميركية

أفاد مصدر في دائرة التربية والتعليم في ولاية كانساس الأميركية أن المجلس التربوي في الولاية قرر إلغاء أي إشارة إلى نظرية داروين حول نشوء الأجناس وتطورها من برامج الامتحانات المدرسية المقبلة في المدارس الرسمية.

وأعلنت الناطقة باسم الدائرة كاثي تولكيس لوكالة فرانس برس أن التصويت جرى بتأييد ستة أصوات مقابل أربعة.

ويشكل هذا القرار انتصاراً بالنسبة إلى اتباع نظرية الخلق الأصولية المسيحية التي ترتكز إلى تفسير حرفي للإنجيل في ما يتعلق بأصول الإنسان. ويشمل التعديل برامج الامتحانات في جميع الصفوف الابتدائية والثانوية، ولا يرد فيه أي ذكر لنظرية النشوء والتطور أو لأصل الكون.

من جهتها أعلنت رئيسة المجلس التربوي لولاية كانساس أن «الدوائر المحلية حرة في اختيارها لتطبيق هذه البرامج».

إلا أن معارضي هذا التعديل يخشون أن تلجأ المدارس في هذه الدوائر إلى اعتماد برامجها المدرسية بما يتوافق مع التوجيهات الجديدة للمجلس التربوي، كما أن المعلمين سيواجهون ضغوطاً لعدم تدريس نظرية النشوء والتطور إذا لم تعد إلزامية في الامتحانات.

وكان حاكم ولاية كانساس بيل غيريفز حذر المجلس التربوي من أي تعديل، معلناً أنه سيؤيد اقتراحاً لإلغاء المجلس.

الأمم المتحدة :
عشرة ملايين سوفييتي في عداد المفقودين بعد انهيار الاتحاد!!

قال تقرير جديد للأمم المتحدة في شأن أوروبا الشرقية إن الرجال الروس يموتون في منتصف العمر بمعدلات تدعو إلى القلق منذ انتهاء الشيوعية.

وقال برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة في تقرير نُشر أخيراً أن «سنوات التحول كانت قاتلة بمعنى الكلمة لعدد كبير من الناس»، وأدت عملية تحول الاقتصادات من الاشتراكية إلى الرأسمالية إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة والجريمة والانتحار مع انتهاء الرعاية الاجتماعية الحكومية للفرد من المهد إلى اللحد ولا سيما الرعاية الصحية الملائمة، وحذر التقرير المؤلف من ١٠٠ صفحة من أن اتساع رقعة الفقر وتزايد الهوة بين الأغنياء والفقراء في دول الكتلة السوفييتية السابقة يهدد الديموقراطية.

وعلى الرغم من تزايد العمر الافتراضي في بقية العالم فمازال العمر الافتراضي للإنسان كما هو أو نقص في معظم الدول الثلاث والعشرين التي شملها المسح في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق باستثناء جمهورية التشيك وأوزبكستان. ولكن معدلات المواليد تناقصت في كل هذه الدول منذ العام ١٩٨٠م.

وأفاض التقرير أن العمر الافتراضي للرجل الروسي بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٥م وهو أدنى معدل في المنطقة، ويتوقع أن يعيش الرجل الروسي المتوسط ٥٨ عاماً أي أقل عشر سنوات عن نظيره الصيني، وقال التقير إنه بالإضافة إلى روسيا كانت زيادة معدل الوفيات ملحوظة بشكل كبير في أوكرانيا ولاتفيا تليهما بلغاريا ورومانيا واستونيا وليتوانيا وروسيا البيضاء.

وفي تطور آخر كشف التقرير النقاب عن أن قرابة عشرة ملايين شخص أصبحوا في عداد المفقودين كنتيجة مباشرة لتداعيات المرحلة الانتقالية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وتفكك جمهورياته في أوائل عقد التسعينيات.

وأوردت وكالة أنباء «د.ب.أ» الألمانية فقرات من ذلك التقرير جاء فيها أن نحو ٥,٩ مليون من هؤلاء المفقودين من مواطني روسيا و ٢,٦ مليون من مواطني أوكرانيا والباقين من مختلف الجمهوريات السوفييتية السابقة.

علل التقرير أسباب تلك الظاهرة الخطيرة بعوامل معقدة ومتشابكة من بينها وقوع جرائم قتل وإقدام كثيرين على الانتحار وتدهور مستوى الرعاية الصحية بشكل عام وارتفاع نفقات المعيشة بشكل باهظ تجاوز حدود الدخل الاقتصادي وتنامي سلوك التدمير الذاتي لدى العديدين وهروب الآلاف إلى غير عودة.

وأشار التقرير إلى أنه قد تكون هناك مكاسب جوهرية نجمت عن استقلال جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق خصوصاً على صعيد الديموقراطية السياسية غير أن تلك المكاسب تبدو هشة ولا تكاد تكون محسوسة بالمقارنة بالآثار السلبية التي انعكست على التنمية البشرية في هذه الجمهوريات في ظل استفحال ظواهر الفقر والمرض والبطالة مع ازدياد الهوة بصورة مضطردة بين الأغنياء والفقراء الأمر الذي يعرض للخطر ما يمكن تسميته بـ«الأمن البشري» إن جاز التعبير.

وأوضح التقرير مدى الخسائر الفادحة الناجمة عن مسيرة دول الاتحاد السوفييتي السابق الرامية إلى التحول إلى اقتصاد السوق عقب عقود طويلة من سيطرة الحكومة المركزية حيث أصابت تلك المسيرات في مقتل دخول مختلف فئات المواطنين فارتفعت نسبة الذين كانوا يعيشون بمتوسط دخل يومي قيمته أربعة دولارات من ٤ في المئة العام ١٩٨٨م إلى ٣٢ في المئة العام ١٩٩٤م.

كذلك تضاعف عدد جرائم المخدرات في روسيا خمس مرات خلال الفترة من العام ١٩٩١م حتى العام ١٩٩٦م فضلاً عن عودة انتشار أمراض كثيرة مثل الانيميا وشلل الأطفال والدرن نتيجة لتوقف برامج التحصين فيما أصبحت تجارة السوق السوداء تشكل المصدر الوحيد لدخل الكثير من المواطنين وتمثل نسبة ٢٥ في المئة من إجمالي الناتج الوطني في روسيا.

الفقر والحروب يعوقان القضاء على شلل الأطفال

قال صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «يونيسيف» في تقرير نشره أنه على الرغم من قطع خطوات كبيرة في طريق القضاء على مرض شلل الأطفال، فإن الحروب والفقر يعوقان تحقيق النجاح النهائي بحلول العام ٢٠٠٠م.

وقالت كارول بيلامي مديرة الصندوق في معرض تقديمها التقرير السنوي الجديد للصندوق: «نحن على وشك أن نُودع سلة التاريخ مرض شلل الأطفال الذي طالما روع المجتمعات ودمر حياة نفوس بلا حصر»، لكنها أضافت أن «الصراعات تهدد حملة مكافحة شلل الأطفال، ونحن نقترب من خط النهاية».

ويقول تقرير «تقدم الأمم في ١٩٩٩م» أنه على الرغم من ذلك انخفض عدد حالات الإصابة بالمرض بنسبة ٨٦ في المئة منذ أن بدأت منظمة الصحة العالمية حملات التطعيم في ١٩٨٨م، والتي بدأت تحذو حذوها الآن «اليونيسيف» ومنظمات أخرى.

هدم ضريح زعيم الحزب الشيوعي البلغاري

هُدِمَ أخيراً الضريح الذي يضم الجثمان المحنط للزعيم الشيوعي جورجي ديميتروف يوم١٩٩٩/٩/٢٧م في صوفيا بعد عدد من المحاولات الفاشلة لإنقاذه.

وكان المبنى الذي شُيِّد في العام ١٩٤٩م على غرار ضريح لينين في موسكو قاوم لمدة أسبوع محاولات الهدم المتعددة التي قامت بها الحكومة.

وقد انحنى حتى بات أشبه ببرج «بيزا» عقب محاولة أولى لهدمه بالمتفجرات تلتها سلسلة من محاولات التفجير والهدم بوساطة الجرارات استمرت ليل نهار طيلة أسبوع. وتتألف جدران الضريح التي بلغت سماكتها ١,٣٠ متر من القرميد ومن طبقتين من الإسمنت المسلح المغطى بالرصاص.

وأعلنت وزارة الإعمار البلغارية أن المبنى كان يمكن أن يستخدم ملجأ في حال حدوث انفجار نووي وبعد عملية تفجير أخيرة، لم تبق من الضريح سوى أكوام من الحجارة انهمكت الجرارات في إزالتها.

تضاعف معدلات الجريمة في اليابان

حذرت دراسة يابانية من تضاعف معدلات الجريمة في المجتمع الياباني بصورة غير مسبوقة في أعقاب تزايد نسبة البطالة بين اليابانيين. كشفت الدراسة عن ارتفاع نسب الجرائم بنحو ٥,٤ في المئة خلال الأشهر الستة الأولى من هذا العام. ويقول علماء الاجتماع وخبراء الجريمة إنه في حال استمرار معدلات الجريمة في ارتفاعها فإنها ستفوق المعدلات المسجلة العام الماضي «نحو مليوني جريمة». وتشير البيانات إلى ارتفاع جرائم العنف والتعدي بالضرب بنحو خمس عشرة في المئة في الوقت الذي شهدت فيه جرائم التعدي على الممتلكات الخاصة زيادة تراوحت نسبتها بين عشرة في المائة إلى خمس وعشرين في المئة. أظهرت الدراسة أن جرائم القتل كانت الوحيدة التي تراجعت نسبتها بنحو ٥,٤ في المئة وانخفضت نسبة الجرائم المرتكبة من قِبَل الأجانب بنحو ٨,٤ في المئة لتشكل نحو واحد في المئة فقط من إجمالي الجرائم المرتكبة في اليابان.

السعودية تحظر التدخين على رحلاتها الدولية

قررت الخطوط السعودية حظر التدخين على رحلاتها الداخلية والدولية في كل القطاعات وسيتم تطبيق الحظر فيها على ثلاث مراحل.

ويبدأ تنفيذ المرحلة الأولى منها، وفقاً لحمود الجديبي مساعد المدير العام لخدمات العملاء في الخطوط السعودية، اعتباراً من الأول من شهر سبتمبر الماضي، وذلك بمنع التدخين على رحلات السعودية المتجهة من السعودية إلى دول مجلس التعاون الخليجي، وتليها المرحلة الثانية في بداية شهر ديسمبر المقبل على رحلات السعودية المتجهة من السعودية إلى مناطق الشرق الأوسط وأفريقيا والتي تشمل دمشق وصنعاء وبيروت وعمان والقاهرة والخرطوم وأسمرة وأديس أبابا، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فسيتم حظر التدخين الجزئي فيها على رحلات السعودية إلى كل من نيويورك وبانكوك وسنغافورة ومانيلا وكوالالمبور وجاكرتا وواشنطن وكراتشي ولاهور وإسلام أباد ودلهي وبومباي ومدراس ودكا وكولمبو والدار البيضاء وداكار ونيروبي ولندن وباريس وجنيف وفرانكفورت واسطنبول وجوهانسبورغ وروما وذلك اعتباراً من بداية شهر يونيو من العام ٢٠٠٠ والتي ستخفض فيها مقاعد المدخنين بنسبة ٢٥ في المئة من مجموع المقاعد على رحلات السعودية إلى تلك المحطات.

السعودية تنشئ أحد أطول الجسور المعلقة في العالم

بدا عمال آسيويون منهمكين في إنهاء المراحل النهائية من تنفيذ أسوار قمة أحد أبراج جسر وادي لبن المعلق غرب العاصمة السعودية الرياض غير آبهين بحرارة شمس الصيف الحارقة. ورغم أن العمل كان يتم ظهراً وفي يوم يقع ضمن أشد الشهور حرارة في المنطقة، إلا أن موقع العمل كان يتعرض لتيارات باردة بسبب ارتفاعه عن قاع الوادي بما يزيد عن ١٨٠ متراً، ويصف وكيل وزارة المواصلات السعودية للطرق المهندس عبدالله بن عبدالرحمن المقبل، الجسر بأنه يعتبر أحد الجسور المعلقة الفريدة في العالم من حيث طوله وارتفاعه وشكل المقاطع الخرسانية فيه. وقال المقبل: إن الجسر يتميز باستخدام كوابل التعليق من المنتصف لمواجهة طبيعة الوادي واتساع عرضه وعمقه الذي يصل إلى ٨٠ متراً. ويبلغ الطول الإجمالي لكوابل التعليق ٣٢ كيلو متراً في حين يتراوح قطر كوابل التعليق الخارجي بين ١٤٠ إلى ٢٢٥ملليمتراً متر وتظهر للناظر باللون الأبيض على هيئة شعاع الشمس. وتتكون كوابل التعليق الحاملة للجسر المعلق كما يقول المقبل من ثلاثة أجزاء رئيسة تعمل بمجموعها على حمل وحدات الجسر المسبقة الصب بمعدل وحدتين لكل كيبل. وبيَّن المهندس المقبل أن تصميم الجسر روعي فيه الحفاظ على طبيعة الوادي وعدم إعاقة حركة النمو فيه ومستوى خدماته. وأضاف أن طول الجسر الإجمالي يبلغ ٧٦٣ متراً وعرضه ٣٥ متراً أما الركائز الوسطية فتتكون من عمودين بارتفاع ٧٢ متراً للعمود و ٨٠ متراً للعمود الجنوبي بالإضافة إلى برجين هما استمرار لجسم الأعمدة يرتفعان إلى مسافة ٩٠ متراً.

الديون الخارجية للقارة الأفريقية ارتفعت بنسبة ١١ في المئة العام الماضي

قال تقرير اقتصادي إن الديون الخارجية على دول القارة الأفريقية تعد أكبر المعوقات التي تواجه عملية التنمية الاقتصادية في القارة، إذ ارتفعت بنهاية العام الماضي بنسبة ١١ في المئة إلى ٢٣٣,٥ بليون دولار من ٢١٠,٥ بليون في العام السابق، وتمثل هذه الديون نحو ١٨,٥ في المئة من إجمالي صادراتها.

. وأوضح التقرير السنوي الصادر عن «المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا»، الذي يتخذ من الخرطوم مقراً له، إن إجمالي خدمة الديون الخارجية للقارة ارتفعت أيضاً إلى ٢٥,٧ بليون دولار بنهاية العام ١٩٩٨م من ٢١ بليوناً العام ١٩٩٧م.

وأشار التقرير إلى أن بعض الدول الأفريقية التي تنفذ برامج إصلاح اقتصادي، تشمل سياسات التحرير الاقتصادي وحرية التجارة، حققت معدلات نمو اقتصادي بلغ متوسطها نحو ٣,٦ في المئة مقابل ٣,٢ في المئة خلال الفترة قبل المقارنة.

وذكر التقرير أنه على الرغم من الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الصعبة التي يعيشها بعض دول القارة نتيجة انفجار بؤر الصراع والتأثر بالتقلبات والأوضاع الاقتصادية العالمية، إلا أن معدلات التضخم تحسنت على نحو ملموس إذ تراجعت بنهاية العام الماضي إلى نحو ٨,٥ في المئة من ١١ في المئة العام ١٩٩٧م.

وفي مجال التجارة الخارجية أشار التقرير إلى هبوط معدل نمو الصادرات والواردات العام الماضي بنسبة ٠,٦٪ و ٢,٨ في المئة على التوالي، مقابل أربعة في المئة و ٨,٧ في المئة في العام الذي سبقه.

وقال التقرير: إن المصرف يواصل مسيرته في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية

للدول الأفريقية المستفيدة من عملياته وفقاً للخطة الخمسية الثالثة (١٩٩٥م - ١٩٩٩م) التي أعطت الأولية القصوى للقطاع الزراعي والبنية التحتية لأثرها المباشر في تحقيق التنمية الدائمة.

وأضاف أن حجم التعهدات لعام ١٩٩٨م بلغ ١١٠ ملايين دولار منها ١٠٥ ملايين للمشاريع، وخمسة ملايين دولار للعون الفني، وذلك بزيادة قدرها ١٠ ملايين دولار على حجم التعهدات العام ١٩٩٧م.

وأشار التقرير إلى أن المصرف خصص نحو ١٠٤,٩٥ مليون دولار العام ١٩٩٨م للإسهام في تمويل ١٤ مشروعاً وقرض ائتماني واحد ومبلغ ٤,٩٩ مليون دولار تمثل ٩٩ في المئة من المخطط السنوي للإسهام في تمويل ٢٠ عملية للعون الفني.

وأضاف أنه تم خلال العام الماضي التوقيع على ١٤ اتفاق قرض وبلغ مجموع هذه القروض ١٠٧,٧٢ مليون دولار، مشيراً إلى أن المصرف يمنح تمويلاته بشروط تفضيلية وميسرة، إذ بلغ متوسط الفائدة نحو ٣,١٠ في المئة العام ١٩٩٨م مقابل ٣,٠٥ العام ١٩٩٧م، أما فترة السداد فارتفع متوسطها المرجح من ١٧ إلى ١٨ سنة العام ١٩٩٨م.

وذكر أن عنصر المنحة الذي يستخدم كمقياس لمدى يسر القروض التي تم التصديق عليها بلغ العام الماضي نحو ٤٢,٧ في المئة مقابل ٤٣,٧٥ في المئة العام ١٩٩٧م، ما يدل على استمرار يسر شروط المصرف الإقراضية ومراعاتها للظروف الاقتصادية التي تجتازها الدول المستفيدة من مساعداته.

وعن تمويل التجارة العربية الأفريقية ذكر التقرير أن المصرف قرر تخصيص ٥٠ مليون دولار قابلة للزيادة إلى مئة مليون لتمويل الصادرات العربية إلى البلاد الأفريقية، واتفق مع «البنك الإسلامي للتنمية» لإدارة المبلغ نيابة عن المصرف وبدأت أول عملية تمويل صادرات بمبلغ ٣,٤ مليون دولار في أكتوبر الماضي.

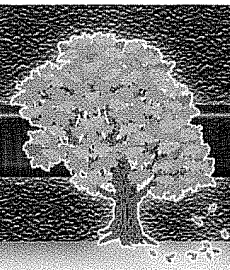

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال تعالى :

(من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والأخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ. وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد)

الحج : ١٥ ـ ١٦

من هدي رسول الله ﷺ

روى الطبراني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

ما من عبد ولا أمة إلا وله ثلاثة أخلاء: فخليل يقول: أنا معك فخذ ما شئت ودع ما شئت فذلك ما له. وخليل يقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك تركتك فذلك خدمه وأهله. وخليل يقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عمله.

من صفات اللسان

قال النحاس: الحُكلة في اللسان والغتمة والبهمة والعجمة واحد، والطمطمانيُّ الذي لا يفصح، الفَدْم الثقيل اللسان. والأرتُّ: الذي لا تكاد كلمته تخرج من فيه. والتمتام: الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك. والألف: الثقيل اللسان، والفأفاء: أن يسبق الرجل كلمته إلى شفتيه فيردها بشفتيه مراراً لا يفصح، ورجل لسن فصيح وملسون كذاب.

غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي

من الأسماء العربية

بسام: كثير الابتسام.

بسطام: اسم فارس مشهور في الجاهلية.

بسيل: عابس من الغضب أو الشجاعة فهو بسل وباسل وبسول.

بشار: مفرح بالبشرى واسم أشهر المولدين «بشار بن برد».

بشارة: حسن وجمال.

بشارة: خبر مفرح.

بُشامة: واحدة البشام وهي شجر عطر الرائحة يستاك بعيدانه.

أربعة يزيلها أربعة

قال علي رضي الله عنه :

أربعة جواهر في جسم بني آدم يزيلها أربعة أشياء.

أما الجواهر: فالعقل والدين والحياء والعمل الصالح:

فالغضب يزيل العقل

والحسد يزيل الدين

والطمع يزيل الحياء

والغيبة تزيل العمل الصالح.

عجبت من ثلاثة

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاثة!

رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله، ويترك أن يعمل لله،

ورجل يبخل بماله، وربه يستقرضه منه، فلا يقرضه منه شيئاً،

ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته.

اتباع سبيل الحق

يأيها الآباء اجهدوا جهدكم أن تربوا أولادكم على اتباع سبيل الحق، فإن لم تفعلوا ذلك، فلا تحملوهم على سبيل الضلالة والغي، وأعينوهم فيما التمسوه لأنفسهم من سبيل الوصول إلى مرضاة الله برضاكم عنهم، أو بسكوتكم عليهم على أقل تقدير.

أمثال عالمية

العنزة الجرباء تعدي القطيع بكامله

«مثل إيراني».

جيفة واحدة تجمع الغربان

«مثل ألماني».

حمصة في حرية خير من وليمة في عبودية.

«مثل إنكليزي».

كيف تتولد الثقة ؟

قيل لنابليون: كيف استطعت أن تولد الثقة في جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث: من قال: لا أقدر قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف، قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل قلت له: جرب.

منزلة البنات

دخل عمرو بن العاص ذات يوم على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكانت عنده ابنته عائشة فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال معاوية: هذه ابنتي عائشة... إنها تفاحة القلب. فقال عمرو: انبذها عنك يا أمير المؤمنين، قال معاوية: ولم يا عمرو؟ فقال: إن البنات يلدن الأعداء، ويقربن البعداء ويورثن الضغائن، فقال معاوية: لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرَّض المرضى، ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهن، وإنك لواجد خالاً قد نفعه بنو أخته، فقال عمرو: ما أعلم إلا أنك حببتهن إليَّ يا أمير المؤمنين.

أحاجيه حكيمة

قال رجل لإياس بن معاوية :

يا أبا وائلة: حتى متى يبقى الناس؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال لجلسائه: أجيبوه، فلم يكن عندهم جواب، فقال إياس: حتى تتكامل العدتان: عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار.

وقال أبو العلاء المعري:

ولما صار ودّ الناس خبا

جزيت على ابتسام بابتسام

وصرت أشك في مَنْ أصطفيه

لعلمي أنه بعض الأنامِ

حكم

- لا تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية.
- ما عقل دينه من لم يحفظ لسان.
- العفة مع الفقر خير من الغنى مع الفجور.
- لكل شيء طريق وطريق السعادة الاستقامة.
- طريقان للنجاح: صدق دائم وعمل دائب.
- لا تستحي من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه.
- المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.
- العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة.
- حُبّان لا يجتمعان: حب الله وحب المعاصي، والجهاد وحب الحياة، حب التضحية وحب الراحة.

مواعظ

من قل اعتباره قلَّ استظهاره، ومن لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره، وقال حكيم: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ به غيره، وقيل: يا لها من موعظة لو وافقت في القلوب حياة.

طلعم الذل

قال صالح بن حسان: دخلت على عمر ابن عبدالعزيز فسمعته يقول: لا يتقي الله عبد يجد طعم الذل.

قم واجلس مع الخصم

دخل أشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس القضاء، فقال شريح: مرحباً وأهلاً بشيخنا وأجلسه معه، فدخل رجل يتظلم من أشعث، وفقال شريح لأشعث: قم فاجلس مع خصمك. قال: أكلمه من مكاني فقال شريح: لتقومن أو لآمرن من يقيمك.

إنصاف المظلوم

خرج بريد عمر بن عبدالعزيز من مصر ومعه كتاب من فرثونه السوداء مولاة ذي أصبح تذكر فيه أن لها حائطاً قصيراً وأنه يقتحم عليها منه فيسرق دجاجها فكتب إلى ابن شرحبيل عامله على مصر: إذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنها، ففعل.

بم سدت قومك ؟

قال معاوية لعرابة: بم سدت قومك؟

قال: كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

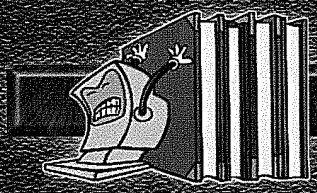

إعداد : محمد هاني

التربية وحقوق الإنسان

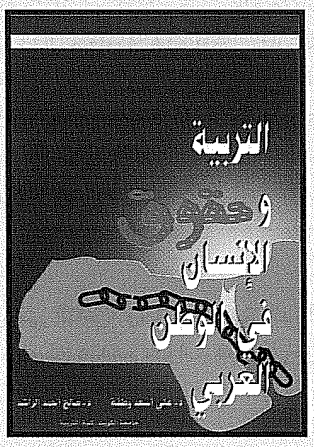

إيماناً بأهمية الوعي التاريخي بحقوق الإنسان حيث يتم التسامح في عالم يضج بالويلات والكوارث التاريخية الناجمة عن قيم التعصب والعنف والعدوان أولت السلطات التربوية والثقافية في دولة الكويت حقوق الإنسان أهمية خاصة، وأوعزت إلى تدريسها في المناهج المدرسية والجامعية وتأصيلها في وعي الطلبة والناشئين، وانطلاقاً من هذا التوجه للسياسة التربوية في الكويت جاء كتاب «التربية وحقوق الإنسان» لمؤلفيه د.علي أسعد وطفه، ود.صالح أحمد الراشد محاولة علمية لترشيح هذا النهج وبناء مدخل علمي وتربوي لحقوق الإنسان وقيم الحق والتسامح، وإلى تشكيل وعي تربوي حقوقي يمكّن الطلبة في الجامعة وفي المؤسسات التربوية المختلفة من التفاعل الوجداني مع حقوق الإنسان تاريخاً ونشأة وتطوراً في سياقها التراثي الإسلامي النبيل، والكتاب في مجمله يقدم رؤية تاريخية في المفهوم ،ورؤية تاريخية في الممارسة، حيث يوضح كيف نشأت فكرة حقوق الإنسان؟ وكيف تطورت؟ ومن ثم كيف أخذت أبعادها ومراميها في حياة الشرق والغرب وفي مختلف الاتجاهات والتيارات؟ كما عرج الكتاب على طبيعة الممارسة التاريخية لهذه الحقوق في التاريخ الإسلامي ووضعيتها في الحياة العربية المعاصرة ومن خلال فصول الكتاب السبعة، قدم المؤلفان لمحة تاريخية حول تطور حقوق الإنسان وشرحا مفهومي الإنسان وحقوق الإنسان، وتعرضا لحقوق الإنسان وقيم التسامح في الإسلام ومنها حق الحياة وحق المساواة وحرية الاعتقاد والتسامح الديني وحق العدل وحرية الرأي وحرمة البيت وحق اللجوء السياسي وعرجا بعدها على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، وانتقلا بعدها للحديث عن الأنظمة العربية وموقفها إزاء حقوق الإنسان وما المنطلقات التربوية لتأصيل قيم التسامح وحقوق الإنسان في الوطن العربي.

الكتاب يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط. قامت بنشره وتوزيعه مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع في دولة الكويت - حولي - هاتف ٢٦٤١٩٨٥ - فاكس ٢٦٤٧٧٨٤

الإسلام في أميركا

أكد كتاب أميركي جديد أن الدين الإسلامي يواصل الانتشار والتغلغل في المجتمع الأميركي بعد أن وصل عدد أتباعه إلى ستة ملايين شخص في أنحاء الولايات المتحدة.

ويستعرض كتاب «الإسلام في أميركا» لمؤلفته جين سميث تاريخ انتشار الدين الإسلامي في الولايات المتحدة.

ويغطي الكتاب قواعد السلوك في ظل الإسلام والتحديات التي يواجهها المسلمون المتدينون في ظل الثقافة الأميركية التي تمجد النزعة الفردية والاستهلاكية.

وتستعرض المؤلفة وهي أستاذة للدراسات الإسلامية في كلية هارتفورد في ولاية كونيكتيكت الأميركية كيف أن المسلمين انتشروا في أنحاء الولايات المتحدة، حيث يوجد حالياً مسجد واحد على الأقل في معظم المدن الأميركية المتوسطة الحجم وتوظف وزارة الدفاع الأميركية أئمة للشؤون الإسلامية في مراكز التجمع العسكري الكبرى بينما يحرص البيت الأبيض على إصدار تهنئة سنوية للمسلمين الأميركيين في عيد الفطر.

ويوجد حالياً نحو ستة ملايين مسلم في أنحاء الولايات المتحدة معظمهم من نسل المهاجرين من الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وإن كان قسم لا يستهان به ممن اعتنقوا الإسلام من المواطنين الأميركيين.

موسوعة علمية مصرية باللغة الإنكليزية

صدر في القاهرة عن المركز القومي للبحوث «موسوعة باللغة الإنكليزية» تتناول أبرز العلماء الباحثين العاملين بالمركز في مختلف التخصصات العلمية بهدف توثيق الحياة العلمية في مصر وأبرز الكوادر البشرية التي تكون قاعدة علمية عريضة في مختلف المجالات، وتتخصص الموسوعة التي تقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة في السيرة الذاتية للعلماء وإنجازاتهم العلمية المنشورة والموثقة عالمياً ومحلياً بالإضافة إلى التعريف بـ٤٧٠ عالماً من أبرز الأساتذة الباحثين بالمركز، ويذكر أن المجالات العلمية التي يخدمها المركز تتناول الصناعات الكيمياوية والفارماكولوجية، والنسيج، والزراعة والأحياء والهندسة والطب والبيئة، والكيمياء العضوية، وغير العضوية، والعلوم الأساسية والفيزياء والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية.

الإعلان من منظور إسلامي

في سلسلة الكتب التي تصدر عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الحادي والسبعين تحت عنوان «الإعلان من منظور إسلامي» للدكتور أحمد عيساوي وهذا الكتاب يشكل إحدى المحاولات الأكاديمية لاقتحام موقع من أخطر المواقع وأكثرها تقدماً، حيث يكاد يكون الإعلان هو الأفق الثقافي الأكثر تأثيراً للقرون المقبلة، وهو إحدى القوى المرنة المتحكمة في قيادة الحضارة وتحويل مسارها إلى حيث يريد... وقد تكون الإشكالية الكبيرة في الإعلان اليوم هي في انفلاته من جميع الضوابط والقيم الأخلاقية، واستباحته لكل شيء يمكّن من الترويج والإثارة والإغراء بالاستهلاك، وكشف المستور، والعبث بالعورات، واعتبار ذلك من مستلزمات الفن وأسباب النجاح وتوظيف جسد المرأة الذي بات يعتبر المحور الرئيس للإعلان.

فالخطورة اليوم تكمن في فلسفة الحضارة الغربية، التي تتركز حول إشباع الغرائز والشهوات والفصل بين الأخلاق والجمال، وتعيش لحظتها الآنية بعيداً عن أي نظر في العواقب والمآلات، تحت شعار: «اليوم خمر وغداً أمر».

في هذه اللحظة الحضارية، يأتي دور الحضارة الإسلامية بضوابطها وأخلاقياتها كمنقذ حضاري.. وتتأكد أهمية مثل هذه الدراسة في أنها تشكل خطورة على الطريق الحضاري والثقافي الطويل.

الأطفال والإدمان التلفازي

في سلسلة كتاب عالم المعرفة العدد ٢٤٧ الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت صدر كتاب «الأطفال والإدمان التلفازي» وتنبع أهمية هذا الكتاب من عوامل متعددة، في طليعتها طبيعة الموضوع المطروح وكيفية معالجته، كونه قد عولج من قبل اختصاصية في مجال الكتابة عن الأطفال والأسرة، فالمؤلفة ماري وين، قدمت للآباء والأطفال اثني عشر كتاباً، وتكتب بانتظام في مجلة «ذي نيويورك تايم ماغازين»، وهي أم لطفلين، ولدى أسرتها جهاز تلفازي واحد يستعمل في المناسبات الخاصة فقط.

هذا السرد عن المؤلفة يعطي صورة أشمل وأوضح عن التلفاز، الذي مازال يواصل ضغوطه السلبية على الأسرة الأميركية، فاللافت في كتاب ماري وين، هو أن هناك شرائح واسعة في المجتمع الأميركي تبدي امتعاضها من هذا الجهاز، وتعتبره مشكلة كبيرة، والمؤلفة تتابع ذلك بمنهجية لا تخلو من المسحة التجريبية، إلى جانب المعطيات الحيوية والأبحاث الميدانية المستخدمة والتي أعطت لكتابها دفقاً وتنوعاً ومنطقية فيما طرحته في مجال الأطفال والإدمان التلفازي.

فالكتاب بأقسامه الأربعة يعطي نتيجة واحدة، وهي توجّه الطفل في المنحى التدميري لمجتمع كامل، هو مجتمع الأطفال، ومن الواضح كما تشرح المؤلفة أن برامج التلفاز الأميركي عنيفة أكثر مما ينبغي، ومفرّغة وضحلة المضامين، حتى بالنسبة لبرنامج من نوع «شارع السمسم» المعد للأطفال خصيصاً، بسبب إساءته لهم، لأنه موضوع بلغة غير لغة الأطفال، والمؤلم أن الأهل يطلقون لأطفالهم العنان في مشاهدة برامج تسيء في الواقع إلى نشأة الطفل ونموه بشكل طبيعي، وصولاً إلى الهبوط الشامل في المواد المدرسية، وكأن ماري وين قد كتبت عن أطفال العالم كلهم، وليس عن أطفال أميركا فقط، لأن الأطفال بشكل عام يشتركون بهذا الإدمان التلفازي، وإن كان بشكل نسبي ومن هنا والكلام لماري وين فإن العلماء والباحثين قد وجدوا في التلفاز دماراً للأسرة، بعدما لعب - ومازال يلعب - دوراً مركزياً في تفكك الأسرة الأميركية، من خلال قبضته الشديدة على العلاقات الأسروية، بحيث يتم انسحاب الأبوين من القيام بدور فاعل في تربية أطفالهم الذين يمضون وقتهم أمام التلفاز، وكذلك أزاح التلفاز المناسبات الأسروية الحلوة، بل ساعد أيضاً على تفكك علاقات الجوار الاجتماعية، فهذه الظواهر تسهل وتمهد لضرب المجتمع من الداخل، وغير ذلك والكلام لماري وين، فالجلوس الطويل أمام التلفاز يؤثر في القشرة الدماغية، ويجعلها بليدة، وهذا يؤثر في النمو العقلي والجسدي للطفل، وبما أن التلفاز قد أصبح جزءاً مهماً لابد منه في حياة الطفل، فعلى الآباء تبقى النتيجة أولاً وأخيراً، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية أطفالهم، وهنا يمكن القول إن الوسط الاجتماعي يلعب دوراً كبيراً في بناء الطفل وفي إعداده، وحتى في تخليصه من هذا الإدمان المخدر الذي بات سمة هذا العصر المريض.

لقمان محمود

أخبار ثقافية

● أعلنت دائرة الثقافة والإعلام لحكومة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة عن المسابقة الثالثة ١٩٩٩م - ٢٠٠٠م لجائزة الشارقة للإصدار الأول وهي جائزة تخص المخطوطات المعدة للإصدار الأول للكاتب أو الكاتبة ولم يسبق نشرها في المجالات التالية: القصة القصيرة «مجموعة»، الشعر الفصيح «مجموعة»، الرواية، المسرحية، أدب الأطفال «مسرحية الطفل»، النقد وتخصص هذه الدورة لجماليات الشعر.

● تجرى الاستعدادات حالياً لعقد المؤتمر الأول لجمعية علماء الاجتماعيات في بريطانيا في الفترة بين ٣٠ - ٣١ أكتوبر ١٩٩٩م وقد تقرر عقد المؤتمر في قاعة «هونك كونك» في كليمنت هاوس التابع لمعهد العلوم الاقتصادية والسياسية في جامعة لندن.

● أعلن د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري أنه تقرر تشكيل لجنة من الخريجين الأندونيسيين وطلاب الدراسات العليا الذين تلقوا تعليمهم في مصر لترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأندونيسية من واقع المنتخب في تفسير معاني القرآن الكريم.

● أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» ملفاً تعليمياً متكاملاً حول التراث العالمي تحت عنوان «التراث العالمي بين الأيدي الشابة بعرضه على المعلمين في بعض المدارس المنتسبة لليونسكو لتجربته، وإعطاء الملاحظات بشأنها تمهيداً لإقرار الملف بشكل نهائي وتضمينه.

لماذا يُقتل العلماء العرب ؟!

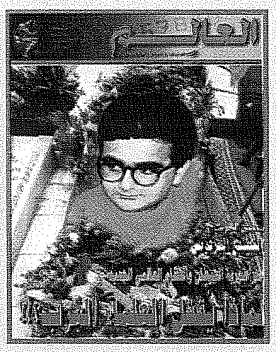

صدر حديثاً العدد الثامن من مجلة «العالِم» التي تُعنى بفكر العلماء وعلماء الفكر في وطننا العربي حافلاً بالكثير من القضايا والحوارات الصريحة والمثيرة فكرياً وعلمياً المطروحة على الساحة العربية.

في هذا العدد يأخذنا البروفيسور محمد بن حمود الطريقي - رئيس التحرير - في افتتاحيته تحت عنوان «النهضة بين الفكر الاستراتيجي والفكر الديماغوجي!!» ومن خلال تحليلاته الجريئة التي تمس كبد الحقيق مشخصاً الواقع العربي قائلاً: لقد تحول الجزء الأكبر من بلادنا إلى بلاد محروقة وتحول الجزء الأكبر من شعوبنا إلى شعوب حائرة مضطهدة... متسائلاً، كيف سينظم المضطهد فكره نحو المستقبل؟ ثم يوضح أكثر فيقول نحن مقبلون على القرن الحادي والعشرين دون سلاح، دون مشروع موحد، دون نظرة وفكر استراتيجيتين ودون خطط مستقبلية، ويشير الدكتور الطريقي قائلاً: إن أمل النهضة يبدأ في بناء الإنسان العربي من فكره المنظم ورسائله الاستراتيجية ومن كرامته وقدراته وإبداعاته وتعاونه مع واقعه السياسي والكوني... لهذا الأمر يؤكد أننا اليوم مدعون بشدة إلى فكر يحدد لنا ما نريد واستراتيجية تحدد لنا كيف نحقق ما نريد.

في العدد تقرأ عن الفكر والنهج والأطاريح المتعمقة للفيلسوف العالمي المسلم رجاء غارودي ولا سيما أنه يعاني مثلنا من الكيد المادي - الصهيوني الذي أصبح يسيطر على العالم شئنا أم أبينا من خلال باب «رحلة الفكر» بعنوان «امبراطورية الشر».

وشمل ملف العدد الذي تناول التطبيع مع إسرائيل حواراً صريحاً أجراه مدير التحرير مع شفيق الحوت العضو الدائم في الوفد الفلسطيني المراقب في الأمم المتحدة الذي استقال بسبب مواقفه الرافضة للاتفاقات والمفاوضات مع إسرائيل، وحواراً مع الدكتور محمد الحسن عميد كلية العلوم - جامعة الملك سعود - عن حقيقة السلاح الجرثومي في إسرائيل بجانب الكثير من المقالات والتحقيقات الجادة عن التطبيع ما له وما عليه.

كما طرح العدد السؤال المحير: لماذا يُقتل العلماء العرب؟! الذي مازالت مجلة «العالِم» تبحث له عن إجابة حتى الآن لمناسبة رحيل العالِم اللبناني الدكتور علي أسعد أستاذ فيزياء المفاعلات النووية الذي توفي أخيراً في باريس في ظروف غامضة لم يُعرف سبب الوفاة حتى الآن. كذلك تقرأ الكثير من الموضوعات الفكرية والعلمية المتنوعة الهادفة، فهناك المراقب الثقافي الذي يتناول الكثير من القضايا الساخنة والمنبر الحر الذي خُصص لآراء قراء المجلة.

مجلة «العالِم» شهرية تصدر موقتاً كل شهرين عن المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية «دار الاستشارات الطبية والتأهيلية في الرياض».

نحن والآخر

«نحن والآخر» كتاب صدر حديثاً للدكتور عاصم حمدان علي حمدان يذكر في مقدم الكتاب: تمثل العلاقة مع الآخر إشكالية متجددة في الواقع الفكري العربي، فهناك فريق يتماهى مع ذلك الآخر، ويتبعه حذو النعل بالنعل، ولا يرى سبيلاً للرقي والنهضة إلا بالسير على الدرب نفسه الذي سار عليه ذلك الآخر، وفريق ثان يرى في ذلك الآخر شيطاناً رجيماً كان ولا يزال من أبرز أسباب تخلف الأمة، ولنا على الفريقين ملاحظتان:

- الفريق الأول أهمل الفرق بين صحة الفكرة وصلاحيتها، وغره النسق الفكري المحكم، وأهمل علاقته بالواقع أو صلاحيته للنهوض بذلك الواقع، فرأينا أفكاراً تنبت نهضة عند الآخرين، وتنبت عندنا خراباً، لأن أصحابها لم يعرفوا طبيعة التربة التي يغرسونها فيها، خذ مثلاً: فكرة فصل الدين عن الدولة، إذ أثمرت في أوروبا دولة قومية متحررة من أوهام الكنيسة، ومتسلحة بالعلم، حققت خطوات جبارة على طريق النهضة، ولكن تطبيق الفكرة عندنا أسقط آخر حصن في وجه الاستعمار، فسقطت معظم بلداننا في قبضته، وحُيِّدت جماهير الأمة المسلمة عن نخبها المتغربة، التي لم تجد سبيلاً لإجبار هذه الجماهير على السير في طريق النهضة المزعومة سوى السوط! وهكذا ولدت العلمانية ديموقراطية هناك وديكتاتورية هنا.

- أما الفريق الثاني، فهو يختزل الآخر في الغرب، مع أن ثنائية «شرق وغرب» لم تعد تنطبق على عالم يموج بالحضارات، وإذا كان هذا الفريق محكوماً في رؤيته بالسلوك العدواني الغربي الذي رافق إملاء حضارته على العالم، ومأخوذاً بالجوانب المدمرة في تلك الحضارة، فإن الغرب ليس كل العالم، وحضارة الغرب ليست كلها شروراً وآثاماً.

سُقتُ هذه المقدمة لتأكيد أهمية موضوع الكتاب الذي بين أيدينا، والنقطة المحورية في الكتاب أن المنهج الفكري أو النقدي كالشجرة التي يتفيأ الناس ظلالها، وتنظّم حياتهم سلوكاً وقناعة، هذه الشجرة لن تنمو وتكبر في غير تربتها ومناخها، ولن تحظى بالرعاية والاهتمام من غير أبنائها، فالمؤلف يتلمس تأصيل رؤية فكرية مستقاة من العقيدة، ويسعى لتكريس منهج فكري يفسر نظرتنا للكون والحياة، ويستقي مفاهيمه من الدين الإسلامي، وهو في مسعاه هذا ظل متفتح الذهن مطلعاً على إبداعات العقل البشري في الحضارات الأخرى مستأنساً بها ومستفيداً منها، ولكنه كان رافضاً في الوقت نفسه أن تكون هي المعيار الذي يحدد لنا أنفسنا أو خياراتنا، فالمؤلف ينعي على بعض النقاد محاولتهم تطويع العقيدة لإجراءات المنهج الغربي كما تمثل في كتابات محمد أركون، فهو من المؤمنين باستحالة تطبيق مناهج الفكر الغربي، على تراثنا أو الاحتكام إليها في تحليل ودراسة عقيدتنا.

ويمثل الكتاب محاولة للاحتكام إلى الذات والخروج من مأزق التضاؤل والتقزّم بالارتماء في أحضان الآخر، ولنا فيما يفعله الآخرون ألف مثال: فهذه فرنسا التي يجمعها مع بلدان أوروبا الكثير من المصالح، وتلتقي معها في الكثير من الأهداف، ولكن عند مناقشة اتفاقية «الغات» توقفت فرنسا كثيراً عند الموضوع الثقافي، ثم رفضت أن تفتح أبوابها أمام الغزو الثقافي والفكري.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

داغستان مع روسيا ومن دونها

نشرت صحيفة «ينزا فيسيما غازيتا» الروسية مقالاً بقلم «غوريا موكليسنكايا» حول الأوضاع في جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي ضمن روسيا الاتحادية «المقال كُتب قبل الأحداث الجارية في داغستان» ورغم ما في الموضوع من مغالطات فاضحة ومعلومات خاطئة تتعارض تماماً والمنطق والفكر السليم، إلا أنه يدل على العقلية التي يفكر بها الروس في معالجة قضاياهم الداخلية ومشاكلهم المتشعبة التي ازدادت سوءا في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي السابق. يقول المقال:

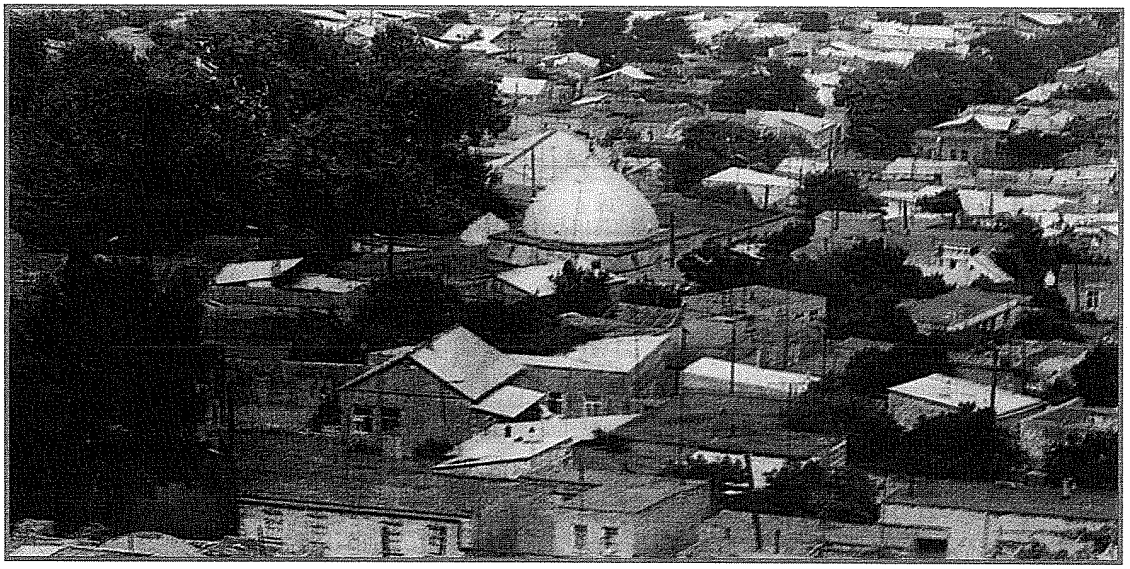

● عاصمة داغستان

ينسب معظم المراقبين المختصين بقضايا شمال القوقاز جذور مطامع الدول العظمى إلى احتياطي النفط الكامن في منطقة قزوين ومع أنني لا أقلل من أهمية العامل النفطي في تاريخ القوقاز الحديث، إلا أن النفط والاقتصاد ليسا في الوقت نفسه مفتاح حل كل القضايا.

إن صحة هذه النتيجة تجد مدلولها في تعامل التحالف الغربي مع الدول العربية التي تعمل - حسب زعمه - عبر أجهزة مخابراتها على زرع أفكار التطرف الإسلامي الأصولي في الأقاليم الروسية، ويبدو من الوهلة الأولى أن استقرار هذه المنطقة يصب في مصلحة الغرب إذا كان هدفه الرئيس الحصول على النفط، إلا أنه خلافاً لذلك يعمل على دعم التغلغل الديني للعرب في شمال القوقاز، الأمر الذي يمكن أن يسفر عن نزاع طائفي في أي لحظة وهدف العرب هنا واضح، فهم يعتبرون أن كل ما ينفقونه من مبالغ لنشر أصولية وتدريب الإرهابيين يمكن أن يعوض تماماً، لأن نشوب حرب في المنطقة تجعلهم يتحكمون في أسعار النفط على المدى الطويل، أما التكتيك الغربي، فيهدف إلى تفكيك روسيا وزعزعتها أيضاً عن طريق هذا التدخل الإسلامي، وفي هذا الإطار تعتبر الشيشان أفضل مترجم لهذه السياسة، فهي تأمل أن تضمن لها هذه الاستراتيجية تحقيق فوائد كثيرة، من بينها

الحصول على منفذ بحري وتدعيم الاستقلال، وإقامة دولة إسلامية ذات صلة بنفط قزوين وتتوافر فيها أيد عاملة رخيصة من غير الجنسية الشيشانية، وكل هذا تحت حماية الولايات المتحدة وحلف الناتو وبهذا نخلص إلى أن العامل النفطي يحتل المركز الثاني من حيث الأهمية في شمال القوقاز.

تعرضت داغستان في تاريخها الذي يمتد عبر قرون لغارات وحملات مختلفة ابتداء من الساسانية الإيرانية وعصر الخلافة الإسلامية، والزحف المغولي التتاري والإمبراطورية العثمانية، وبعد كل هذا وذاك أخذت تركيا تعير اهتماماً بالغاً لهذه المنطقة إذ قدمت الدعم لحركة التحرر الجبلية أنصار شاميل، وكان الأتراك يتغلغلون سراً إلى داخل الأراضي الداغستانية في أثناء الحرب الأهلية في العام ١٩١٧م، بقصد التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الجمهورية.

ويؤكد الوضع السياسي الاجتماعي المحيط بمنطقة شمال القوقاز وتحديداً في داغستان أن الأهداف القديمة ظلت كما هي وكل ما تغير هو الأسلوب وطرق تحقيق أهداف القوى الأجنبية وبدلاً من الهجوم العسكري المباشر يجري الإعداد بصورة سرية لزعزعة الأوضاع باستغلال العامل الإسلامي وذلك بهدف إبعاد روسيا بصورة كاملة عن منطقة القوقاز، وبعض الدول العربية والإسلامية في مقدم الدول التي تأمل تحقيق هذا الهدف سعياً إلى تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية في هذه المنطقة.

عزل داغستان عن بقية الكيانات الروسية يعد أسوأ الآثار التي تركتها الحرب الشيشانية

إن كل الأحزاب السياسية والحركات القومية في داغستان مضطرة إلى أخذ عامل الإسلام الذي يعتنقه ٧٠ في المئة من السكان في الاعتبار، والتغيرات السياسية التي عمت البلاد، فأحوال القوقاز وداغستان خصوصاً قد تركت آثارها السلبية على وضع القيادات القيادية، لذلك نجد اليوم تناقضاً شديداً في الوضع الديني في داغستان، وخصوصاً أن المبادئ الإسلامية لم تنعكس بعد في سلوك المسلمين الأخلاقي والروحي.

لقد وصل عدد المساجد العاملة في داغستان حتى الأول من يناير العام ١٩٩٩م ١٦٧٠ مسجداً، وهناك ٢٥ مدرسة و ٩ معاهد إسلامية عليا، و٣ أحزاب إسلامية، وتتبع هذه المساجد ٦٥٠ مدرسة، كما يعمل في المؤسسات الدينية ألف وخمسمئة إمام ومؤذن، وتفيد آخر الإحصاءات أن عدد الشباب الذين يتلقون الدراسة في ١٠ دول إسلامية وصل إلى ١٢٣٠ طالباً، ويؤدي عشرات الآلاف الحج في مكة المكرمة كما تم إلى جانب الإدارة الدينية الداغستانية إقامة إدارات دينية أخرى، وبالإضافة إلى ذلك، فقد جرى خلال الخمسة أو الستة أعوام الماضية ترميم أو تشييد نحو ٤٦٠ مسجداً، وتم استعادة ٣٠٠ مبنى للطوائف الدينية، ووصل عدد المراكز الإسلامية إلى عشرة، وهكذا أصبحت هذه الجمهورية مركزاً لنشر الإسلام الأصولي، وتؤكد حقائق كثيرة أن داغستان ستصطدم يوماً ما بظاهرة التطرف الديني وبخاصة في مناطقه المتاخمة للحدود الشيشانية.

إن نشاط التيارات الأصولية الإسلامية في الجمهورية بمراكزها الدعائية التي تم تأسيسها يعتبر من العوامل الأساسية لزعزعة الاستقرار في المنطقة، ويهدف هذا النشاط إلى بسط سلطة الأصوليين في المجتمع، وإقامة نظام إسلامي في الجمهورية، وزرع المبادئ الإسلامية في الحياة السياسية والاجتماعية تمهيداً لإعلان الدول الإسلامية، وهم في ذلك يختلفون عن أنصار الطرق الصوفية في كونهم لا يكتفون بالنفوذ الديني، بل يتطلعون إلى الاستيلاء على السلطة السياسية العليا، ولهذا الغرب يجري نشر وتوزيع الكتب الإسلامية مجاناً وتؤسس شبكة من المعاهد الدينية.

إن ما يميز الحركات الأصولية عن غيرها في فهمها للإسلام تركيزها وتبنيها لقضية الجهاد الذي توليه أهمية خاصة وهم، «أي الأصوليون»، يحضون أتباعهم على إتقان أساليب العمل المسلح والتدريب على الأعمال الإرهابية مستغلين الدين لتنفيذ مآربهم.

ويسعى الأصوليون بإصرار إلى جذب الحركات الوطنية والقومية إلى جانبهم وأسلمتها كما يلعبون بورقة العامل الإثني آخذين بعين الاعتبار مصلحة هذا الطرف أو ذاك ويركزون في ذلك على جر القيادات القومية التي تملك مجموعات مسلحة إلى جانبهم، وهذه التناقضات والخلافات بالذات بين المؤمنين هي التي أدت إلى الوضع الراهن في الجزائر وطاجيكستان ويوغسلافيا والشيشان، كما أن انهيار الاتحاد السوفييتي وضعف السلطة بصورة عامة وترك الباب مفتوحاً للدخول والخروج منه أعطى الحركات الأجنبية المتطرفة فرصة سانحة لاستغلال هذا الوضع لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

إن القناة الأساسية لنشر التطرف في داغستان هي التوسع غير المحدود الذي تقوم به مراكز التطرف الإسلامي في الخارج، حيث يتوافد على داغستان الدعاة الإسلاميون من الدول الإسلامية، فيزورون المساجد، ويلقون المحاضرات وينشرون الكتب الدينية، دون أي قيود، وبتأثير من هؤلاء ترفع الأحزاب الأصولية «نهضة» و«جماعة المسلمين» شعار إنشاء دولة إسلامية موحدة على الأراضي الشيشانية والداغستانية، وتعتبر المراكز الإسلامية الأجنبية المختلفة ومنظمات التوعية والمؤسسات الخيرية الأجنبية الأداة الأساسية لأسلمة داغستان وكل شمال القوقاز.

لقد ثبت أن نشاط بعض البعثات الأجنبية التي تزور داغستان قادمة من الدول العربية والإسلامية، وهذا يتعارض مع الأهداف الأساسية التي أعلن عنها رسميو هذه البعثات، ومن المعروف أن هناك إمكانات كبيرة تسخرها هذه الحركات في الدول العربية لدعم الحركات الراديكالية في الخارج التي تقود حرباً ضد الحكام المعتدلين هناك.

ومن الملاحظ أن أكثر النشاطات المعادية لروسيا التي تستغل العامل الإسلامي تأتي من طرف دول عربية للحيلولة دون المد الإيراني في جمهوريات الاتحاد السوفييتي الإسلامية، بالإضافة إلى ذلك، تستخدم أميركا ورقة العامل الإسلامي في روسيا ودول الرابطة المستقلة لتحقيق أهدافها الرامية لإضعاف روسيا وفرض هيمنتها على دول الاتحاد السوفييتي السابق.

وتقوم الولايات المتحدة الأميركية في بادئ الأمر باختيار وانتقاء ممثلي الجاليات الإسلامية ذوي النزعة القومية المؤيدين لفكرة تشكيل

أحزاب وحركات ومنظمات إسلامية، كما حدث في داغستان «حزب النهضة الإسلامي، والمركز الإسلامي، قوقاز. ومؤسسة سانت لادا»، وبفضل الأموال الواردة من الخارج، تتشكل وتتسلح المعارضة الراديكالية الإسلامية في شمال القوقاز.

وهنا يجب الإشارة بصورة خاصة إلى نشاط منظمة «س.ا.ا. رفاونديشن» التي يقع مركزها في مدينة محج قلعة وتتعاون هذه المنظمة مع الحركات الإسلامية المتطرفة، كما يجري تمويل مؤسسات سانت لادا من الخارج، عن طريق مؤسسة «س.ا.ا. رفاونديشن» ومن جانبها تدفع مؤسسة سانت لادا ما يقدم لها من العملة الصعبة لطبع ونشر الكتب ذات المحتوى الرجعي في دور النشر في موسكو كما أن الهدف الرئيس لهذا النشاط هو إبعاد القيادات الدينية «الرسمية» ذات التأثير في داغستان.

وبعد الولايات المتحدة يأتي دور بعض الدول العربية المتمثل في نشر الكتب الدينية المتطرفة وتمويل بناء وترميم المساجد وإنشاء المدارس الإسلامية والإنفاق على الحج وتقديم المنح الدراسية وكما هو معرف، فإن هذه الدول تمارس نشاطها خلف غطاء من المشاريع الإنسانية التي تقوم بها المراكز الإسلامية والمؤسسات الخيرية، وكان نفوذ ودور هذه الهيئات واضحاً على الأراضي الشيشانية حيث تقام باستمرار قواعد لتدريب الإرهابيين من قبل مدربين أجانب.

كل الأحزاب السياسية في داغستان تأخذ الإسلام الذي يعتنقه ٧٠ في المئة من السكان في الاعتبار

وتركيا تعتبر داغستان أحد المواقع المهمة لنشر نفوذها وتحقيق مصالحها في المنطقة «إقامة تحالف بالقرب من الحدود الجنوبية لروسيا يضم الدول الناطقة باللغة التركية»، وفي هذا الاتجاه تعتمد الاستراتيجية التركية على شعاري «الأتركة والأسلمة» كما تتابع باهتمام الأوضاع الاقتصادية والسياسية في داغستان، وهذا ما تؤكده اعترافات إسحاق كاب عميل المخابرات التركية الذي تم القبض عليه في داغستان والذي اعترف أمام الصحافيين بأنه كان ينفذ مهمات خاصة على أراضي الشيشان وداغستان، وكان يجمع معلومات اقتصادية وسياسية عن الجمهوريتين، بالإضافة إلى ذلك قامت منظمة طوروس التركية بإنشاء معهد دراسي علماني في مدينة دوبنتن بمشاركة المنظمة الدينية التركية «الفقه الديني التركي» وتم افتتاح كلية شرقية في معهد يوجاق لتدريس المواد الدينية هذا بالإضافة إلى الكليات الداغستانية، التركية وفروعها في بوغلين وديزبنت. ويبدو للولهلة الأولى أن تدريس اللغة التركية ليس شيئاً مضراً لداغستان إلا أن السؤال المشروع هو لماذا كل هذه النفقات على الأساتذة الأتراك الذين يقومون بتدريس اللغة التركية للأطفال الداغستانيين بينما لا يصرف الأتراك فلساً واحداً على تعليم الداغستانيين الذين هاجروا إلى تركيا منذ أمد بعد لغتهم الأم؟

وفي الوقت نفسه، هناك حقائق أخرى تؤكد عدم رغبة إيران في انهيار روسيا حتى أن القيادة الإيرانية ترى في روسيا الحليف الاستراتيجي ضد أميركا، وتعارض إيران السياسة التركية في الدول الإسلامية «السوفييتية سابقاً» وعلى حد رأي السفير الإيراني في موسكو، فإن تركيا تمارس سياسة إقليمية تخدم بصورة مباشرة مصالح الولايات المتحدة الأميركية، ولذلك تعمل إيران على كسب أصدقاء لها في المنطقة ويلاحظ في الفترة من بين ١٩٩٦م - ١٩٩٨م تكثيف نشاط الدبلوماسيين الإيرانيين في الجمهورية.

أما باكستان فقد أبدت أخيراً اهتماماً في داغستان، حيث تزورها بصورة دورية مجموعات متخصصة من أوساط القيادات والأحزاب الدينية ويقوم هؤلاء بعمل منظّم لزرع أفكار التيارات الإسلامية المتطرفة، وتعبئة مسلمي الجمهورية أيديولوجيا، ففي العام ١٩٩٨م قضى ١٥ من الدعاة الباكستانيين مدة شهر في قرية غويدن بدعوة من الحركة الدينية الريفية «الجماعة الإسلامية» مع العلم أن عدداً قليلاً منهم ذو تعليم ديني، ومجموعة أخرى من الدعاة الباكستانيين زارت إقليمي روتول وافتيت وأيضاً إقليم بوتليخ وكيزيورتوف.

والدعاة العرب يعملون على إثارة النزاع بين المؤمنين ودفعهم لتأجيج الخلاف بين مختلف المذاهب الدينية ولا يمكن هنا تجاهل دور المراكز الإسلامية في تأزم الوضع في مناطق غويدي وكراماني وكادار ويسيطر هؤلاء المتطرفون على الرغم من قلة عددهم على كل أهالي المنطقة بقوة السلاح والعتاد، وتعد هذه المناطق بمثابة قواعد عسكرية لجماعة القائد الميداني الأردني خطاب على الأراضي الداغستانية وتجري إدارة هذه القاعدة عبر اتصالات الأقمار الصناعية من الأراضي الشيشانية، وتعتبر هذه المنطقة مقفولة لغير الوهابيين.

ووفقاً لمعلومات أجهزة الأمن الداغستانية، فإنه خلال الفترة من العام ١٩٩٦م وحتى الوقت الراهن وصل عدد المقبوض عليهم في قضايا جنائية نحو ٤٠ أجنبياً ومعظمهم من دعاة المراكز الإسلامية ومواطنو بعض الدول العربية والإسلامية، كما وصل عدد المخالفين لقوانين الإقامة ٢٠٠ شخص طرد منهم ١٦ شخصاً ويستخدم هؤلاء الدعاة أساليب مختلفة لاجتياز الحدود الداغستانية بما في ذلك الرُشا، ومعظم هؤلاء يقيمون في داغستان بوثائق مزورة.

ومن المدهش أن هؤلاء الدعاة الإسلاميين - حسب زعمه - لا يلتزمون بقوانين البلد الذي يعيشون فيه ويخالفون في سلوكهم الأخلاقيات التي وردت في كتابهم المقدس - القرآن الكريم.

ولتحقيق أهدافهم يمارسون كل أنواع الكذب والنفاق. ومثل هذه الحوادث تتكرر وبصورة دورية من قبل المواطنين العرب والمسلمين من دول الشرق الأوسط.

إن حصار جمهورية داغستان وعزلها عن بقية الكيانات الروسية يعد من أسوأ الآثار التي تركتها الحرب الشيشانية، ولذلك يعد الخط الحديدي المقترح خلف الأراضي الشيشانية أحد وسائل تخفيف العزلة عن الجمهورية.

وعلى الرغم من الضغوط الشيشانية وكرم المخابرات الأجنبية، فإن شعور الانتماء لروسيا الاتحادية لا يزال راسخاً في وعي الشعب الداغستاني، وهذا ما تؤكده استطلاعات الرأي العام في الجمهورية. ■

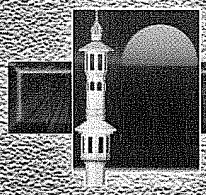

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

البيع بالأقساط

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

إنني أعاني من حيرة في أمر تشابه عليّ أرجو أن أجد عندكم الكلمة الفصل فيه، وإني أردت أن أشرح الأمر ثم أذيله بأسئلة متعددة راجياً من العزيز القدير أن يفتح عليكم بالإجابة عليها:

لقد توجهت لإحدى وكالات السيارات التي لا تتعامل بالفوائد البنكية، لأشتري منها سيارة بالأقساط دون فوائد بنكية، وذلك لضيق ذات اليد في أن أمتلك مثل هذا المبلغ ولكن الموظف قال: إن الوكالة أوقفت التعامل بالأقساط فلا تبيع إلا بدفع كامل الثمن، ولكن من أراد أن يدفع القيمة مقسطة فعليه أن يتوجه إلى ب.ت.ك. أو شركة ت.ت. وكلتا الشركتين نظامهما التالي:

تذهب إليهم وتقول لهم: إنك تريد شراء سيارة وقيمتها مثلاً خمسة آلاف دينار وإنك لا تستطيع دفع الثمن كاملاً، فإنهم يتوجهون إلى الوكالة ويشترون السيارة ويمتلكونها، ولكنهم يبيعونك إياها بسعر أغلى على أن تدفع جزءاً من قيمتها والباقي يقسط عليك لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، فمثلاً يشترونها بخمسة آلاف دينار أو أقل. وذلك كمعاملة خاصة بينهما وبين الوكالة، ويحدد بعضهم أن نبيعها لك بخمسة آلاف وخمسمئة دينار، وتدفع مثلاً عشرين في المئة من هذه القيمة والباقي يقسط عليك لمدة سنتين ونصف السنة، وتسجل السيارة باسمك كمالك لها.

بينما بعضهم يبيعها لك بستة آلاف دينار، وتدفع مثلاً خمسة عشر في المئة من هذه القيمة، والباقي يقسط عليك لمدة سنتين ونصف السنة، وتسجل السيارة باسمك كمالك لها، ويزيد نظام الأول على الثاني أنه يشترط أن تحول راتبك الشهري في حساب خاص لك عنده، وهذا أمر ظاهره أنه ضمان له وباطنه أنه يستغل راتبك عنده خلال تحويله إليه يتعامل به تجارياً كمال سائل.

والآن إليكم هذه التساؤلات:

١ ـ هل هذه المعاملة حلال شرعاً أم هي حرام؟

٢ ـ هل هذه المعاملة في البيع تعتبر بالأجل أم بالمرابحة؟

٣ ـ هل هذه المعاملة التي يقوم بها الأول تعتبر حلالاً أم حراماً، وإن كانت حلالاً فهل هذا ينسحب على الثاني؟ وإن كان الجواب بالنفي فلماذا؟

أفيدونا في هذا لأمر أثابكم الله، فإن الإنسان يتمنى أن تكون ركوبته حلالاً في حج أو سفر وترحال.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت طريقة التعامل تقوم على أساس أن السائل يشتري السيارة من الوكالة وتكون الجهة الثالثة يقتصر دورها على التمويل بدفع الثمن نقداً إلى الوكالة وتحصيله بمبلغ أكبر مؤجل من المشتري فإن هذا رباً، أما إذا كان الشخص يشتري السيارة بعد قيام أحد هذين بشراء السيارة لنفسه وحيازته لها ثم يبيعها بعقد جديد للسائل بثمن أعلى، حالٍّ أو مؤجل، فهذه تجارة مشروعة، وأما اشتراط تحويل المرتب لضمان دفع الأقساط فذلك من توثيق العقد بالرهن أو شبهه، فهو شرط جائز شرعاً وملزم لأنه يؤكد مقتضى العقد، واستغلال الراتب يتم بإذن، لإيداعه حسب أصول التعامل في ذلك المصرف، وله أن يودعه لحسابه من دون مخاطرة الاستثمار إذا شاء. والله أعلم.

صلاة المعذور

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

أنا شاب مصاب بمرض سلس البول ـ أعزكم الله ـ وهذا السلس لا يكون إلا بعدما أقضي حاجتي بفترة بسيطة، وهو لا يكون بكمية كبيرة، بل بكمية قليلة، فالرجاء إفادتي بالشروط التي يجب توافرها لكي تصح طهارتي وصلاتي بالثوب الذي قد أصابه سلس البول، وهل بإمكاني أن أبدل ثوبي للصلاة والطهارة؟ وهل صحيح أن المصاب بسلس البول ـ أجلكم الله ـ لا يصح أن يؤم الناس في الصلاة عندما يكون ثوبه قد أصيب بسلس البول؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان السائل يجد وقتاً يكفي للوضوء والصلاة لا يعتريه فيه السلس فلا يكون معذوراً، وعليه أن يتحين هذا الوقت لأداء صلاته، وعليه أن يطهر ثوبه أو يبدله أو أن يتحفظ بأي وسيلة تمنع تنجيس ثوبه. والله أعلم.

توقيت الصلاة في البلاد النائية

عُرضت الرسالة المقدمة من مسلمي ألمانيا الغربية والذي جاء فيها ما يلي:

مشكلتنا تتلخص بالتالي... التوقيت هنا في ألمانيا الغربية مشكلة، ففي فصل الشتاء معتدل وهو يشبه التوقيت في مصر وسوريا ولبنان مثلاً، أما في فصل الصيف والربيع فيقصر الليل كثيراً ويطول النهار كثيراً إلى درجة يحتار معها المسلم هنا كيف يحافظ على إقامة الشعائر الإسلامية من صلاة وصوم، ويوجد هنا مجموعة كبيرة من الإخوة المسلمين الأتراك منتشرين في برلين وفرانكفورت وغيرهما، وهم يصدرون «رزنامات» سنوية يعرف من خلالها هذا التوقيت الذي نحدثكم عنه الآن: ففي هذه «الرزنامات» - وهي المصدر الوحيد لمعرفة الوقت هنا - التوقيت الشتوي فيها يشبه التوقيت في القاهرة وسوريا وغيرهما أما في الصيف فالتوقيت هو كالتالي:

يحين موعد أذان الظهر الساعة ١٢,٣٠ بتوقيت القاهرة، وأما موعد أذان العصر فله توقيت مزدوج أحدهما الساعة الخامسة مساء، والثاني الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة، وأما المغرب فيحين موعده الساعة ٩,٤٠ ليلاً بتوقيت القاهرة، وموعد أذان العشاء الساعة ١٢ ليلاً، وموعد أذان الصبح الساعة ١٢,٣٠ ليلاً، أي بعد موعد أذان العشاء بنصف ساعة فقط... هذه هي مواقيت الصلاة هنا، مما يترتب على المسلم حيرة ومشقة كبيرتين نحو تأدية الصلاة، طبقاً لهذا التوقيت المذكور، والأهم من ذلك أيضاً هو أداء فريضة الصوم، حيث إن المسلم يترتب عليه بناء على هذا التوقيت أن يصوم منذ الساعة ١٢,٢٠ ليلاً حتى الساعة ١٠ ليلاً، أي نحو إحدى وعشرين ساعة ونصف الساعة صوماً، ولا يحل له الطعام والشراب ونحو ذلك إلا في خلال ساعتين ونصف الساعة فقط، وهي المدة التي تفصل بين موعد أذان المغرب وموعد آذان الصبح... ولقد قرأنا في مجلتكم العزيزة «رسالة الصيام والزكاة»، وهي ملحق لمجلة الوعي الإسلامي التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حول هذا الموضوع ما يلي:

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو العكس ما يلي:... قال البعض: تقدر أوقات الصلاة والصوم بحسب أقرب البلاد المعتدلة إليهم، وقال البعض الآخر: تقدر بحسب البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وكل من الرأيين جائز، فإنه اجتهادي لا نص فيه، انتهى... وقرأنا أيضاً في كتاب فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق حول هذا الموضوع مثل ما جاء في مجلتكم العزيزة... وإننا نطلب منكم مشكورين ما يلي:

أ - هل يصح لنا ونحن هنا في جمهورية ألمانيا الغربية أن نصلي ونصوم بحسب توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة؟

ب - هل يجوز أن يكون لصلاة العصر توقيت مزدوج كما ذكرنا لكم في هذه الرسالة؟

ج - نرجو منكم شاكرين أن ترسلوا لنا ما يبين لنا ويعرِّفنا على المواقيت في مكة المكرمة أو المدينة المنورة في حال إذا كان يصح لنا أن نصوم ونصلي على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

- وبعد الاطلاع على الرسالة رأت اللجنة ما يلي:

إن استفتاءكم يدل على أن دورة الأرض اليومية حول محورها الشمس - عندكم - تتم في كل أربع وعشرين ساعة، وإذا كان الليل يطول في بعض فصول السنة ويقصر في بعضها الآخر، إلا أن الأوقات الخمسة متعاقبة عندكم فلا مجال لإسقاط فرض من الفرائض وعلى كلٍّ فإن المطلوب هو بيان الصلاة وأحكام الصيام.

أما فيما يتعلق بالصلاة فإن أقصر ليلة في السنة - كما تقولون - تكون في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة، فيمكنكم أن تصلوا المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير، أو أن تؤدوا كل فرض في وقته - إن تيسر لكم ذلك من غير حرج، أما ما يتعلق بوقت العصر الأول والثاني فهذا مبني على خلاف بين أبي حنيفة وجمهور الأئمة بما فيهم صاحباه، فأبو حنيفة يرى أن وقت العصر يدخل من حين صيرورة ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال، فالأولى أن تصلوا الظهر قبل العصر الأول وأن تصلوا العصر بعد أذان العصر الثاني ومع ذلك فلو صُلِّيَ العصر بعد العصر الأول فهو صحيح عند أكثر الأئمة، ولكم أن تأخذوا بأي رأي من هذه الآراء، ولعل إخواننا الأتراك أثبتوا هذا في «رزناماتهم» لأنهم يلتزمون مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

وأما ما يتعلق بالصيام فإن طول النهار عندكم لا يبيح الفطر إلا إذا كان الشخص مريضاً لا يحتمل الصيام، وعندنا في المشرق نرى أن كثرة كثيرة من الناس يكتفون بوجبة واحدة في الصيام ومع ذلك يقومون بأعمال شاقة مع ارتفاع درجة الحرارة إلى درجة شديدة، وعندكم وإن طال النهار، فإن الجو لا يدعو إلى الشرب وهو أكثر ما يتشوق إليه الصائم - عادة - ولا بدَّ أن يراعى أيضاً أن هناك أياماً في السنة - كما في فصل الشتاء وآخر في الخريف - يقصر فيها النهار قصراً شديداً، فليكن هذا بذاك. وأما الاعتماد على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو أقرب بلد إسلامي فهذا وإن أجيز فهو لمن ينعدم الليل أو النهار تماماً عندهم، كالمناطق القطبية التي يدوم فيها الليل أشهراً والنهار أشهراً، والمناطق القريبة منها التي قد يطول الليل فيها أياماً والنهار أياماً كشمال النرويج والسويد وليس الوضع عندكم كذلك. والله أعلم.

ذكرى الإسراء تذكير بالقدس وانهاض للنفس

بقلم : عبدالغني أحمد ناجي

لشد ما تألم النفس: نفس كل مسلم غيور عندما تحين ذكرى الإسراء والمعراج كل عام، إذ يتذكر المسلمون في جميع بقاع الأرض ذلك المكان الطاهر الذي أسرى الله تعالى بعبده ونبيّه إليه، والذي عرج منه إلى السموات العلا حتى سدرة المنتهى، إذ كلّم ربه ومولاه، وفرضت عليه حينئذ الصلاة، معراج الأرواح إلى خالق الأرواح... يتذكر المسلمون القدس، والمسجد الأقصى: أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ذلك المسجد الذي أبيح لكل مسلم شدّ الرحال إليه مع أخويه: المسجد الحرام، ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، تأتي تلك الذكريات هاصرة للقلب، عاصرة للنفس لوجود ذلك المكان المقدس الميمون في براثن من لا يرحمون ولا يرعوون، يفعلون به ما يأباه الضمير، وترفضه القوانين والدساتير، وتمجّه الأعراف الدولية، والقيم الإنسانية.

ومع ألم الذكرى يكاد ينطق اللسان مُترحّماً على الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعالى، وهاتفاً: أين أنت يا صلاح الدين؟!

وفي خضم الذكريات تجيء هذه الأبيات:

من قدسنا يعلو النداء
أين الشهامة والفداءْ؟!
عاث اليهود بجرمهم
قد دنّسوا طهر السماءْ
مات الضميرُ لديهمو
لا عهد يعصمُ أو حياءْ
حتى متى سيظلُّ جرْ
حي نازفاً تلك الدِّماءْ؟!
حتى متى سأظلُّ أهْـ
ـتفُ عالياً: كيف الشفاءْ؟!
هل تذكرون بأنني
مهدُ الهدى والأنبياءْ
مَسْرى الرسول محمد
وعروجه نحو السَّماءْ
ذكرى يعيها المسلمو
نَ المخلصون الأوفياءْ
فغداً «صلاح الدين» يأ
تي هاهنا صُلْبَ المضاءْ
فيجيبُ في عزم الأبا
ة تساؤلاً دُونَ انحناءْ
ويطهرُ المهدَ المقدَّ
سَ ناشراً جُسْنَ الرواءْ
ومآذنٌ تعلى الندا
ءَ «اللهُ أكبرُ» في الفضاءْ
أملٌ يُرادُ أنفساً

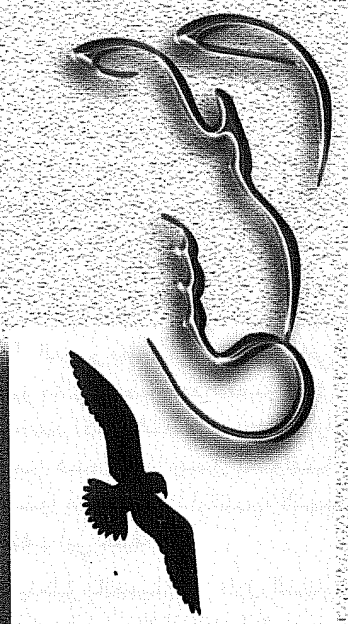

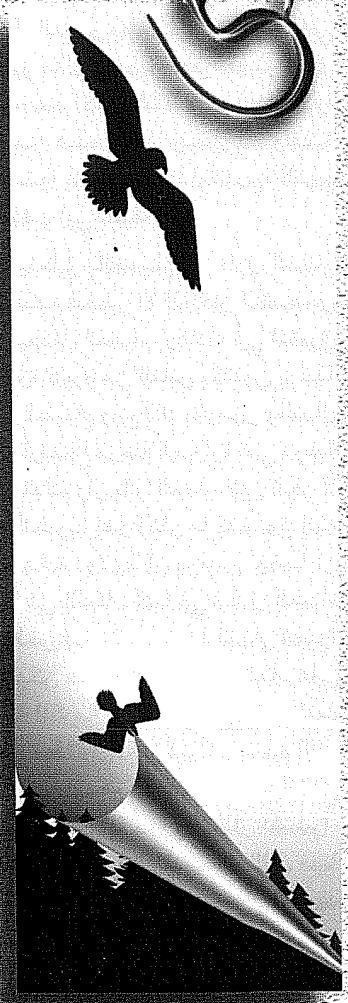

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

صدق الله العظيم

شارك معنا من خلال اقتنائك

السهم الوقفي

بقيمة

١٠ د.ك

ومضاعفاته

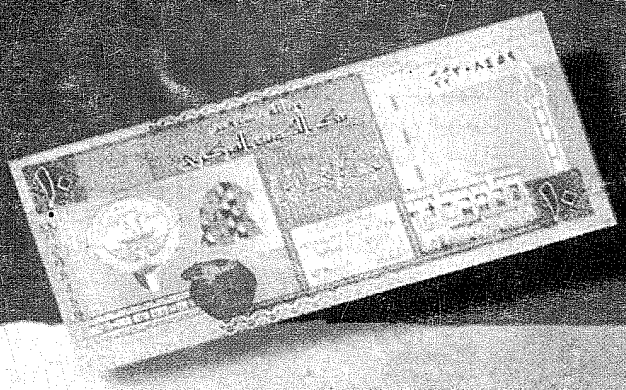

للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧

التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠

فاكس: ٢٥٣ ٢٦٦٠

الأمانة العامة للأوقاف

VISA MasterCard

السهم الوقفي

صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع